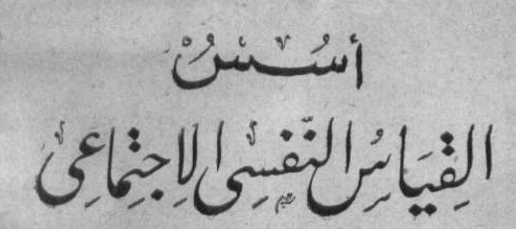


أسس القياس النفسي الاجتماعي

تأليف

دكتور سعد عبد الرحمن

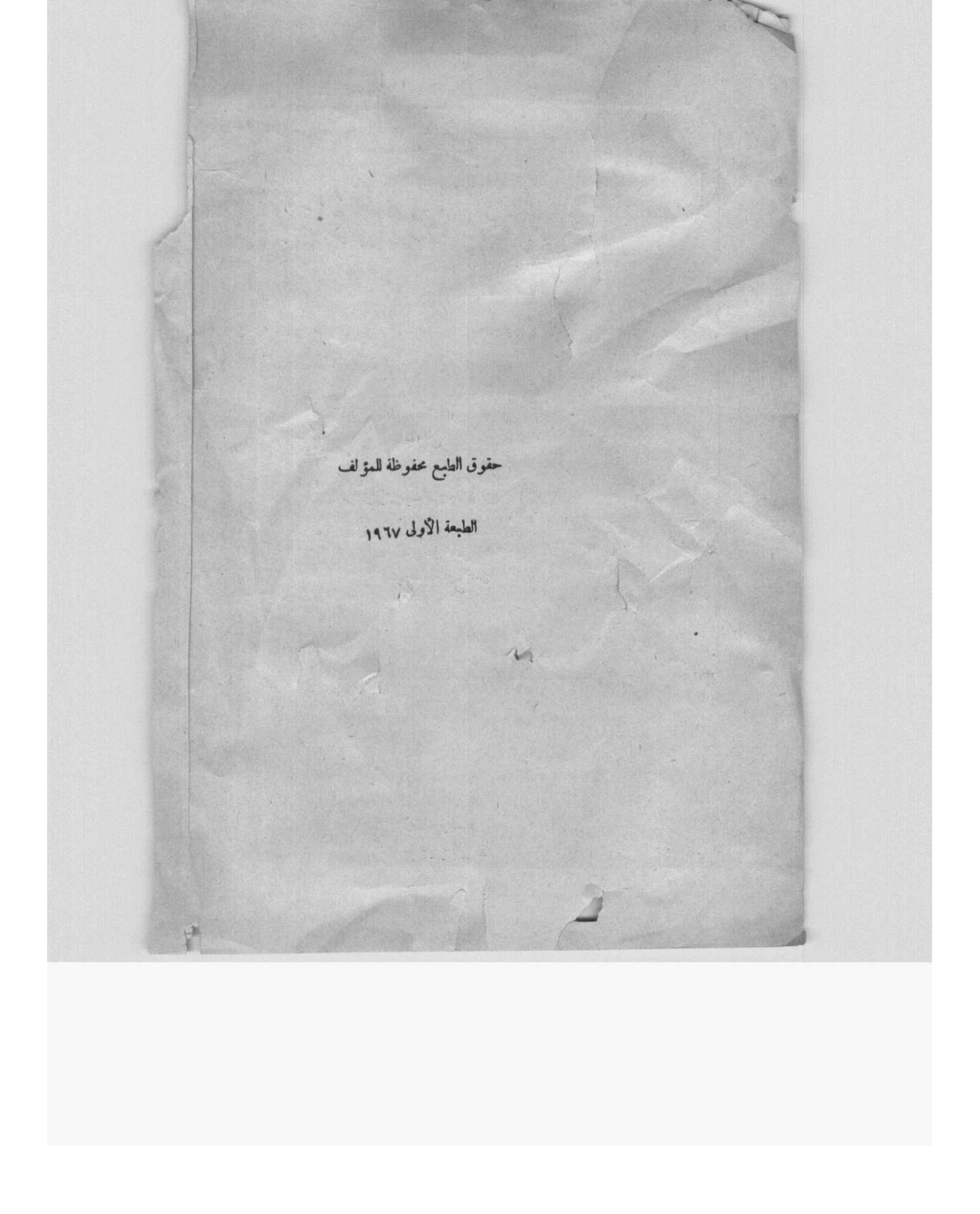
B. Sc. M.A. P.H.D. (London)

محاضر فى علم النفس

كلية المعلمين جامعة عين شمس

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة القاهرة الحديثة



الطبعة الأولى ١٩٦٧

الإهداء

إلى رجلين أعتقد أنهما ضرورة من ضروريات الثورة الاجتماعية .

إلى رجلين يحملان عبء التغيير الاجتماعي ويتحملان مسئولية حفظ الحضارة وتطويرها .

إلى رجلين يعملان دائماً بكل طاقة وبكل جهد ولكن فى صمت وفى هدوء فرضته أمانة المهنة .

إلى المعلم حيث يبنى وينشىء . . . .

إلى الاخصائى الاجتماعى حيث يغير ويطور . . . .

أقدم هذا الكتاب .

دكتور سعد عبد الرحمن

تقديم

سوف أحاول فى هذا الكتاب أن أوضح طرق قياس بعض الظواهر الاجتماعية التى يهتم بها الاخصائى الاجتماعى سواء الذى يعمل فى مؤسسة تضم الأسوياء مثل المدرسة أو المصنع أو الذى يعمل فى ميدان آخر حيث يتعامل مع غير الأسوياء اجتماعيا مثل الأحداث والمشردين .

كذلك فإن هذه الظواهر التى سوف أتعرض لها بالدراسة تهم كل من يمارس عملية التربية عامة والتربية الاجتماعية على وجه الخصوص . فالمعلم فى جميع مراحل التعليم يحتاج إلى منهج اجتماعى بجانب منهج المادة التى يقوم بتدريسها لأن هدف المدرسة لم يعد تلقين الأطفال المادة والمعلومات بل أصبح من أولى أهداف المدرسة التنشئة الاجتماعية السليمة وتكوين شخصية الطفل فى إطار المجتمع الذى يعيش فيه.

ويهتم بهذه الظواهر الاجتماعية أيضا رجال الإدارة والاشراف فى المؤسسات والشركات والوحدات الإنتاجية الأخرى وذلك لأن البحوث النفسية الحديثة أثبتت و بصورة إجماعية العلاقة بين تلك الظواهر التى سوف أناقشها و بين الإنتاج والسلوك التنظيمى السليم .

ولن أحاول فى هذا الكتاب أن أناقش المسائل النظرية بعمق وتفصيل ولكن بالقدر الذى يسمح بتوضيح النواحى العملية التطبيقية التى أهدف اليها . فنى الواقع أردت أن أقدم هذا الكتاب كدليل عملى يستعين به الاخصائى الإجتماعى والمعلم ورجل الاشراف والإدارة فى أى ميدان لقياس المواقف الإجتماعية المختلفة ولتحسين هذه المواقف .

وأردت كذلك بهذا الكتاب أن يكون مساعداً لكل من يهتم بالقياس والتقدير فى المواقف الجماهيرية المتعددة . ولهذا فقد وجهت عناية خاصة إلى الشرح العملى والأمثلة حتى يتحقق الغرض الأساسى من وضع هذا الكتاب .

القاهرة ١٩٦٦

المؤلف

الباب الأول

القياس السوسيومترى

الفصل الأول : العلاقات البشرية والتفاعل الإجتماعى .

الفصل الثانى : الإختبار السوسيومترى .

الفصل الثالث : تطبيقات القياس السوسيومترى .

الفصل الرابع : المجموعات العلاجية .

الفصل الأول

العلاقات البشرية والتفاعل الاجتماعى

إن من أهم صفات الإنسان ككائن حى أن يكون نوعا من العلاقات بينه وبين الآخرين سواء كانت هذه العلاقات موجبة بمعنى أنها تؤدى إلى نوع من التفاعل المقبول بين الأفراد أو علاقات سالبة بمعنى أنها تؤدى إلى تفاعل فاشل . وسوف تطلق كلمة « العلاقات البشرية » على هذه العلاقات بنوعيها سالبة كانت أو موجبة حتى نميز بينها وبين كلمة « العلاقات الإنسانية » التى يميل البعض إلى تفسيرها على أساس أنها العلاقات الناجحة أو التى تصطبغ بالصبغة الإنسانية .

وبمعنى آخر فإنه أينما وجدت جماعة بشرية وحينما وجدت فإن أفرادها يكونون فيما بينهم خطوطا للارتباط الاجتماعى — أى العلاقات — تكون أساسا لعملية التفاعل الإجتماعى ونمو الجماعة وتمايز تركيبها .

وبالإضافة إلى ذلك فان نوعية هذه العلاقات وطبيعتها تؤدى إلى ما يسمى « الجو الاجتماعى » والذى يؤثر إلى حد كبير على نوع الجماعة وسلوك أفرادها بل واستقرار القيم والمعايير فيها .

وهذه الجماعة سواء كانت فى الفصل الدراسى أو خارجه على النواصى حيث تتجمع الشلل من المراهقين أو فى نواديهم حيث تتكون المجموعات الصغيرة أو فى المجتمعات الأخرى سواء فى المؤسسة أو فى المصنع نجد أن طبيعة التفاعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية قد حددت الدور الذى يؤديه كل فرد داخل الجماعة ، فنجد أن بعض الأفراد قد وصلوا إلى بؤرة التفاعل الاجتماعى وأصبحوا هدفا للاستجابات

الاجتماعية للمجموعة سواء كانت هذه الاستجابات موجبة أو سالبة . كما نجد أن البعض الآخر قد رضى بأن يعيش على هامش الحياة الاجتماعية للجماعة وأصبح بعيداً عن بؤرة التفاعل الاجتماعى فيها .

ونجد كذلك أن عددا من أعضاء الجماعة يشعر بالأمن والطمأنينة فى علاقاته مع الآخرين بينما نجد هناك عددا آخر يعانى من القلق والاضطراب نتيجة للرفض الاجتماعى والإحباط فى علاقاته مع بقية أفراد المجموعة .

وعلى جميع الحالات فإن الموقف الاجتماعى له أهمية بالغة لأن عملية التعلم فى المدرسة أو المؤسسة أو المصنع إنما تتم فى موقف اجتماعى له صفات الحيوية والتفاعل والحركية .

فعملية التعلم إنما هى عملية تعديل فى سلوك الفرد أو طريقة تفكيره أو اتجاهه نتيجة مروره بتجربة تكسبه خبرة جديدة . وتلك التجربة لا يمكن أن تتم فى الفراغ ولكنها تحدث فى موقف اجتماعى . فالطفل فى المدرسة إنما يكتسب الخبرة ويتعلم فى موقف يتفاعل فيه بنشاطه مع بقية الأطفال ثم مع المعلم الذى يخطط له تجربة الخبرة . وكذلك الصانع الذى يتمرن على مهارة معينة فإنما يتدرب عليها فى جو اجتماعى له نفس خصائص الموقف السابق .

ولذلك فإنه يتحتم على المعلم أو المشرف أو الاخصائى فى كل موقف إجتماعى أن يعلم جيدا أن اكتساب الفرد للخبرة الجديدة وأن نموه الشخصى والانفعالى إنما يتوقف على مكان الفرد وأثره فى شبكة العلاقات الاجتماعية فى المجموعة وتأثره بها .

ذلك لأن الأفراد الآخرين قد يشجعون الفرد ويدفعونه بنجاح إلى اكتساب

الخبرة وتعديل السلوك أو أنهم قد يقفون حجر عثرة فى سبيل ذلك . وبطبيعة الحال فإن موقف هؤلاء الأفراد من الفرد الذى يكتسب الخبرة له أثر واضح فى العملية التعليمية من الناحية الكمية والكيفية .

ويتحتم على المعلم أو المشرف أو الاخصائى فى كل موقف إجتماعى أن يعلم أن « الجو الاجتماعى » إنما يتكون ويظل قائما نتيجة لتفاعل الأفراد فى الجماعة وأن هذا التفاعل يتأثر من ناحية الحكم والاتجاه بموقف المعلم أو الاخصائى أو المشرف من أفراد الجماعة وطبيعة علاقته بهم .

وبطبيعة الحال فإن هذه العلاقات البشرية التى تتأثر بتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض وتفاعلهم مع المعلم أو الأخصائى إنما تؤثر على نجاح المؤسسة أو الوحدة الإنتاجية ومدى تحقيقها لأهدافها لذلك أصبح من الضرورى أن يفهم الأخصائيون هذه العلاقات وكيف تتكون وتنشط وتؤدى إلى عملية التعلم الناجحة والخبرة المستمرة . وكان الضرورى أيضا أن يفهم الاخصائى كيف يقوم بقياس وتقدير هذه العلاقات والتنبؤ بما يترتب عليها .

والواقع أن الوسائل التى يمكن استخدامها لقياس العلاقات الاجتماعية إنما هى وسائل محدودة ولكن الدراسات الأخيرة استحدثت الكثير فى هذا الميدان.

والتفاعل الاجتماعى يمكن تعريفه على أنه مجموعة الأفعال وردود الأفعال التى تصدر عن أفراد الجماعة فى موقف من المواقف الاجتماعية .

<u>ويتميز التفاعل الاجتماعى بعدة خصائص يمكن سردها فيما يلى :</u>

١ — التفاعل الاجتماعى يعتبر وسيلة الاتصال الأساسية بين أفراد الجماعة إذ عن طريقه يتم التفاهم بين الأفراد فى سبيل حركة الجماعة .

٢ — يتميز التفاعل بين الأفراد بالأداء Performance فهو العنصر الأول من عناصر التفاعل فأداء الفرد فى الموقف الاجتماعى هو الذى يسبب الأداء الآخر

(رد الفعل) وبالتالى ينشأ التفاعل سواء كان هذا الأداء بسيطا أو معقدا ويقصد بالأداء البسيط الأداء الذى يقوم به الفرد دون الحاجة إلى توضيحه أو تكراره بعكس الأداء المعقد وهو الأداء الذى يوضحه الفرد بأنواع أخرى من الأداء وقد يحتاج إلى تكراره عدة مرات وبين هذا فإن لكل حلقة من حلقات هذا النوع الأخير من الأداء رد فعل مناسب بحيث يصبح التفاعل معقدا متعدد النتائج .

٣ — يتميز التفاعل الاجتماعى الذى ينشأ بين أفراد المجموعة بالتوقع Expectation لأن الفرد عندما يقوم بأداء معين داخل محيط الجماعة فإن لهذا الفرد عدة توقعات معينة فقد يتوقع الفرد الاستجابة أو يتوقع الرفض من بقية أعضاء الجماعة لما قام به من عمل وقد يتوقع الفرد أيضاً الثواب أو العقاب ويكون توقعه مبنياً على خبرات سابقة أو على القياس بالنسبة لأحداث مشابهة .

وفى جميع الحالات فإن الفرد عندما يتوقع استجابة معينة ثم يحدث أن يستقبل استجابة أخرى مغايرة لما كان يتوقع فإن ذلك يزيد من معدل التفاعل الاجتماعى .

٤ — التفاعل الاجتماعى بين أعضاء الجماعة هو الذى يقود إلى تمايز تركيب الجماعة وتكوينها تكويناً نظامياً . فتفاعل الأفراد عملياً أو لفظياً إنما يؤدى إلى ظهور الزعامات والقيادات داخل الجماعة . ويؤدى كذلك وبالتبعية إلى إعادة تنظيم مجال الجماعة تبعاً للقيادات التى ظهرت فيها ، وتفاعل الأفراد يؤدى كذلك إلى ظهور المهارات الفردية السلوكية والقدرات الاجتماعية التى يمكن أن تستفيد بها الجماعة وبالتالى يكون هناك تمايز وتنظيم فى تركيب الجماعة نتيجة لتفاعل أفرادها .

٥ — التفاعل الاجتماعى بين أفراد الجماعة يعطيها الصفة الكلية بمعنى أن تصبح الجماعة أكبر من مجموع أفرادها إذ يدخل فى حساب الإخصائى نوع العلاقات

السائدة وكيتها ودرجة شدة هذه العلاقات ممثلة فى معدل التفاعل . وفى الواقع أن موضوع التفاعل وعلاقته بكلية الجماعة يثور فيه كثير من الجدل والنقاش حيث أن هناك بعض الآراء تعتبر أن مجرد وجود مجموعة من الأفراد مع بعضهم البعض يمكن أن يسمى ذلك جماعة . ورأى آخر له ما يؤيده من البحث والتجريب وهو أن الشرط الأساسى فى قيام الجماعة هو التفاعل الاجتماعى الذى يعتبر بدون شك مظهر الحياة داخل الجماعة .

٦ ـ التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة يحدد السلوك الفردى للأشخاص كما وأنه يساعد على تمييز المحصلة العامة لاستجابات الأفراد فى المواقف الاجتماعية وبالتالى فإن التفاعل الاجتماعى يحدد النمط الشخصى لكل فرد فى الجماعة .

ومعنى هذا أن التفاعل بين الأفراد يكون نوعاً من الالتزام بالنسبة لسلوك كل فرد وعليه فإنه يمكن التنبؤ بهذا النوع من السلوك .

٧ ـ بجانب هذا الالتزام السابق الذى يحدثه التفاعل الاجتماعى فانه يساعد أيضاً على إعطاء الفرصة للأفراد بأن يتميز كل منهم بشخصيته وفرديته بالنسبة للآخرين إذ أن هذا نزوع طبيعى كما أن الجماعة بحكم تكوينها حركية غير ساكنة وهذا ما يساعد على إتاحة مثل هذه الفرصة .

٨ ـ التفاعل الاجتماعى بين الأفراد يصدر نتيجة لاختلال تنظيم الطاقة فى المجال الاجتماعى للجماعة . فان توتر هذا المجال هو أساس سلوك الأفراد واستجابتهم للأحداث القائمة . وكلما تقاربت القوى فى المجال قلت فروق الجهد وبالتالى اقترب التفاعل الاجتماعى من حالة الركود والسكون . وبمعنى آخر فان التفاعل الاجتماعى يكون نشطا كلما اختل توازن المجال الاجتماعى للجماعة .

تلك هى أهم الخصائص التى تميز التفاعل الاجتماعى الذى يمكن اعتبـــاره الأساس الأول فى نشأة العلاقات البشرية وتطورها فى أى جماعة من الجماعات .

وهناك أساس آخر للعلاقات البشرية يمكن مناقشته فى هذا المجال وهو القيم الاجتماعية .

فالقيم عموما من أهم الديناميات التى توجه سلوك الفرد فى حياته اليومية وهى تمثل المراكز النشطة فى الجهاز النفسى الاجتماعى لكل فرد التى تستقبل الأحداث المادية بصورها المختلفة ثم تقوم بعملية إنتاج السلوك الذى يقود بدوره إلى تكوين العلاقات البشريه فى الجماعات المختلفة .

والقيمة الاجتماعية فى أبسط حالاتها تنشأ وتتكون فى مواقف المفاضلة والاختيار حيث يتحتم على الفرد اختيار أحد حلين بقدر ماتسمح به قدراته وإمكانياته .

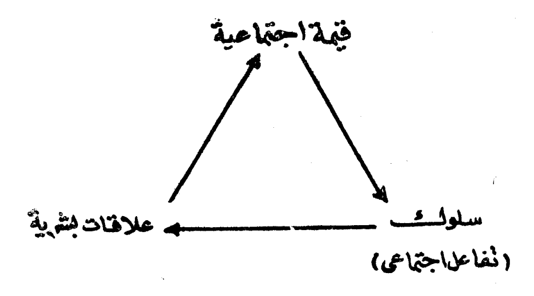
وكلما ازدادت خبرة الإنسان بمثل تلك المواقف — أقصد مواقف المفاضلة — كلما تكونت لديه القيم الاجتماعية ونضجت واستقرت وكونت له جهازاً يستطيع عن طريقه أن يحكم على الأشياء والأحداث .

ولذا فانه يمكن تعريف « القيم الاجتماعية » بأنها مجموعة من الاتجاهات العقلية التى تكون فيما بينها جهازاً شبه مقنن يستخدمه الانسان فى قياس وتقدير المواقف الاجتماعية .

وتمر القيم الاجتماعية بمراحل عديدة — ليست محل بحث هذا الكتاب — حتى تستقر وتصبح هى الوحدات العيارية فى الضمير الاجتماعى لدى الإنسان . وأثناء هذا التطور والنمو تأخذ القيمة الاجتماعية صفه الثبات النسبى .

والقيمة تمثل ركناً أساسياً فى تكوين العلاقات البشرية إذ أن القيمة هى التى تنتج السلوك والسلوك (التفاعل الاجتماعى) هو الذى يؤدى إلى تكوين شبكة العلاقات البشرية وهذه الأخيرة تؤثر مرة أخرى على تكوين القيم وتطورها .

فكأنه يمكن أن تمثل الفكرة السابقة كما يلى :



وهذه الدائرة الشبه مغلقة لاتحدث إلا فى الجماعات المنظمة المتمايزة التركيب . إذ أن عملية التفاعل المنظم هى التى تكون العلاقات البشرية أو الاجتماعية وعندما تتكون هذه العلاقات تكون هى الأساس الذى ينظم تفاعل الفرد مع المواقف المختلفة بما فى ذلك مواقف المفاضلة والاختيار التى ينتج عنها القيمة الجديدة والتى تساعد على تطوير القيمة الثابتة نسبياً .

فأعضاء الجماعة يميلون إلى التقيد بمجموعة من القيم الاجتماعية تناسب الغرض من تكوين الجماعة كما يميلون أيضـا إلى بذل نوع من الضغط الاجتماعى على من يخالف هذه القيم وبالتالى فإن تفاعل الأفراد الذى يكون العلاقات الاجتماعية أو البشرية يصبح خاضعا لهذه القيم التى يحميها ويؤكدها الضغط الذى يبـــذله أفراد الجماعة .

وجهاز القيم فى جماعة ما يعطى للفرد فرصة كبيرة لتقييم القـدرة الإنتاجية للجماعة كما يساعده أيضاً على اختيار وانتقاء أساليب السلوك التى تناسب أهداف وأغراض هذه الجماعة .

وأساس ثالث من الأهمية بمكان بالنسبة للعلاقات البشرية وتكوينها هو طرق ووسائل التواصل (الاتصال) بين أفراد الجماعة .

إذ أن نوع وطبيعة الوسيلة تحدد إلى مدى كبير نوعية العلاقات البشرية التى تسود الجماعات .

ووسيلة الاتصال فى الجماعة تنحصر أساساً فى طريقة توصيل التفاعل من نقطة إلى أخرى فى مجال الجهد الاجتماعى لربط هذه النقاط بعضها ببعض لتكوين شبكة العلاقات البشرية فى الجماعة .

فاللغة على سبيل المثال سواء كانت لغة منطوقة أو رمزية (بمعنى اعتمادها على الرموز والإشارات)، والكلمة المكتوبة من صحافة ونشرات ومؤلفات وغير ذلك، ووسائل العرض الأخرى كالراديو والتليفزيون والسينما إنما تحدد نوع وطبيعة العلاقات فى أى جماعة من الجماعات .

فهذه الوسائل يمكن عن طريقها إحداث الضغوط الاجتماعية المختلفة التى تؤثر على القيم السائدة وبالتالى يتأثر السلوك البشرى والتفاعل الاجتماعى فينتج نوعاً من العلاقات يتناسب فى الكيف والمدى مع الوسائل والضغوط. وعليه فإن القيم تعتمد إلى حد ما على الضغوط الاجتماعية التى تحدث عن طريق وسائل التواصل .

وللتلخيص فإنه يمكن أن نقول أن العلاقات البشرية دالة لثلاث عناصر هى :

١ ــ التفاعل الاجتماعى بخصائصه ومميزاته والنتائج المترتبة عليها .

٢ - القيم الاجتماعية وعلاقاتها بالسلوك الفردى وشبكة العلاقات البشرية .

٣ ــ وسائل التواصل وما يمكن أن تحدثه من ضغوط اجتماعية تؤثر على إحداث العلاقات وتطوير القيم أو تغييرها أو تثبيتها وتقوية الاستجابات السلوكية المناظرة لتلك القيم .

والعلاقات البشرية فى المؤسسة التى يعمل بها الاخصائى الاجتماعى أو المعلم تخضع فى عمومياتها للمناقشة السابقة إلا أنه قد نجد بعض التفاصيل النوعية التى

يتم بها الإخصائى فى كل مؤسسة على حدة تعتمد على نوع العناصر التى يتعامل معها .

فمن أهم مايجب أن يلاحظه الإخصائى هو أن استجابات الأفراد وتفاعلهم مع بعضهم البعض يختلف من ناحية الشكل والموضوع عن استجاباتهم وتفاعلهم مع الأفراد الخارجين عن محيط المؤسسة أياً كانت. فعلاقة الفرد برفيقه داخل أسوار المدرسة أو المصنع أو أى نوع من أنواع المؤسسات الأخرى تختلف عن علاقته بأفراد أسرته . أو بأفراد البيئة المحلية أو الجوار ويختلف تفاعل الأفراد داخل المؤسسة مع بعضهم البعض عن تفاعلهم مع المشرف أو الإخصائى أو المعلم لأن هناك تنظيم يحكم كل مجموعة ويحدد موضع كل فرد فيها ، فوضع الفرد فى الأسرة يختلف عن وضعه داخل أسوار المؤسسة التى يعمل بها أو بالأحرى داخل الجماعة التى ينتمى إليها، وواضح بلا شك أن الوضع الاجتماعى للفرد داخل المجموعة يحدد سلوكه وتفاعله مع الآخرين بنفس القدر الذى يتأثر به الوضع الاجتماعى للفرد بتفاعله وسلوكه مع الآخرين .

وقد يدهش الاخصائى عندما يقدم على إجراء قياس اجتماعى بين أعضاء جماعة معينة فيجد أن بعض الأفراد الذين كان يظن أنهم يمثلون بؤرة الاختيار أو الزعامة فى هذه المجموعة لم يوجه إليهم أى اختيار سوى عدد قليل من أفراد الجماعة وربما كان الاختيار من الدرجة الثانية أو الثالثة .

كما يجد كذلك بعض الأفراد الذين لم يظهروا — فى مركز تفاعل الجماعة — على حد تقديره — قد حصلوا على اختيارات عديدة من بقية أفراد الجماعة .

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن الأفراد فى كل جماعة يقيمون وسائل خاصة للقياس الاجتماعى والتقدير تختلف إلى حد ملموس عن الوسائل والمعايير التى يقيمها الإخصائى .

لذلك كان من الضرورى أن يعتمد الإخصائى على نتيجة قياس موضوعى يمثل

اتجاهات الاختيار داخل الجماعة وهذا ما نسميه بالقياس السوسيومترى . وهذه الاتجاهات لها أسس وحدود تمتد إلى داخل مراكز التفاعل الاجتماعى للجماعة وتعتمد فى أصولها على نظريات تفسير السلوك الإنسانى .

وبجانب الاختيارات الاجتماعية التى يوجهها أفراد الجماعة إلى بعضهم البعض وكذلك دلالات الرفض أو عدم الانتباه فإن هناك نوعا من التيارات العاطفية والانفعالية تسود الجو الاجتماعى وتكون هذه التيارات مسئولة إلى حد ما عن تنظيم مجال التفاعل وتحديد مراكز هذا التفاعل.

فإنه لايمكن القول بأن الأحكام الموضوعية الخالية من التحيز هى دائماً خلف السلوك الفردى والتفاعل داخل الجماعات ولكن هناك بلا شك أحكاماً ذاتية تعتمد على مستويات انفعالية مختلفة تؤثر على السلوك والتفاعل ، وهذه المستويات تخلقها التيارات العاطفية والانفعالية التى يكونها أعضاء الجماعة .

والواقع أن الاخصائى الاجتماعى أو المعلم يمكنه عن طريق علاقاته وتفاعله مع أعضاء الجماعات أن يكتشف بداية الخيوط التى تقوده إلى دوافع السلوك والتفاعل موضوعية كانت أم ذاتية .

كما يمكنه كذلك أن يلاحظ ردود الفعل عندما يتم التفاعل بينه وبين بعض أعضاء المجموعة أو بين أعضاء الجماعة بعضهم البعض .

ولتوضيح ذلك فإنه عندما يسلك الإخصائى سلوكا من نوع خاص تجاه الفرد (ا) فى أى جماعة فإن عليه أن يلاحظ رد الفعل الذى يبديه ب ، ح ، ى ، الخ... حيث أن مثل رد الفعل هذا يحدد المكانة الاجتماعية للفرد (ا) كما عليه أن يلاحظ أيضاً ردود الأفعال التى تحدث نتيجة سلوك فرد من أعضاء الجماعة تجاه بعض الأعضاء الآخرين .

وهذه الفرص التى تتيح الملاحظة لاتتأتى إلا فى مواقف المناقشة والتفاعل

اللفظى التى كثيراً ماتتهيأ فى فصول الدراسة بالمدرسة أو فى ألوان النشاط الأخرى التى يشرف عليها الاخصائى الاجتماعى .

إذ كثيراً مانلاحظ وجود بعض المناقشات الحادة التى تنشأ بين أعضاء جماعة فى فصل دراسى أو معسكر من المعسكرات فيلجأ المعلم أو الاخصائى إلى إطفاء هذه المناقشات دون الإشتراك فيها وبطبيعة الحال كان من الواجب الفنى للمعلم أو الاخصائى أن يشترك فى هذه المناقشات اشتراكا يتيح له دراسة اتجاهات الجماعة وملاحظة تكوين المجموعات الصغيرة داخل إطارها . وبجانب مواقف المناقشة هناك مواقف عملية كثيرة يطغى فيها التفاعل الحركى على التفاعل اللفظى وهذه غالباً ماتكون فى تجمعات العمال فى المصانع أو الطلبة فى المدارس الصناعية أو الفنية عموماً حيث يكون التعبير بالحركة والأداء هو مفتاح التفاعل الاجتماعى بين الأفراد وهو الذى يقود إلى ردود الأفعال المتوقعة بين أعضاء الجماعة .

وقد يبدو للوهلة الأولى أن عناصر التفاعل الحركى أبسط وأقل من عناصر التفاعل اللفظى إلا أنه فى الواقع نجد أن التفاعل الحركى يشمل الكثير من تعبيرات وجه الانسان وحركات يديه على سبيل المثال وهذه أدق من اللفظ فى أداء المعنى المقصود فى كثير من الأحيان .

ففى مثل هذه المواقف يستطيع الاخصائى أو المعلم أن يدرس تركيب المجموعات دراسة تتيح له معرفة أبعاد تفاعل أعضائها ومناطق فروق الجهد المختلفة فى مجالها الاجتماعى .

وسبيل الاخصائى فى كلتا الحالتين ــ سواء فى مواقف المناقشة أو المواقف العملية ــ هو الملاحظة العلمية المنظمة والتى سوف نناقشها فى مكان آخر من هذا الكتاب .

والعلاقة البشرية عموماً يمكن تصنيفها من حيث البساطة والتعقيد إلى عدة أنواع :

أولا : تفاعل فرد مع فرد آخر (Diad)

وهذا النوع من التفاعل يخضع فى أساسه لصورة الذات التى تتكون عند كل فرد على حده ثم الأبعاد المقارنة والوصفية التى تتكون تبعاً لذلك فإذا فرضنا أن هذا الثنائى مكون من ا ، ب.

فنجد أن التفاعل بينهما وبالتالى تكوين العلاقة البشرية بينهما يخضع لما يلى:

١ — الفرق بين حقيقة شخصية ا وحقيقة شخصية ب .

٢ — الفرق بين وصف ا لنفسه ووصف ا لشخصية ب .

٣ — الفرق بين وصف ب لنفسه ووصف ب لشخصية ا

٤ — الفرق بين وصف ا لشخصية ب ووصف ب لنفسه

٥ — الفرق بين وصف ب لشخصية ا ووصف ا لنفسه

وفى واقع الأمر — ومن الناحية الفنية فى مثل هذه الدراسات لانستطيع أن نقول أن التفاعل الاجتماعى بينهما قد اكتمل من الناحية النفسية إلا فى حالة وجود شخص ثالث — ولو فى صورة افتراضية — حتى يقوم هذا الفرد بدور « إطار المقارنة أو الرجوع » وفى هذه الحالة — أى وجود شخص ثالث وهى ضرورية — تخضع العلاقات البشرية بين هؤلاء الثلاثة — وهى أبسط صورة للجماعة — للأبعاد التالية :

وذلك باعتبار ا هو نقطة البداية وكل من ب ، حـ شخصية فى المتسع النفسى الاجتماعى للفرد ا وعلى درجتين مختلفتين من ناحية التباعد الاجتماعى .

١ — الفرق بين حقيقة شخصيه ا وحقيقة شخصية ب

٢ — الفرق بين حقيقة شخصية ا وحقيقة شخصية حـ

٣ — الفرق بين وصف ا لنفسه وبين وصف ا لشخصية ب

٤ ــ الفرق بين وصف ا لنفسه وبين وصف ا لشخصية حـ

٥ ــ الفرق بين وصف ا لشخصية ب وبين وصف ب لنفسه

٦ ــ الفرق بين وصف ا لشخصية حـ وبين وصف حـ لنفسه

٧ ــ الفرق بين ب ، حـ كما يصفهما ا .

وواضح بطبيعة الحال أن مثل هذه العلاقة المعقدة يمكن أن تبدأ من «ب» ، «حـ» كذلك . وعليها تبنى العلاقة بين الأفراد الثلاثة وتكون علاقة بشرية كاملة

ثانياً : تفاعل فرد مع جماعة:

وفى هذه الحالة لاتتأثر العلاقات الناشئة وطبيعة ونوع التفاعل الاجتماعى الحادث بصورة ومفهوم ذات الأفراد بقدرما تتأثر بالديناميات الجماعية وماتنتجه من رأى عام واتجاهات جماعية وروح معنوية وأبسط صور تفاعل الفرد مع جماعة هو تفاعل القائد أو الزعيم مع مجموعة من الأفراد وسوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل فى مكان آخر .

ثالثاً : تفاعل الجماعة مع فرد :

أو بمعنى أدق تأثر الفرد بالمجموعة حيث يخضع الفرد لمعايير الجماعة وقيمها السائدة فيعدل من سلوكه وربما مفاهيمه ومدركاته أيضاً وفى هذه الحالة يخضع التفاعل الاجتماعى ونوع وطبيعة العلاقات البشرية الناتجة للضغوط النفسية الاجتماعية التى تبذلها الجماعة كشخصية معنوية على بعض أفرادها . ثم عمليات الإثابة والعقاب التى تنال من سلوك هؤلاء الأفراد .

رابعاً : تفاعل جماعة مع جماعة أخرى :

وهذه تتمثل فى لقاء فريقين فى مباراة من أى نوع أو وجود جماعتين مختلفتين

يعيشان فى منطقة واحدة مثل الزنوج فى بعض مدن أمريكا والتفاعل فى هذه الحالة يخضع لعدة أبعاد أهمها :

(ا) التعصب (حيث بدأ من الحماس العادى وينتهى إلى التعصب النزوعى)

(ب) الرأى العام المتكون فى كلا المجموعتين .

(ح) فكرة كل مجموعة عن نفسها وعن المجموعة الأخرى .

(ى) نوع الدعاية والتأثير التى تتعرض له كل جماعة .

وعلى أى حال فإن هذا التقسيم سوف نتعرض له فى أكثر من مكان بالمناقشة والتفصيل .

وأما فى نهاية هذا الفصل فإنه يجب توضيح أهمية دراسة العلاقات البشرية من الناحية التطبيقية حيث أن هذه الدراسات من أهم وسائل فهم طبيعة الجماعة ونموها .

وأهمية هذه الدراسات تكمن فى ناحيتين:

أولهما : النمو الشخصى والتعلم :

فإن نوع الجماعة وطبيعة الحياة فيها تؤثر إلى حد واضح على نمو شخصية الفرد وتنسيق سلوكه وتحديد مستويات معاييره وقيمه واتجاهاته . فإن الفرد لا ينمو نمواً كاملا إلا فى حالة تفاعله مع الآخرين . هذا التفاعل الذى يكسبه الخبرة التعليمية بشروطها المختلفة والتى تضيف إلى رصيد خبراته شيئاً جديداً .

والنمو الذى نتوقعه فى شخصية الفرد إنما يعتمد أيضاً على قدر مايتمتع به هذا الفرد من أمن وطمأنينة فى معاملاته وتفاعله مع أعضاء الجماعة فكثير من الأفراد ذوى الشخصيات غير العادية أصبحوا كذلك استجابة لنوع الضغط والتفاعل الذى قام به الأفراد الآخرون فى الجماعة نحو هؤلاء الأفراد . فإذا كان بعض أعضاء الجماعة يمثلون هدف بقية الأعضاء فى التسلية بأنواعها المختلفة أو

السلوك الشاذ بأى صورة من صوره فإنه بالضرورة سوف تنمو شخصية هؤلاء الأعضاء نمواً شاذاً غير طبيعى .

والفرد فى المواقف الجماعية يتعلم كيف يواجه الآخرين وذلك باكتسابه للمهارات الأساسية التى تعينه على ذلك . كما يتعلم كيف يحلل أحداث حياته اليومية ويضع تقديرات وحلول للمشاكل التى تعترضه أثناء نموه كل ذلك يحدث عندما يجيد مناقشة الاحتمالات والحلول مع أعضاء الجماعة . وبدون ذلك لا يستطيع الفرد أن يقيم مشكلة أو يضع لها أى حل أو تقدير .

والتفاعل مع الأعضاء الآخرين يوسع حدود تفكير الفرد ويجعله أكثر حساسية لأنواع التفاعل وأكثر قدرة على تصنيف هذا التفاعل ومعرفة أسسه ومداه .

كما أن النضج الاجتماعى للفرد وإحساسه بالمستويات الانفعالية المختلفة داخل الجماعة إنما يتوقف على كمية ونوعية تفاعله مع الأفراد الآخرين .

وهذه حقيقة يجب أن يلتفت إليها المعنيون بهذه الدراسات من معلمين أو إخصائيين . فإنه فى بعض الجماعات يعامل الاخصائى الاجتماعى الأعضاء على أسس فردية بحتة دون أن يأخذ فى اعتباره الوضع النسبى لكل فرد فى الجماعة .

كما نلاحظ أيضاً أن المعلم — أحياناً إن لم يكن فى معظم الأحيان — يعامل الأطفال فى الفصل على أسس فردية كذلك حتى فى تطبيقه لنظرية الثواب والعقاب وفى كلتا الحالتين يتطلب المعلم أو الاخصائى مستوى معين من النضج الاجتماعى للفرد وهو فى الحقيقة لم يساعده فى الوصول إلى هذا المستوى لأنه تجاهل إما عن عمد أو خطأ كمية ونوعية تفاعل الفرد مع الآخرين .

وكان الأجدر بالمعلم فى الفصل أو الاخصائى الاجتماعى فى تجمعات الشباب والمراهقين أن يوجه عنايته إلى تدريب الفرد فى — مواقف اجتماعية — على

المهارات الأساسية اللازمة لمواجهة الحياة اليومية فى محتوى اجتماعى يعتمد على الرجوع إلى معايير الجماعة والقيم السائدة فيها .

وهناك حقيقة أخرى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار وهى أنه كلما اكتسب الفرد خبرة تعليمية بصورة فردية كلما احتاج وضعه فى الجماعة إلى إعادة نظر كعضو فعال فيها . فالفرد لايتعلم ولا يكتسب الخبرة ليصبح فرداً ناضجاً فى الفراغ ولكنه يتعلم ليسهم فى عملية تنمية العلاقات البشرية داخل الجماعة وليضيف كذلك إلى محصلة الخبرة العامة فيها .

فالإنتاج العلمى أو الأدبى أو الفنى فى أى جماعة من الجماعات إن لم يكن ذا صلة وثيقة بحياة هذه الجماعة فإنه لن يضيف شيئاً إلى المحصلة العامة للخبرة منها ولن يكون ذا فاعلية لتطوير وتنمية العلاقات البشرية فى تلك الجماعة .

وإكمالا لنفس الحقيقة السابقة فإنه إذا تعلم الفرد أو اكتسب خبرة تعليمية وبصورة فردية حتى ولو كانت هذه الخبرة من النوع النادر فإنه لن يستطيع أن يستفيد منها أو ينتفع بها وذلك لعجزه وقصوره عن إدخال هذه الخبرة إلى حيز حياة الجماعة .

هذا بالإضافة إلى ما قد يصيب الفرد من أمراض نفسية معينة نتيجة تعلمه الفردى واكتساب خبرته فى الفراغ ذلك لأن طبيعة نمو الانسان ككائن حى فى أكثر أطوار حياته تؤكد الأهمية الايجابية للتفاعل الاجتماعى كضرورة نفسية وكوسيلة لإشباع حاجاته العاطفية والإنفعالية . ففى مراحل نمو الفرد الطبيعى نلاحظ أن اهتماماته بالآخرين وميله للتفاهم معهم وحبه لتكوين الجماعات تتناسب تناسباً طردياً مع قدرته على الإحساس بالإشباع النفسى الاجتماعى عند تفاعله مع غيره .

والفرد بطبيعة الحال يحتاج حاجة نفسية إلى تحقيق ذاته والشعور بتقديرها وذلك لن يتأتى له إلا بسماع آراء الآخرين والإحساس بردود الأفعال الصادرة منهم نتيجة لسلوكه وتصرفه ، وهذا لايتم إلا فى ميادين التفاعل الاجتماعى بين الأفراد .

لذلك أعتقد أنه من اللازم الأساسى أن يقتنع المعلم والإخصائى الاجتماعى أولا ثم يقومان ثانياً بإعطاء الفرصة لأفراد الجماعات لممارسة عملية التطبيع وتبادل الخبرة والآراء وتقديم المساعدة كل الآخر فى مشاكل حياته اليومية واكتشاف كل منهم لشخصية الآخر وقدراته ومواهبه فإن هذا يأتى فى المرتبة الأولى قبل تلقين المعلومات والحقائق المـــادية لأن الفرد لن يستطيع أن يتفهم ما يحيط به قبل أن يفهم نفسه ويدرك قدراته وإمكانياته .

فالحقائق الإكاديمية والتعلم فى المدرسة لا يمكن فصلهما عن الجو الاجتماعى الذى يتم فيه التعلم ولا عن طبيعة العلاقات البشرية التى تكون شبكة التفاعل داخل الفصل الدراسى . إذ أن عملية التعلم والنشاط الذهنى للفرد تتأثر إلى مدى بعيد بنوع وحدة الاتجاهات العاطفية السائدة والإحساس بالأمن والانتماء للجماعة . وفوق ذلك يجب أن ندرك أن الدوافع التى تتكون عند الفرد نتيجة وجوده داخل الجماعة إنما تكون مثيرات ومواقف أساسية وضرورية لعملية التعلم فى حد ذاتها وهذه الدوافع لا يمكن أن تحدث وتتكون فى حياة مفردة بالنسبة للإنسان .

وثانيهما : الإعداد لحياة الجماعة :

يأتى هذا المعنى فى المرتبة الثانية لنمو الشخصية وعملية التعلم واكتساب الخبرة . فالفرد فى حياته اليومية يتعامل مع الآخرين على هيئة أفراد أو جماعات بصورة أو بأخرى . ولأن يتعامل الفرد بنجاح وكفاءة مع الآخرين عليه أن يفهم جيداً أسلوب الأخذ والعطاء الذى يقره ويعترف به المجتمع الذى يعيش فيه. وعليه أن يتعلم كذلك كيف يقوم بأكثر من دور اجتماعى : كيف يقود وكيف يتبع وكيف يسلك كطالب فى معهد أو مدرسة ثم كيف يسلك كعضو فى أسرة ضمن أخوة وأخوات .

وعلى الفرد كذلك أن يتعلم كيف يستخدم مهاراته الاجتماعية بين أعضاء الجماعة التى ينتمي إليها وكيف يعمق مفاهيمه ومدركاته عن أعضاء هذه الجماعة

وعن القيم والاتجاهات التى تسود الجو الاجتماعى فيها ، وعليه أن يتعلم كيف يدرك أن التحصيل والنجاح وتحقيق الهدف الذى وصل إليه كان نتيجة تعاون الآخرين معه إما بطريق مباشر أى التفاعل الحقيق مع الآخرين أو بطريق غير مباشر أى عن طريق الاستفادة بالخبرة التعليمية المتراكمة نتيجة جهود الأعضاء الآخرين.

وعلى الفرد كذلك أن يتعلم كيف يتذوق أسلوب العمل فى الجماعة تذوقاً يجعله يميل إلى هذا النمط من النشاط ، وكيف يمكنه أن يكتشف ثم يقدر مواهب وقدرات وإمكانيات الآخرين تقديراً علمياً وموضوعياً .

كل هذه المتطلبات السابقة لاتنمو ولاتتكون تلقائياً ولكن يمكن للمعلم وللإخصائى الاجتماعى أن يمهد الطريق لمثل هذه الحساسيات الاجتماعية لأن تنمو وتتكون ، وهذا ما أقصده عندما أتحدث عن الأعداد لحياة الجماعة .

وليست المهمة شاقة عسيرة فالفرد يستطيع أن يناقش بذكاء وأن يتساءل عندما يبلغ السادسة من عمره وكثيراً مانلاحظ ضيق الآباء بالأسئلة الدقيقة والاستفسارات التى تدل على ذكاء أبنائهم فى مثل هذه السن أو حتى قبل ذلك بقليل.

كذلك فإن أطفال هذه السن يستشعرون مايمر بالأطفال الآخرين أو حتى بالكبار من خبرات سارة أو خبرات محزنة ، وهذه بداية تكوين جميع أنواع الحساسيات الاجتماعية التى تنمو وتتعدل فيما بعد .

لذلك كان من أساسيات واجب المعلم والإخصائى الاجتماعى العمل على تهيئة فرص التدريب والإعداد ليتمكن الفرد فى بداية حياته من ممارسة حياة الجماعة .

وفى كثير من الأحيان نلاحظ أن النظرة إلى مثل هذه الفرص التى يتحتم وجودها نظرة تدل على عدم الاقتناع بها أو اعتبارها عملا خارجا عن البرنامج الأساسى لنشاط المدرسة أو المؤسسة أيما كان نوعها .

وفى حياة الأفراد سواء كانوا فى مصنع أو مدرسة أو معسكر من معسكرات العمل أو غيره كثير من المناسبات التى تدعوهم إلى التفاعل والمناقشة واختيار

أحد الحلول لمشكلة تعترض حياتهم مهما كان نوع هذه المشكلة . وهنا يبدو دور الاخصائى أو المعلم واضحاً لتوجيه هذا التفاعل لتحقيق الهدف من التدريب على حياة الجماعات وفى جميع هذه الحالات يجب أن يكون فى ذهن الاخصائى أن من أهم أهدافه بل و أهداف التدريب على حياة الجماعة كذلك خلق جماعة متجانسة منظمة من ناحية التفاعل والتركيب .

وهذا التجانس لا يعنى التماثل والتشابه ولكنه يعنى وضوح وسائل الاتصال والتفاهم بين أعضاء الجماعة بطريقة تدعوهم إلى سلوك يتفق مع معاييرهم وقيمهم واتجاهاتهم .

لهذا كله ولأهمية دراسات العلاقات البشرية والتفاعل الاجتماعى كان من الواجب على المشتغلين بعلم النفس الاجتماعى تقديم وسائل وطرق للقياس والتقدير تعين كل من المعلم والاخصائى الاجتماعى على القيام بواجبه على الوجه الأكمل .

الفصل الثانى

الاختبار السوسيومترى

يعتبر الاختبار السوسيومترى هو الوسيلة الشائعة حتى الآن لتقدير نوعية العلاقات الاجتماعية فى جماعة من الجماعات وقياسها إلى حد ما .

وعندما نقول العلاقات الاجتماعية أو البشرية فإنما نستثنى العلاقات الرسمية مثل علاقة المعلم بتلاميذه أو رئيس العمل بالمرؤسين أو اخصائى المؤسسة بمن تضمهم من أطفال أو شباب .

وإنما نقصد فى الواقع العلاقات ذات المركبات النفسية التى تنشأ بين أعضاء جماعة لها من الفرصة ما يمكنها من مزاولة التفاعل الحر المباشر على فترة كافية من الزمن دون قيود تقليدية أو لوائح محددة .

والاختبار السوسومترى يساعد بلاشك على فهم تركيب المجموعة Gronp Structure وكيفية بنائها . كما يوضح أيضاً تركيب الأقسام الداخلية فى الجماعة ومختلف المكانات الاجتماعية فى مجالها . فعلى سبيل المثال يمكن اكتشاف القادة والمنعزلين والمنطوين والأطراف المتنازعة أو المتنافسة من أجل سيادة المجموعة وقيادتها عن طريق مثل هذا الاختبار .

والاختبار السوسيومترى فى أبسط تعريف له هو مجموعة من الأسئلة تستفهم من المفحوص عن اختياره أو رفضه لأعضاء الجماعة التى ينتمى إليها بالنسبة لمواقف اجتماعية محددة . وبطبيعة الحال فإن ذلك يتضمن بالضرورة ترتيب الأعضاء حسب اختياره أو رفضه .

وهناك اتجاهين أو طريقتين يجب أن نتعرض لها بالمناقشة والتوضيح .

أولا — طريقة مورينو :

على الرغم من أن طريقة مورينو لا تخرج عن كونها - تكنيكا علمياً إلا أنها كانت أساس الكثير من النظريات والدراسات النظرية فى علم النفس الاجتماعى. وتتلخص طريقة مورينو فى إعداد بعض الأسئلة التى تعبر عن بعض المواقف الاجتماعية الواضحة فى حياة الأفراد تسألهم عن اختياراتهم أو رفضهم بالنسبة لهذه المواقف .

مثال ذلك ما يلى :

(إذا كانت الجماعة جماعةمدرسية)

١ — اكتب اسم زميلك الذى تحب أن تجلس بجواره فى الفصل . .

(إذا كان العدد أكثر من واحد فاكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب.)

. . . .

. . . .

٢ — اكتب اسم زميلك الذى تحب أن تقضى معه يوم الجمعة

(إذا كان العدد أكثر من واحد فاكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب .)

. . . .

. . . .

وهكذا بالنسبة لبقية المواقف الاجتماعية مثل الذهاب إلى النادى — الاشتراك فى المباريات الرياضية — الخروج فى رحلات — الزيارة فى المنزل الخ ...

وبطبيعة الحال فإن الموقف الاجتماعى يختلف باختلاف طبيعة الجماعة فإذا

كانت مجموعة من العمال أو ممن تضمهم المؤسسات الاجتماعية مثل مؤسسات الإيواء أو الأحداث فإن الوضع يختلف بدون شك .

ويضع مورينو عدة شروط للاختبار السوسيومترى يرى ضرورة وجودها مجتمعة حتى يفى الاختبار بغرضه وهذه الشروط هى :

١ ــ يجب أن يجرى الاختبار السوسيومترى فى جو يطمئن المفحوصين (أعضاء الجماعة) من ناحية عدم إفشاء أو إذاعة استجاباتهم سواء فى الاختيار أو الرفض أى أن يكون المعلم أو الأخصائى حريصاً كل الحرص على عدم إفشاء نتائج الاختبار .

ولو أنه قد يلاحظ المعلم أثناء إجراء الاختبار أن طفلين من أعضاء المجموعة يشير كل منهما للآخر ليتم الاختيار بينهما أو طفلين يبتسم كل منهما للآخر لنفس السبب . ولو أن هذه ملاحظة تستحق التسجيل إلا أنه لا داعى لمنع حدوثها على الإطلاق حيث أنها تمثل نوعا من جذب انتباه أحد أفراد الجماعة .

٢ ــ يجب أن توضح حدود الجماعة للأفراد . بمعنى أن يفهم الفرد جيداً من أين تتكون اختياراته أو رفضه أى أنه يجب على من يجرى مثل هذا الاختبار أن يوضح فى التعليمات حدود الجماعة . على سبيل المثال الفصل الدراسى أو الفرقة أو المدرسة .

فمثلا يمكن أن يكون أحد الأسئلة كما يلى :

ــ اكتب اسم زميلك فى الفصل الذى تحب أن تلعب معه أكثر من غيره .
(إذا كان العدد أكثر من واحد فاكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .
. . . .

٣ ــ يجب تحديد الموقف الاجتماعى الذى يراد من الفرد أن يختار أو يرفض

فيه . وهذا الموقف الاجتماعى كما سبق أن أشرنا يتغير بتغير الجماعة . فعلى سبيل المثال مواقف الجماعة المدرسية تختلف عن مواقف جماعة العمال أو الموظفين .

فمثلا الموقف فى جماعة مدرسية قد يكون: الجوار فى المقعد فى الفصل — اللعب فى فناء المدرسة — الاشتراك فى الرحلات — الاشتراك فى جمعية من جمعيات الهوايات — المشاركة فى الغذاء (السندويتش أو الحلوى)الخ .

وأما فى الجماعات العمالية : فقد تكون . الجلوس على المقهى — لعب الورق أو الطاولة — العمل فى عنبر واحد — العمل على آلة واحدة — المشاركة فى مسكن واحد — وما إلى ذلك .

وكذلك فى حالة جماعات الموظفين ، فالمواقف كثيرة فقد يكون التعاون فى أحد المهام — المعاونة فى إتمام عمل ناقص - العمل فى مهمة مشتركة أى يتمم عمل كل منهما الآخر-وهكذا من المواقف التى ما أكثرها فى حياة العاملين سويا.

٤ — يجب أن يكون الموقف الاجتماعى موقفا حقيقياً بمعنى أنه يكون ذا صلة حقيقية بحياة الجماعة مشتقاً من طبيعة نشاطها، فعلى المعلم أو الإخصائى الاجتماعى أن يراعى ذلك عند تصميم الاختبار السوسيومترى فيختار من المواقف ما هو متصل تماما بالحياة اليومية للأفراد وألا يكون الموقف افتراضى أى لا يستخدم فى السؤال كلمة (لو أو إذا) حتى لا يعطى الفرصة للمفحوص لأن يشك فى جدية الموقف وبذلك لا يعطى الاستجابة الحقيقية .

٥ — يجب على الاخصائى أو المعلم أن يراعى فى تعليمات الاختبار إعطاء الفرصة الأفراد لأن يختاروا أو يرفضوا أى عدد يشاءون دون التقيد بعدد معين. ولو أن ذلك يصعب مهمة التحليل الإحصائى إلا أنه يعطى صورة أصدق لطبيعة العلاقات داخل الجماعة .

٦ — يجب أن يلاحظ أعضاء الجماعة أن هناك أهمية للاختبار السوسيومترى

الذى يطبق عليهم وعليه فيصبح لزاماً على المعلم أو الإخصائى أن يأخذ فى اعتباره اختيارات ورفض أعضاء الجماعة عند إعادة تنظيمها أو القيام بأى نشاط يستدعى العمل الجماعى .

هذه هى الشروط التى اقترحها مورينو لتكون أساساً فى بناء الاختبار السوسيومترى .

إجراء الاختبار السوسيومترى :

إن الاستجابة التلقائية فى اختيار أو رفض بعض أعضاء الجماعة هى الأساس فى نجاح الاختبار السوسيومترى فى وصف العلاقة الاجتماعية بين أفراد تلك الجماعة .

ولأن نضمن هذه الاستجابة التلقائية يجب على المعلم أو الإخصائى أن يقوم بإجراء الاختبار السوسيومترى فى جو بعيد عن الرسمية والنظام الدقيق الذى يسود عادة جو الفصل الدراسى أو الجماعة عموماً .

كذلك يجب أن يفهم أعضاء الجماعة جيداً وبصورة قاطعة أن أسئلة الاختبار السوسيومترى ذات فائدة كبيرة لتحقيق حياة اجتماعية أفضل .

وهذا أمر متروك للاخصائى والمعلم كى يقنع الأفراد بهذه الحقيقة بصورة لا تشوه معناها ، فإن طريقة إقناع الأفراد تأتى فى المكان الأول قبل الحقيقة المرغوب إقناعهم بها .

ويجب أن يشعر أفراد الجماعة كذلك بمبلغ أهمية استجاباتهم فى هذا الاختبار وذلك بأن يقوم الاخصائى أو المعلم وبطريقة إيجابية فى استخدام هذه الاستجابات فى تنظيم الجماعة .

ولعل أهم ماينصح به قبل أن يفكر الاخصائى أو المعلم فى إجراء اختبار سوسيومترى هو أن يقيم علاقته بأفراد الجماعة فإن علاقة المعلم بأطفال الفصل ذات أثر واضح وفعال فى مثل هذه المقاييس الاجتماعية .

اختيار الموقف اجتماعى :

الموقف الاجتماعى هو وحدة الاختبار السوسيومترى . وكما سبق أن أشرنا فإن هذا الموقف يختلف من جماعة إلى أخرى حسب طبيعتها ووظيفتها ومن شروط الموقف الاجتماعى المراد استخدامه كوحدة فى الاختبار أن يعطى الفرصة للاطفال أو أفراد الجماعة لأن يقدموا اختياراتهم بصورة طبيعيه دون تكلف لذلك كان من الضرورى اختيار الموقف العملى أو الطبيعى فى حياة الأطفال والذى تكون نتائجه تعنى شيئاً بالنسبة إليهم . فعلى سبيل المثال إختيار رفيق لرحلة — أو جار فى الفصل أو فى عنابر النوم أو زميل فى لجنة من لجان النشاط وهكذا كما سبق إيضاحه .

كما يجب أيضاً الاستفادة من وجوه النشاط الأخرى التى تزاولها المجموعة مثل النشاط الرياضى أو الاجتماعى أو العلمى كذلك ، فقد يكون اختيار زميل فى معمل الكيمياء فى جماعة مدرسية ، أهم بالنسبة للاطفال من اختيار رفيق فى رحلة من الرحلات .

ويجب أن يتوفر فى الموقف الاجتماعى شرط آخر وهو خلوه من العوامل الضاغطة التى توجه الاختيار وجهة معينة أو تبعده عن حقيقته . وبمعنى آخر فإنه يجب أن يشعر أفراد الجماعة أثناء إجراء الاختيارالسوسيومترى أنهم يستجيبون للمواقف المحددة بناء على رغباتهم وميولهم دون تدخل أى عوامل خارجية أخرى . ومعنى ذلك ألا يقوم المعلم أو الاخصائى بصورة أو بأخرى بعملية إيحاء لأفراد الجماعة لاختيار أو رفض فرد معين .

وذلك طالما أن الهدف من الاختبار هو اكتشاف العلاقات الحقيقية التى تكون شبكة العلاقات الاجتماعية ولهذا يجب أن يتم الاختيار فى جو بعيد كل البعد عن مثل هذه العوامل الضاغطة .

صياغة السؤال السوسيومترى :

إن صياغة السؤال فى أى اختبار له أثر ولاشك على استجابة المفحوصين وفى مجال القياس الاجتماعى بالذات تبلغ صياغة السؤال ذروة الأهمية ، إذ أن الإجابة فى هذه الحالة تتأثر إلى حد ملحوظ بطريقة صياغة السؤال السوسيومترى .

فبعد اختيار الموقف الاجتماعى وتحديده يأتى بعد ذلك كيفية إعطاء الفرصة للأطفال أو أفراد الجماعة عموما للتعبير عن اختياراتهم بتلقائية كافية . وهذا لن يتاتى إلا إذا توفرت عدة شروط فى السؤال السوسيومترى من ناحية الصياغة وهى :

١ — يجب أن يكون السؤال محدداً وحقيقياً بمعنى أن يكون بعيداً عن الافتراضات أو التخمين مثل « من تختار كصديق لو فرض أنك نقلت إلى فصل آخر . . .) ؟

واضح أن مثل هذا السؤال غير حقيقى — فى نظر الطفل على الأقل — وغير محدد لأن السؤال لم يوضح أى نوع من الصداقة . أهى صداقة مدرسية أم صداقة خارج المدرسة وكذلك فإنه يحتمل التخمين لأن الطفل قد يخمن — وهذا محتمل جداً — اسم أحد الأطفال فى الفصل الآخر .

٢ — كذلك يجب أن تكون صياغة السؤال واضحة وكلماته مفهومة ومناسبة لمستوى السن الذى يجرى عليه الاختيار ولا يكون معقداً بعيداً عن مستوى الأفراد أو فيه من الألفاظ ما هو جديد عليهم .

٣ — كذلك يجب أن يكون السؤال قصيراً بسيطا ما أمكن هادفا إلى الموقف الاجتماعى مباشرة دون لف أو دوران مثل «إذا ضاعت حافظة نقودك وأردت أن تشترى بعض اللوازم فمن ممن تعرفهم يمكن أن تقترض منه بعض النقود ؟

واضح أن هذه صيغة مطولة فيها مشقة إذا حاول أحد أعضاء الجماعة الإجابة عليها وكان من الممكن أن تكون صيغة السؤال :

« اكتب اسم الشخص الذى يمكنك أن تقترض منه نقوداً فى حالة الحاجة »

. . . .

تعليمات الاختبار السوسيومترى :

تعتبر التعليمات الشفهية أو التحريرية للاختبار السوسيومترى حجر الزاوية فى نجاحه وتأديته لمهمته فى اكتشاف طبيعة العلاقات الاجتماعية فى الجماعة . وفى الحقيقة أن كل اختبار سوسيومترى يحتاج إلى النوعين من التعليمات معا .

فعلى المعلم أو الإخصائى أن يمهد للاختبار قبل إجرائه بإعطاء الجزء الأول من التعليمات وهو التفسير الشفهى لإجراء الاختبار .

ثم يسمح بعد ذلك بفترة من المناقشة والاستفسار من الأفراد عن كل مايعن لهم من مشكلات تتعلق بالاختبار فى حد ذاته . وهذه فترة مهمة إذ بنهايتها يتحدد مدى اقتناع أعضاء الجماعة بمثل هذا الإجراء .

بعد هذه الفترة من المناقشة يقوم المعلم أو الإخصائى بتوجيه القسم الثانى من التعليمات الشفهية وهى تتعلق بالمواقف التى يتضمنها الاختبار أى أن يقوم بشرح طريقة الإجابة على الأسئلة السوسيومترية .

بعد ذلك يترك الفرصة للأفراد لقراءة التعليمات التحريرية ويلفت نظرهم من حين لآخر إلى المهم من النقاط التى تحتويها .

وسوف نعرض فيما يلى مثالا تفصيليا لإجراء الاختبار السوسيومترى فى جماعة مدرسية .

يقول المعلم قبل توزيع الاختبار « أنتم طبعاً عارفين أن فيه جماعات نشاط حر بتتكون فى المدرسة والجماعات دى يمكنها أن تزاول أى نشاط معقول من

أنواع الأنشطة والهوايات المختلفة . والجماعات دى بتتكون حسب اختيار كل واحد منكم . والورقة المطبوعة اللى حتاخدوها دلوقتى بتدى الفرصة لكل واحد منكم يكتب أسماء الناس اللى هو عاوز يختارهم زى ما حتشوفوا دلوقتى وطبعاً اختياراتكم حتكون الأساس فى تكوين الجماعات دى » .

ثم يقوم المعلم بتوزيع الاختبارات وفى نفس الوقت تبدأ استفسارات الأطفال عن السبب فى تطبيق هذا الاختبار . ولماذا لم تكون جماعات النشاط الحر بطريقة أخرى . وهل هذه هى أحسن طريقة لتكوين الجماعات . وهكذا . وعلى المعلم بطبيعة الحال أن يجيب على كل سؤال يوجهه الأطفال محاولا أن يوضح ما أمكن فائدة « هذه الورقة المطبوعة » فى تنظيم الجماعات المراد تكوينها وكذلك أهميتها فى أى تنظيمات مقبلة . كما يجب على المعلم أن يؤكد سرية الاختيارات التى يعطيها الأطفال .

ثم يقول المعلم بعد انتهاء فترة المناقشة « طبعاً زى ما انتم عارفين جماعات النشاط الحر بتعمل حاجات كتير قوى علشان كده الورقه اللى قدامكم فيها أكثر من سؤال . كل سؤال الإجابة بتاعته هى كتابة أسماء الأشخاص اللى بتفضلهم لكن حسب الترتيب . يعنى الشخص اللى تفضله أكثر واحد تكتب اسمه فى الأول والشخص اللى تفضله بعده على طول نكتب اسمه بعد الأول وهكذا بدون حدود يعنى اختار زى مايعجبك افرض فيه اتنين زى بعض بالضبط يعنى مش قادر تقول مين الأول ومين الثانى فى الحالة دى لازم توصل لحل . يعنى اختار واحد بس فى المركز الأول وواحد فى المركز الثانى وهكذا » .

ثم يترك المعلم الفرصة للأطفال لقراءة التعليمات التحريرية ثم الإجابة : ونعرض فيما يلى نموذجا للاختبار السوسيومترى :

إملأ هذه البيانات :

الاسم . . . . . تاريخ الميلاد . . . . . .

الفصل الدراسى . . اسم الأسرة. . . . (أسرة خالد بن الوليد مثلا)

جمعيات النشاط المنضم إليها . . . . أنواع النشاط خارج المدرسة . . . .

عنوان السكن . . . . تاريخ اليوم . . . .

إقرأ ما يلى بدقة :

إليك بعض الأسئلة التى تخصك أنت وزملاءك فى الفصل وما عليك إلا أن تكتب اسم الشخص (من الفصل) الذى تفضله عن غيره فى المكان المخصص لذلك بعد كل سؤال . وإذا كنت تفضل أكثر من واحد أكتب الأسماء بترتيب الأفضلية بمعنى أن الأكثر تفضيلا يكتب أولا وهكذا (يلاحظ أن يكون الاسم بالكامل) .

١ ــ اكتب اسم زميلك (من الفصل) الذى تحب أن تشترك معه فى رحلة (إذا كان العدد أكثر من واحد اكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٢ ــ اكتب اسم زميلك (من الفصل) الذى تحب أن تستذكر دروسك معه .

(إذا كان العدد أكثر من واحد أكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٣ ــ أكتب إسم زميلك (من الفصل) الذى تحب أن تقضى معه أوقات فراغك . (إذا كان العدد أكثر من واحد أكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٤ ــ أكتب اسم زميلك (من الفصل) الذى تحب أن تدعوه إلى منزلك لزيارتك (إذا كان العدد أكثر من واحد أكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٥ ــ أكتب اسم زميلك (من الفصل) الذى تحب أن تدخر معه بعض نقودك . (إذا كان العدد أكثر من واحد أكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٦ ــ أكتب اسم زميلك (من الفصل) الذى تعتقد أنه صديق مخلص لك (إذا كان العدد أكثر من واحد أكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

ويلاحظ فى هذا النموذج ناحيتان :

(١) أن البيانات الأولى تساعد فى تحليل الاختبار السيوسيومترى مثل (اسم الأسرة) وجمعيات النشاط . والهوايات الخارجية .

(٢) أن التعليمات فى كل سؤال مكررة وذلك ضرورى جداً لأن بعض الأطفال قد يكتبون أسماء أشخاص من خارج الفصل والبعض الآخر لايعرف أن اختياراته غير محدودة وبذلك لاتتم شروط الاختبار السيوسيومترى كاملة .

وهناك شيء آخر يجب الإشارة إليه وهو أنه أحيانا لا يريد المعلم أن يطبق مثل هذا الاختبار الذى يحتوى على أكثر من سؤال ويكون فى حاجة للحصول على استجابات الأطفال بالنسبة لموقف اجتماعى واحد أو سؤال سوسيومترى واحد .

وفى هذه الحالة لا تكون الحاجة ملحة لتعليمات تحريرية وإنما يكتفى المعلم بالتعليمات الشفهية ويقوم بتوزيع بطاقات من الورق المقوى على الأطفال وقد رسم فى أعلى الزاوية اليمنى للبطاقة خطان باللون الأحمر لتمييز هذا الوجه من البطاقة حيث يقوم كل تلميذ بكتابة اسمه كاملا وبقية البيانات الأخرى المطلوبة .

وعلى الوجه الآخر للبطاقة يقوم التلميذ بكتابة اسم الشخص الذى يختاره حسب الموقف الذى يحدده المعلم .

تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى

لا يمكن لنا أن نعتبر الاختبار السوسيومترى نهاية المطاف أو هدفا فى حد ذاته ولكنه فى واقع الأمر وسيلة للقياس الإجتماعى ومن ثم لتحسين المواقف الإجتماعية التى تملأ حياة الجماعة .

لذا كان تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى على جانب كبير من الأهمية لكل من المعلم والإخصائى . وفيما يلى سوف نناقش أساسيات هذا التحليل .

١ ــ حساب الدرجة السوسيومترية

مما لا شك فيه أن قضية تحويل الاختيارات الإجتماعية إلى أرقام تأتى

باستمرار فى المكان الأول عند تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى . لذلك كان من الضرورى أن يتدرب الاخصائى أو المعلم على هذه العملية .

وكما هو معروف أن عدد الاختيارات غير محدود بالنسبة للفرد الواحد لذلك نبدأ العملية بحصر أكبر عدد من الاختيارات أعطاها أى فرد من أفراد المجموعة فى كل سؤال .

ولنأخذ مثال النموذج السابق الذى يحتوى على ستة أسئلة سوسيومترية ولنفرض أن فى كل سؤال كان أعلى عدد من الاختيـــارات هو خمسة أى أن بعض أعضاء الجماعة التى طبق عليها الاختبار اختار خمسة أفراد فى كل سؤال مرتبين حسب الأفضلية فى الاختيار .

وعليه فإننا نعطى الدرجات التالية للاختيارات حسب الترتيب : —

الاختيار الأول	٥	درجات
« الثانى	٤	«
« الثالث	٣	«
« الرابع	٢	درجتان
« الخامس	١	درجة واحدة

وفى حالة أن يختار الفرد إختياراً واحداً فإن هـذا الاختيار يعطى خمس درجات بوصفه الاختيار الأول

وإذا فرضنا أن أقصى عدد للاختيار فى بعض الأسئلة من نفس الاختبار الواحد كان أربعة فإن الاختبار الأول يعطى (٤) درجات والثانى (٣) درجات والثالث درجتان والرابع درجة واحدة

وهكذا حتى لو لم يتشابه سؤالان فى الاختبار الواحد من ناحية العـدد الأقصى فى الاختيارات

وفيما يلى توضح كيفية حساب الدرجة السوسيومترية لكل فرد من أعضاء المجموعة : ــ

١ ــ نأخذ فى الاعتبار السؤال الأول ونراجع جميع الاختيارات المعطاة لنحصر أعلى عدد من الاختيارات (وليكن ٥)

٢ ــ فى جدول كبير يكتب أسماء أعضاء الجماعة مع ترك مسافة كافية أمام كل اسم ويعطى كل فرد درجة عن الاختيار الذى حصل عليه فيعطى ٥ درجات إذا حصل على اختيار أول ، ٤ درجات إذا حصل على اختيار ثان وهكذا مثال ذلك :

اسم العضو	عدد ودرجات الاختيارات	الدرجة السوسيومترية
... .. (١)	٥ ٥ ٤ ٣ ٣ ٣	٢٣
. ..... (٢)	٤ ٤ ١ ١ ١ ١	١٢
.... (٣)	٣ ٤ ٢ ٥	١٤
.... (٤)	٢ ٥	٧

نرى من الجدول السابق أن عضو الجماعة رقم (١) قد حصل على اختيار أول من فردين واختيار ثانى من عضو واحد واختيار ثالث من ثلاثة أعضاء . لذلك . فان درجته السوسيومترية فى السؤال الأولى هى مجموع هـــذه الدرجات

٥ + ٥ + ٤ + ٣ + ٣ + ٣ = ٢٣

وهكذا بالنسبة لجميع الأفراد فى السؤال الأول .

٣ ــ تكرر هذه الخطوة بالنسبة لكل سؤال ويعطى كل اختيار الدرجة المناسبة له حسب الحد الأقصى لعدد الاختيارات فى كل سؤال .

٤ ــ بعد الحصول على درجة الفرد فى كل سؤال يحسب متوسط هذه الدرجات بقسمة المجموع العام لدرجات الأسئلة على عددها . وتعتبر هذه هى الدرجة السوسيومترية للفرد فى الاختبار كله . وتدل هذه الدرجة على مكانة الفرد الاجتماعية بوجه عام أو مدى اشتراكه فى نشاط الجماعة وعلاقاتها الداخلية .

ويمكن أن يوجه بعض النقد إلى هذه الطريقة ولو أنها سهلة ويمكن استخدامها فى التطبيقات الاحصائية المختلفة بشرط استخدام الطريقة الاحصائية المناسبة .

والنقد الذى يمكن توجيهه هو أن بعض أعضاء الجماعة يحصلون على اختيارات من الدرجة الثانية أو الثالثة بصورة كبيرة وبذلك تكون الدرجة السوسيومترية أعلى من بعض الأعضاء الذين يحصلون على الاختيار الأول ولكن بكمية أقل .

وعلى جميع الحالات فإن هذا النقد ــ فى اعتقادى ــ لا يقلل من فعالية هذه الطريقة فى الحصول على درجة يمكن على أساسها مقارنة أفراد الجماعة .

ولا يفوتنا فى هذه المناسبة أن نذكر أن هذه الطريقة تصبح أكثر دقة وأقرب إلى مستوى الكفاءة عندما يكون عدد أسئلة الاختبار السوسيومترى أكثر من خمسة أسئلة (بين ٥ ، ١٠ مواقف سوسيومترية)

٢ ــ الاحصائية السوسيومترية العامة :

تعتبر هذه الطريقة أيضا احدى وسائل التحليل المبدئى لنتائج الاختبار السوسيومترى وخاصة من ناحية تقييم الجماعة فى ضوء العلاقات الاجتماعية الناشئة فيها .

وهذه الاحصائية السوسيومترية توضح توزيع كمية الاختيارات على أعضاء الجماعة كما توضح الخواص السوسيومترية للجماعات الداخلية (أو الجماعات الصغيرة داخل

الجماعة الكبيرة مثل البنات والبنين فى حالة وجود الجنسين (إما فى الدراسة أو العمل) ويجب اعداد احصائية سوسيومترية لكل سؤال على حدة وتحفظ لمقارنتها بمثيلتها فى اختبار قادم . ويمكن تمثيل هذه الاحصائية كما يلى :

استمارة إحصاء سوسيومترى

— عدد أفراد الجماعة . . . تاريخ الاجراء . . . مكان الاجراء . .

— السؤال السوسيومترى (يكتب صيغة السؤال تماما) . . . .

— أقصى عددمن الاختيارات . . عدد الأفراد الذين أعطوا العدد الأقصى . .

عدد الاختيارات التى أعطاها الأفراد (إجمع عدد الاختيارات فى هذا السؤال)

إملأ الجدول التالى بأعداد الأفراد كما هو مطلوب .

تكرار الاختيار	عدد الأفراد			
	اختيار موجه إليه	متبادل	رفض موجه إليه	رفض متبادل
ولا مرة	. . . . .	. . . . .	. . . . .	. . . . .
مرة واحدة	. . . . .	. . . . .	. . . . .	. . . . .
مرتين	. . . . .	. . . . .	. . . . .	. . . . .
ثلاثة	. . . . .	. . . . .	. . . . .	. . . . .
أربع	. . . . .	. . . . .	. . . . .	. . . . .
خمسة	. . . . .	. . . . .	. . . . .	. . . . .
أكثر من خمسة	. . . . .	. . . . .	. . . . .	. . . . .

يختص الجزء التالى بالمجموعات الداخلية (ضع أعداد الأفراد فى المكان المنقط)

تكرار الاختيار	(اختيارات موجهة)					
	بنين	بنات	أسرة أحمد	أسرة عرابي	فوق المتوسط	تحت المتوسط
ولا مرة	. . .	. . .	. . .	. .	. . .	. . .
مرة واحدة	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .
مرتين	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .
ثلاثة	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .
أربعة	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .
خمسة	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .
أكثر من خمسة	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .	. . .

عدد الروابط المزدوجة (الاختيار) . . . . . .

عدد الروابط المزدوجة (الرفض) . . . . . .

عدد الجماعات المقفلة . . . .

ويتضح من الجزء الأخير من الاستمارة أن الاختبار السوسيومترى بمفرده لن يستطيع مساعدة الباحث فى اكمال هـــذه الاحصائية وخاصة من حيث عدد الروابط المزدوجة وعدد الجماعات المقفلة Cliques . وهذا يدفعنا إلى دراسة الوسيلة الثالثة لتحليل نتائج الاختبار السوسيومترى وهى السوسيوجرام .

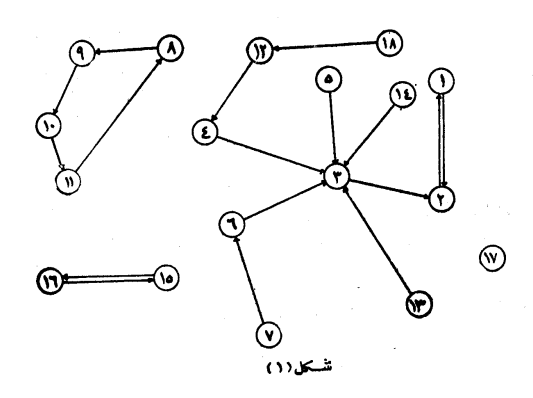
٣ ــ رسم السوسيوجرام :

ابتدع مورينو وتلاميذه هذه الطريقة لتمثيل نتائج الاختبار السوسيومترى بصورة سهلة ومعبرة إذ أنه عن طريقها يمكن رؤية خطوط العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة .

ويرمز مورينو إلى عضو الجماعة بدائرة يوضع بداخلها الرقم الدال على العضو ويخرج من هذه الدائرة سهم يدل على اختياره ويتجه إلى الفرد الذى اختاره مثل ١٠ ←— ٨ أى أن الفرد رقم ١٠ اختار الفرد رقم ٨ . وإذا حدث واختار الفرد رقم ٨ الفرد رقم ١٠ أيضاً فإننا نقول أن هذه رابطة سوسيومترية مزدوجة ٨ ⇄ ١٠ وأما فى حالة الرفض فإن السهم يتوسط الخط الخارج من الدائرة ٧ —← — ٦ أى أن الفرد رقم ٧ يرفض الفرد رقم ٦

وتمثل الرابطة المزدوجة فى هذه الحالة هكذا ٧—← ←—٦

ونعرض فيما يلى نموذجا افتراضيا لسوسيوجرام والهدف من ذلك توضيح أنواع العلاقات الإجتماعية .



شكل (١)

ويقول مورينو أن السوسيوجرام يتكون من ذرات إجتماعية . وكل ذرة تتكون من الفرد النواة الذى يتوسطها مثل الفرد رقم (٣) حيث يتوسط الأفراد ٢ ، ١٣ ، ٦ ، ٤ ، ٥ ، ١٤ .

وتتصل كل ذرة بالذرات الاجتماعية الأخرى لتكون ما سماه مورينو بالحجم التعارفى Aquaintance Volune .

ويمكن من الشكل السابق أن نحدد أنواع العلاقات الإجتماعية التى يحتمل حدوثها فى كل المجموعة : —

١ — علاقة مزدوجة : (رابطة مزدوجة)

وهى العلاقة المتبادلة بين فردين من أعضاء الجماعة كما يبدو بين الفردين (١) ، (٢) أو (١٥) ، (١٦) ولو أن هناك إختلاف بين الحالتين فإننا نجد أن الفردين (١) ، (٢) لا يمثلان انعزالية اجتماعية إذ أنهما يدخلان فى الذرة الاجتماعية التى يتوسطها الفرد (٣) وذلك عن طريق اختيار (٣) للفرد (٢) . فى حين أن الفردين (١٥) ، (١٦) يمثلان رابطة مزدوجة انعزالية .

وكذلك هذه الروابط المزدوجة تدل دلالة أكيدة على ضعف التماسك الداخلى للجماعة وخاصة إذا كانت هذه الروابط من النوع الانعزالى .

ولكن يجب أن نلفت نظر المعلم أو الاخصائى إلى أن كثرة هذه الروابط المزدوجة أمر متوقع فى السنوات الأولى لنمو الأطفال وخاصة فى الصفوف الأولى من المدرسة الابتدائية أو فى مدارس الحضانة .

وهذا دليل على أنه من واجب المعلم فى هذه المرحلة أن يقوم بتنشيط العملية الاجتماعية بين أطفال هذه السن .

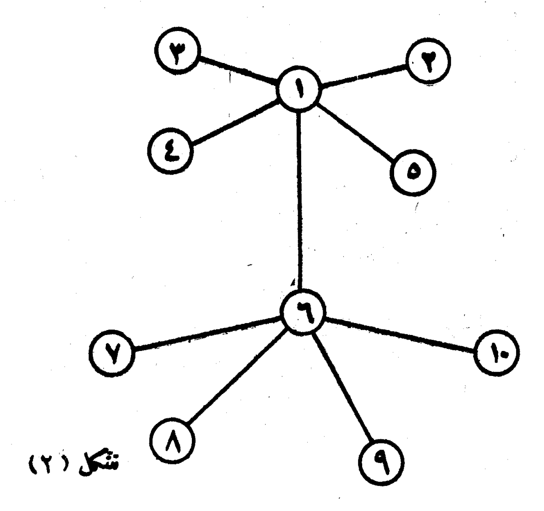
٢ — علاقات متمركزة (مركزية)

وهذه تبدو فى العلاقة المتجهة نحو الفرد (٣) التى تدل على تزعمه لهذه المجموعة ووجود هذا النوع من العلاقات يدل على وجود الأطراف المتنازعة على زعامة الجماعة وقيادتها .

كما أنها تساعد الإخصائى والمعلم على اكتشاف التجمعات الداخلية وكيفية الوصول إلى التركيب الداخلى للجماعة عن طريق هذه الزعامات مثل الفرد (٣) أو الفرد (٢) الذى يمكن عن طريقهما نقل أى نوع من أنواع التفاعل إلى بقية أطراف الجماعة .

وكثرة وجود العلاقات المتمركزة سلاح ذو حدين فهو وإن كان يساعد المشرف على الجماعة من رسم خريطة إجتماعية دقيقة لها إلا أنه يهدد كيان الجماعة فقد يحولها إلى مجموعات صغيرة مستقلة .

وليس من واجب الاخصائى أو المعلم أن يقاوم مثل هذه العلاقات المتمركزة ولكن من واجبه إيجاد الرابطة القوية بين كل مجموعة وأخرى كما يتضح فى الشكل التالى :



شكل (٢)

كما عليه أيضاً أن يلاحظ اتجاهات الاختيار من الدرجة الثانية أو الثالثة على أكثر تقدير فإن السوسيوجرام بوصفه كما سبق لا يوضح إلا الاختيار من درجة واحدة فقط وعادة تكون هى الدرجة الأولى .

إذ أنه قد يتمكن فى كثير من الأحيان من ربط هذه المجموعات عن طريق اختيارات الدرجة الثانية .

٣ — علاقات تتابعية :

وهذه تبدو فى تتابع العلاقة من فرد إلى آخر كما يتضح فى الشكل الأول من اختيار ١٨ ← ١٢ ← ٤ ← ٣ ← ٢ ← ١ .

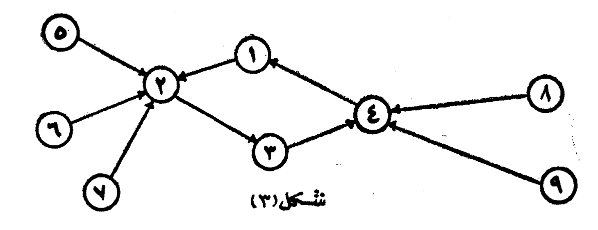
٤ — علاقات دائرية مقفلة :

وهذه تبدو فى تكوين مجموعة مقفلة كما يبدو فى الشكل من الأفراد ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ . أى أن العلاقة تبدأ من الفرد ٨ وتعود اليه ثانيا .

وهذا النوع من العلاقة يكثر حدوثه فى الجماعات غير الطبيعية مثل جماعات الأحداث أو نزلاء السجون وأقسام علاج الإدمان وما شابه ذلك .

وقد يظن البعض أن المجموعات المقفلة التى يكونها الشباب فى سن المراهقة تسودها هذه العلاقات ولكن فى الحقيقة علاقات المراهقين تختلف تماما عن هذا النوع فى أن هناك زعامات تظهر وتتجه اليها اختيارات من خارج هذه الجماعة ومن داخلها كما يوضحها (شكل ٣) .

وعلى ذلك فإن هذه الجماعة على الرغم من كونها مقفلة إلا أنها تتصل بالنسيج العام للمجتمع ولا تتخذ الطابع الانعزالى الذى تتخذه المجموعات المقفلة الأخرى والتى سبق التعرض لها .



شكل (٣)

٥ — علاقات مفردة .

وهي الاختيارات التي يعطيها أفراد المجموعة دون تلقى أى اختيار ما .
ومثل ذلك في الشكل رقم (١) الأفراد رقم ٧ ، ١٣ ، ١٨ وهؤلاء الأفراد يحاولون الدخول إلى مركز التفاعل في الجماعة لاجتذاب انتباه أفرادها ولكن لم تثمر جهودهم بعد كما يدل على ذلك بعدهم عن اختيارات بقية أعضاء الجماعة .

ومثل هذه العلاقات تكثر دائما في الأيام الأولى لتكوين المجموعات فعلى سبيل المثال إذا قام المعلم بتجربة اختبار سوسيومترى فى الأسبوع الأول أو الثانى لتكوين إحدى جماعات النشاط فإنه يجد أن عددا قليلا من أعضاء الجماعة اقترب من بؤرة انتباه الجماعة ربما بالصدفة أو التفوق الواضح فى أحد ميادين النشاط وبالتالى يستأثر هذا العدد القليل باختيارات بقية الأفراد وبالتالى يكثر عدد العلاقات المفردة فى الجماعة .

٦ — الانعزال :

ليس هذا نوعا من العلاقات بطبيعة الحال ولكنه صفة اجتماعية تميز الفرد الذى لا يختار ولا يختاره أحد مثل الفرد رقم ١٧ فى الشكل رقم ١ .
ومثل هذا الفرد يعيش خارج حدود الجماعة من الناحية النفسية وتحتاج حالته إلى دراسة خاصة .

٤ — المصفوفة الاجتماعية Sociomatrix:

المصفوفة الاجتماعية وسيلة أخرى من وسائل تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى والمصفوفة تعتمد على رصد الاختيارات عند تقاطع السطور الرأسية والأفقية لها كما سيتضح ذلك من الشرح .

وتمتاز المصفوفة عن السوسيوجرام فى أنها لا تحتاج الى الوقت أو الجهد الذى يبذل فى رسم السوسيوجرام كما أنها تصلح لرصد استجابات أعضاء الجماعات كبيرة العدد .

وهناك عدة أنواع من المصفوفات الاجتماعية نناقشها فيما يلى : —

(ا) مصفوفة جننجز :

فى الواقع أن جننجز لم تعتبر ما فعلته مصفوفة اجتماعية بل هو جدول بيانى لتسجيل اختيارات الأفراد من الدرجات المختلفة أى الاختيار الأول والثانى والثالث وهكذا .

ويمكن توضيح هذه المصفوفة البسيطة فيما يلى : ــ

أفراد الجماعة (حيث يتلقون الاختيارات)

أفراد الجماعة (حيث يعطون الاختيارات)

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣
١	٠	٣		٢			١						
٢		٠				١		٢			٣		
٣			٠			١		٢		٣			
٤	١	٣		٠				٢					
٥		٣		١	٠	٢							
٦	١	٢	٣			٠							
٧	١			٢			٥	٣					
٨		٣			١			٠	٢				
٩	٣			١	٢				٠				
١٠	١			٢		٣				٠			
١١					١			٢			٠	٣	
١٢		٢	١				٣					٠	
١٣							٣						٠
المجموع													

تمثل هذه الأرقام الموجودة على الحافتين العليا واليمنى للمصفوفة أعضاء الجماعة (حيث عددهم ثلاثة عشر ولو كان عدد أعضاء الجماعة ١٠٠ فسوف يكون هناك ١٠٠ مربع على كلتا الحافتين) .

فالأرقام الموجودة على الحافة اليمنى تمثل أعضاء الجماعـــة حيث يعطون اختياراتهم وأما الأرقام على الحافة العليا تمثلهم حيث يستقبلون هذه الاختيارات.

وعلى ذلك فإذا كان الفرد رقم (١) يختار الفرد رقم (١٠) فسوف يكون هناك ما يدل على ذلك فى المربع المحصور بين الرقم (١) على الحافة اليمنى والرقم(١٠) على الحافة العليا .

وأما المربعات القطرية التى تدل على اختيار الفرد لنفسه فقد وضعت فيها نقط لأن اختيار الفرد لنفسه غير مسموح به .

ولنأخذ الآن مثالا لتوضيح كيفية استخدام مصفوفة جننجز : لنفترض أن الفرد رقم (٣) يختار الفرد رقم (٦) فى المكان الأول وبذلك نضع الرقم ١ فى المربع المحصور بين (٣) على الحافة اليمنى ، (٦) على الحافة العليـــا . وفى نفس الوقت يختار الفرد رقم (٣) الفرد رقم (٨) فى المكان الثانى والفرد رقم (١٠) فى المكان الثالث . وعليه فإنه يوضع الرقم ٢ ، ٣ على التوالى فى المربعـــين المتناظرين .

وبالنظر إلى المصفوفة فى الشكل السابق نجد أن الفرد رقم(١) يختار الأفراد ٧ ، ٤ ، ٢ فى المكان الأول والثانى والثالث على التوالى . وهكذا بالنسبة لبقيـة أعضاء الجماعة .

وفى أسفل المصفوفة توجد أربعة سطور زائدة يسجل فى الأول منها عدد الاختيارات من الدرجة الأولى التى حصل عليها كل فرد وفى الثانى الاختيارات من الدرجة الثانية وفى الثالث الاختيارات من الدرجة الثالثة وفى السطر الرابع يشمل العدد الكلى للاختيارات من جميع الدرجات التى حصل عليها كل شخص .

فعند تلخيص نتائج هذه المصفوفة يتضح مايلى :

الفرد		اختبار أول	اختبار ثانى	اختبار ثالث	المجموع
١	حصل على	٤	١	١	٦
٢	» »	—	٢	٤	٦
٣	» »	١	—	١	٢
٤	» »	٣	٣	—	٦
٥	» »	٢	١	—	٣
٦	» »	٢	١	١	٤
٧	» »	١	—	٢	٣
٨	» »	—	٤	١	٥
٩	» »	—	١	—	١
١٠	» »	—	—	١	١
١١	» »	—	—	١	١
١٢	» »	—	—	١	١
١٣	» »	—	—	—	—

كما يتضح أيضاً أنه يمكن الحصول على الدرجة السوسيومترية لكل فرد من مصفوفة جننجز بالتعويض المباشر .

(ب) مصفوفة فؤاد البهى :

تتشابه مصفوفة فؤاد البهى مع مصفوفة جننجز من ناحية التصميم العام إلا أن البهى يأخذ فى اعتباره الاختيار من الدرجة الأولى فقط ويعبر عن ذلك بأن يضع الرقم ١ فى المربع المحصور بين الفرد الذى يعطى الاختيار والفرد الذى يتلقى هذا الاختيار . وفى أسفل المصفوفة يوجد سطر أفقى لمجموع الاختيارات التى حصل عليها كل فرد كما يتضح ذلك من الشكل الآتى :

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١			١									
٢					١							
٣		١										
٤			١									
٥			١									
٦		١										
٧			١									
٨									١			
٩			١									
١٠						١						
١١								١				
١٢											١	
مج	٠	٢	٥	٠	١	١	١	١	١	٠	١	٠

من هذه المصفوفة نرى أن الفرد رقم (٣) يكون جهداً زعامياً فى المجموعة حيث أنه تلقى خمسة اختيارات فى حين أن أحداً من أفراد الجماعة لم يحصل على مثل هذا العدد .

وتستخدم هذه المصفوفة لمعرفة مجمعات الاختيارات ويمكن الاستعاضة بها عن السوسيوجرام وخاصة فى هذه الناحية . ويمكن رسمها من حين لآخر للكشف عن الزعامات وقياس مدى النمو الاجتماعى لأفراد الجماعة .

وليس معنى هذا أن هذه المصفوفة تستطيع أن تحل محل السوسيوجرام إذ أن هذا الأخير يتميز بقدرته فى الكشف عن الجماعات المقفلة والعلاقات الدائرية

فى حين أن المصفوفة تشترك معه فقط فى الكشف عن العلاقات المركزية والروابط المزدوجة والعلاقات المفردة .

(ج) مصفوفة فورسيث وكاتز :

وهى مصفوفة اقترحها فورسيث وكاتز سنة ١٩٤٦ لها نفس التصميم العام لما سبق شرحه ولكنها تمتاز بأنها وسيلة رياضية معقدة استعرض فيها الباحثان الدقة الرياضية التى لا توازى النتيجة التى تنتهى إليها المصفوفة . وهى فى الواقع تمرين رياضى أكثر منها وسيلة للقياس السوسيومترى .

(د) مصفوفة فستنجر :

وهى مصفوفة أخرى تعتمد على القوانين الجبرية التى عن طريقها يقترح فستنجر سنة ١٩٤٩ تربيع المصفوفة ثم تكعيبها ثم رفعها إلى الأس الرابع والأس الخامس وهكذا .

وتربيع المصفوفة يدل على نوع من العلاقات الاجتماعية هى العلاقة المتتابعة بين فردين ثم علاقة أحدهما بثالث مثل اختيار الفرد (ا) للفرد (ب) ثم اختيار (ب) لـ (ج) وفى حالة تكعيب المصفوفة يمكن الاستدلال على اختيار (ا) لـ (ب) ثم اختيار (ب) لـ (ج) ثم أختيار (ج) لـ (د) .

وبطبيعة الحال فإن السوسيوجرام كان يغنى تماماً عن هذه المجهودات الرياضية التى لا يستطيع المعلم العادى أو الاخصائى الاجتماعى العـــادى أن يقوم بها أو يستخدمها . حيث أن السوسيوجرام يسهل رسمه وعن طريقه يمكن الكشف عن جميع أنواع العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة . وفى الحقيقة أن كلف الباحثين فى علم النفس الاجتماعى — وخاصة فى ميدان القياس — بالوســـائل الرياضية المعقدة التى تستنفد من الجهد أكثر مما تعطيه من نتيجة جعل هذه الوسائل تفقد صلتها الأصيلة بعلم النفس . ولكن هذا لا يعنى أننا ننكر ما للوسائل الرياضية من إسهام فى حل مشاكل هذا العلم .

(٥) مصفوفة المؤلف :

صممت هذه المصفوفة واستخدمت فى بحث سابق للمؤلف (١٩٥٩) وهى تختلف عن المصفوصات السابقة فى اعتبارين : —

١ — أنها لاتوضح العلاقات الاجتماعية فقط ولكنها توضح الأســاس النفسى الذى تتم بناء عليه الاختيارات الاجتماعية للأفراد .

٢ — إذا كان السوسيوجرام يمكن أن يغنى عن جميع المصفوصات السابقة فإنه لايستطيع أن يحل محل هذه المصفوفة .

ويسمى المؤلف هذه المصفوفة Criterion Sociomatrix أو المصفوفة ذات المحك أو المعيار والأساس فى هذه التسمية أن هذه المصفوفة تقوم أساساً على ترتيب أعضاء الجماعة على قمة المصفوفة وعلى حافتها اليمنى بناء على محك أو معيار معين هو — على سبيل المثال — درجات خاصة معرفية كالذكاء أو سمة شخصية كالثبات الإنفعالى ثم نقسم المصفوفة إلى أربعة مساحات بواسطة خطين متعامدين يقع كل منهما مباشرة بعد عضو الجماعة الحاصل على الدرجة المتوسطة فى هـذا المعيار . ولنأخذ مثالا لتوضيح ذلك :

لنفرض أن مجموعة مكونة من مائة فرد أعطيت اختبـاراً (أو سـؤالا) سوسيومتريا وفى نفس الوقت طبق عليها اختبار من إختبارات الذكاء .

وبطبيعة الحال إذا أردنا أن نكشف عن أنواع العلاقات الاجتماعية داخل هـذه المجموعة فإننا نرسم السوسيوجرام أو أى نوع من أنواع المصفوفات الاجتماعية ولابد أن نستفيد كذلك من درجات الذكاء أو السمة الشخصية لمعرفة مدى ارتباطها باتجاه الاختيارات الاجتماعية .

أو بمعنى آخر كيف يؤثر الذكاء أو السمة الشخصية على اختيارات الأفراد وعليه فإننا نقوم برسم المصفوفة ذات المعيار كما يلى : —

١ — ترتب أعضاء الجماعة تصاعديا حسب درجات الذكاء بمعنى أن نعطى رقم (١) للفرد الحاصل على أقل درجة وتعطى الرقم (١٠٠) للفرد الحاصل على أعلى درجة .

٢ — نرسم المصفوفة بحيث يؤخذ فى الاعتبار أن يكون طول الضلع مائة وحدة طولية متساوية وترقم من ١ — ١٠٠ (حسب عدد أعضاء الجماعة) .

٣ — ترتب أعضاء الجماعة على قمة المصفوفة حيث يتلقون الاختيارات وعلى الحافة اليمنى حتى يعطون الاختيارات بحيث نبدأ بالرقم (١) الحاصل على أقل درجة وتنتهى بالرقم (١٠٠) الحاصل على أعلى درجة .

٤ — بوضع خط رأسى وآخر أفقى بعد الفرد الحاصل على الدرجة المتوسطة مباشرة (وليكن الفرد رقم ٥٥ فى هذا المثال) بحيث يتقاطع الخطان ويتكون نتيجة لذلك أربعة مساحات :

المساحة ا حيث يختار الأفراد دون المتوسط من بين أنفسهم

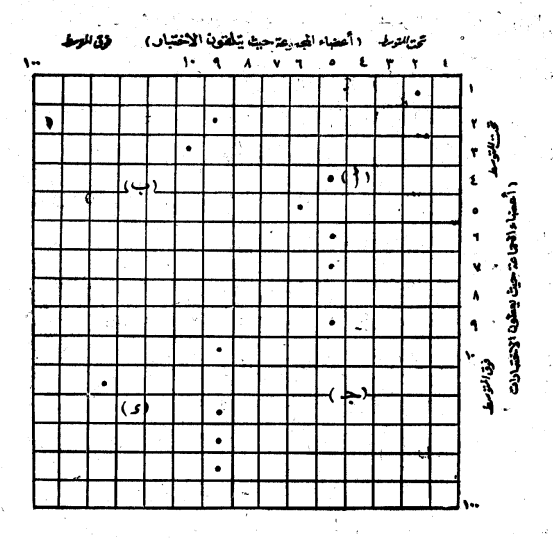
والمساحة ب حيث يختار الأفراد دون المتوسط من بين الأفراد فوق المتوسط

والمساحة حـ حيث يختار الأفراد فوق المتوسط من بين الأفراد دون المتوسط

والمساحة ء حيث يختار الأفراد فوق المتوسط من بين أنفسهم .

٥ — توضع نقطة فى المربع المحصور بين فردين لتدل على اختيار أحدهما (على المحور الرأسى) للآخر (على المحور الأفقى) .

وعلى ذلك فإنه يمكن أن نلاحظ أن هـذه المصفوفة توضح نفس العلاقات الاجتماعية التى أوضحتها المصفوفات السابقة فعلى سبيل المثـال النقطة الموجودة فى المربع بين الفرد (١) على المحور الرأسى والفرد (٢) على المحور الأفقى تدل على اختيار الفرد رقم (١) للفرد رقم (٢) . وهكذا .



كما يمكن الاستدلال أيضاً على المجموعات الصغيرة عن طريق الأعمدة الرأسية كما يتضح تحت الفرد رقم (٥) والفرد رقم (٩) فنجد أن الأفراد رقم ٤ ، ٦ ، ٧، ٩ يختارون الفرد رقم (٥) ومعنى ذلك أن هناك مجموعة مكونة من خمسة أفراد يتزعمهم الفرد رقم (٥) .

وتوضح الأعمدة الرأسية أيضاً فشل الفرد فى اجتذاب انتباه المجموعة إذا كانت خالية كما هى الحال تحت الفرد رقم (١) على سبيل المثال .

أما الصفوف الأفقية ـ إذا كانت خالية تدل على أحجام الفرد عن الاشتراك فى نشاط المجموعة .

وفى حالة خلو الصف الأفقى والعمود الرأسى لنفس الفرد فإنما يدل ذلك على انعزال الفرد عن المجموعة .

هذا بالنسبة للوظيفة السوسيومترية للمصفوفة وأما عن الوظيفة الأخرى وهى إيجاد العلاقة بين السمة الشخصية أو الصفة المعرفية وبين اختيارات الأفراد فإنه يمكن تحقيقها باتباع مايلى : —

١ — يحسب عدد الاختيارات فى كل مساحة من المساحات الأربعة ولتكن كما يوضحها الجدول التالى :

ا تحت المتوسط ٥٥ فوق المتوسط ١١٠

تحت المتوسط ٥٥ فوق المتوسط ١٠٠

ب	ا
١٥	٤٠
د	ج
٣٥	١٠

ونلاحظ أن الاختيارات تركزت فى المنطقة ا (٤٠) ، والمنطقة ى (٣٥) حيث يختار الأفراد تحت المتوسط من بين أنفسهم والأفراد فوق المتوسط من بين أنفسهم كذلك .

	ا	ب	ح	ى
ونحن نسمى هذه الأعداد :	٤٠	١٥	١٠	٣٥

عدد الاختيارات الموجودة فعلا (أو الملاحظة)

٢ ـ نحسب بعد ذلك عدد الاختيارات المتوقعة حسب أعداد كل فئة (فئة تحت المتوسط وفئة فوق المتوسط) كما يلى : ـ

نفرض أن عدد المجموعة ه ، عدد الأفراد دون المتوسط $ه_1$ فيصبح عدد الأفراد فوق المتوسط $ه - ه_1$

و نفرض عدد الاختيارات التى أعطتها الفئة الأولى س وعدد الاختيارات التى أعطتها الفئة الثانية ص .

∴ عدد الاختيارات المتوقعة فى المساحة (ا) =

$$\frac{س \times ه_1}{ه} = \frac{٥٥ \times ٥٥}{١٠٠} = ٣٠$$ تقريبا

عدد الاختيارات المتوقعة فى المساحة ب =

$$\frac{س\,(ه - ه_1)}{ه} = \frac{٥٥ \times ٤٥}{١٠٠} = ٢٥$$ ،

عدد الاختيارات المتوقعة فى المساحة حـ =

$$\frac{ص \times ه_1}{ه} = \frac{٤٥ \times ٥٥}{١٠٠} = ٢٥$$ ،

عدد الاختيارات المتوقعة فى المساحة ء =

$$\frac{ص\,(ه - ه_1)}{ه} = \frac{٤٥ \times ٤٥}{١٠٠} = ٢٠$$ ،

(أى إذا لم يكن هناك علاقة بين الذكاء والاختيارات الاجتماعية)

وبذلك نستطيع أن نقارن بين أعداد الاختيارات الموجودة فعلا (الملاحظة) وبين أعداد الاختيارات المتوقعة على الوجه التالى :

	ا	ب	ح	ء
الموجود	٤٠	١٥	١٠	٣٥
المتوقع	٣٠	٢٥	٢٥	٢٠
الفرق	١٠	١	١٥	١٥

$$\text{مجموع}\ \frac{\text{مربع الفرق}}{\text{المتوقع}} \quad \frac{١٠٠}{٣٠} + \frac{١٠٠}{٢٥} + \frac{٢٢٥}{٢٥} + \frac{٢٢٥}{٢٠} = ٢٧٫٥٨$$

أو ($ك^{٢}$)

فإذا كانت $ك^{٢}$ تساوى أو أكبر من ٥٫٩٩

فإن المصفوفة تثبت بصفة أكيدة أن هناك علاقة بين الصفة أو المعيار (درجات الذكاء فى هذا المثال) وبين الاختيارات الاجتماعية التى يوجهها الأفراد أى أنه فى هذه الحالة بالذات يختار الأفراد من بين الآخرين الذين يتشابهون معهم فى درجة الذكاء . وإذا كانت ك أقل من ٥٫٩٩ فإن المصفوفة لا تثبت شيئاً .

واضح من ذلك أن هذه المصفوفة لها خاصتان إحداهما سوسيومترية والأخرى سيكلوجية .

بهذا نكون قد استعرضنا الوسائل المختلفة لتحليل نتائج الاختبار السوسيومترى كما اقترحه مورينو وهذه الوسائل هى :

١ ــ حساب الدرجة السوسيومترية
٢ ــ الإحصائية السوسيومترية العامة
٣ ــ السوسيوجرام
٤ ــ المصفوفة الاجتماعية

وفى الواقع أن هذه المناقشة كانت تنصب على طريقة مورينو التى مازالت تستخدم حتى الآن وليس هناك مايعيبها سوى أنها غير موثوق بنتائجها فى الجماعات الصغيرة التى يكون الاختيار فيها محدوداً لضيق مساحة الجماعة كما أن عملية الترتيب عند التفضيل فى الاختيار لاتكون دقيقة بصورة كافية .

وقد سبق فى بداية هذا الفصل أن ذكرنا أن هناك طريقتين إحداهما هى طريقة مورينو وهى التى تحدثنا عنها وأما الأخرى فهى طريقة جاردنر وتومسون .

ثانياً : طريقة جاردنر وتومسون :

قدم الباحثان (١٩٥٦) لطريقتهما الجديدة بتمهيد طويل ينتقدان فيه طريقة مورينو والنتائج والبحوث التى ترتبت عليها .

والحقيقة أن المؤلف يتفق مع الباحثين فى بعض هذه الانتقادات ويختلف معهما تماماً فى بعض الانتقادات الأخرى .

فعلى سبيل المثال يقول الباحثان أن من العيوب الأساسية لطريقة مورينو هو أن الدرجة السوسيومترية التى نحصل عليها من الاختبار السوسيومترى لاتكون موزعة توزيعاً اعتدالياً (أى على منحنى اعتدالى) وذلك لن يساعد على استخدام الوسائل الإحصائية العادية فى معالجة مثل هذه الدرجات .

والواقع أنه من المتوقع بطبيعة الحال أن ترتفع الدرجة السوسيومترية عند بعض أفراد الجماعة وهم قلة وبالتالى فلابد أن يختلف توزيع هذه الدرجات عن التوزيع الاعتدالى .

وواضح أنه لاداعى لاستخدام الوسائل الإحصائية العادية التى يحرص عليها جاردنر وتومسون بل يمكن استخدام وسائل أخرى تعرف باسم الإحصاء اللابارامترى Non -Parametric حتى تفى بالغرض وقد سبق استخدامها وثبت نجاحها فعلا .

ويرى الباحثان أن من كذلك عيوب الاختبار السوسيومترى كما وصفه مورينو أن درجة ثباتة قليلة إذ تتراوح بين ٣٧ و — ٩٣ و ذلك فى إحدى التجارب التى استشهدوا بها . وحقيقة الأمر أن هذه هى طبيعة الاختبار السوسيومترى لأن إعادة الاختبار مرة ثانية وإيجاد معامل الارتباط بين النتائج الأولى والثانية وقلة هذا المعامل تدل على تغيير فى تركيب الجماعة ولكن لاتدل إطلاقا على عيب فى الاختبار السوسيومترى .

وفى بعض المحاولات التى أجريت لإيجاد معامل الثبات لاختبار سوسيومترى عن طريق إيجاد معامل الارتباط بين بعض الأسئلة المتشابهة فيه وجد أن معامل الثبات يصل أحياناً إلى ٩٧ر (بحوث المؤلف ١٩٦١)

ولكن يمكن أن تتفق مع جاردنر وتومسون فى أن صلاحية طريقة مورينو للجماعات الصغيرة أمر فيه شك كبير وكذلك فى أن التعقيدات الرياضية التى بنيت عليها (مثل مصفوفة فورسيث وكاتز أو فستنجر) كان لاداعى لها على الإطلاق.

ويرى الباحثان أن هناك عدة مواصفات أساسية فى الطريقة السوسيومترية يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — إن إطار الاشارة أو الرجوع Frame of Reference الذى يختار عضو الجماعة على أساسه يجب أن يكون متعلقاً بحاجة نفسية لايمكن إشباعها إلافى موقف من مواقف التفاعل الاجتماعى .

وبمعنى آخر يجب أن يكون موقف الاختيار أو الرفض محدداً من الناحية السيكلوجية بحيث يتمكن كل فرد فى الجماعة من الاستجابة له حسب الحاجة النفسية التى يدور حولها الموقف .

٢ — يجب أن يكون مدى الاختيار محدداً فى بدايته ونهايته بالنسبة لمجموعة أكبر من المجموعة التى ينتمى اليها الفرد بشرط أن تكون المجموعة الكبيرة تتشابه فى خصائصها مع المجموعة الصغيرة .

وفى الواقع هذه الصفة هى التى تساعد على دراسة العلاقات الاجتماعية بصورة دقيقة فى الجماعات الصغيرة . وسوف نناقش ذلك بالتفصيل فى موضع آخر .

٣ — يجب أن يختار كل عضو من الجماعة الكبيرة من يمثل أقرب الناس إليه وأبعدهم عنه كما عليه أيضا أن يضيف بعض الأسماء فى المسافة بينهما لتزيد دقة الاختيار ويستطيع وضع من يختاره من الجماعة فى المكان المحدد لاختياره .

٤ — يجب أن تتوافر عدة شروط رياضية فى توزيع الدرجات السوسيومترية حتى تتأكد من ظاهرة الاستمرار فيها .

إجراء طريقة جاردنر وتومسون :

تعتمد هذه الطريقة على المقابلة الشخصية عند التطبيق إذ يقوم المعلم أو الإخصائى بتوضيح التعليمات للفرد .

فيقول المعلم « أريد أن توضح لى بعض المعلومات عن زملائك فى الفصل (أو المجموعة) من وجهة نظرك أنت مع العلم بأن ذلك لن يؤثر على أحد . وأن ماتبديه من رفض أو اختيار لأحدهم سوف يكون بعيداً كل البعد عن مسمع أى فرد من المجموعة (أقصد السرية مكفولة) .

والآن انظر إلى هذا الشكل ثم يعرض عليه رسم بيانى يوضح المنحنى الجرس (الاعتدالى) ويشرح له فكرته .

ثم يقول « فإذا أردنا أن تحدد مكان أطول الرجال قامة ممن تعرفهم تسوف يكون مكانه هنا (يشير إلى نهاية الرسم) وكذلك إذا أردنا أن تحدد مكان أقصر الرجال قامة فسوف يكون هنا ويشير إلى بداية الرسم عند المحور الأفقى . وبطبيعة الحال فإن الرجال ذوى الطول المتوسط فسيكون مكانهم هنا (ويشير إلى قمة المنحنى الاعتدالى) .

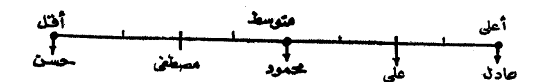
متوسط

أقصر أطول

والآن تذكر هذا جيداً وتذكر أننا نتحدث عن جميع الرجال الذين تعرفهم سواء داخل هذه (المدرسة) أو خارجها فى أى مكان آخر .

فإذا سألتك الآن عن الرفيق الذى تحب أن تختاره معك فى رحلة إلى الأقصر فسوف تجد شخصاً تفضله أكثر من غيره لهذا الغرض وذلك من بين جميع الناس الذين تعرفهم . إذكر اسمه الآن .

(ولتكن الإجابة عادل) . والآن اكتب هذا الاسم فى اقصى اليمين من الخط الأفقى الذى أمامك (ورقة الإجابة) .



وبالتالى يأتى دور الشخص الذى لا تفضله على الاطلاق كرفيق فى رحلة إلى الأقصر واكتب اسمه اليسار من الخط الأفقى (ولتكن الاجابة حسن) . ثم حاول أن تجد اسم الشخص الذى يمكنك أن تضعه فى مكان متوسط بين عادل

وحسن تماما (ولتكن الاجابة محمود) اكتب هذا الاسم فى منتصف الخط الأفقى .

وبطبيعة الحال يمكنك أن تجد اسم الشخص الذى يمكن أن تكتبه فى منتصف المسافة بين عادل ومحمود (ولتكن الإجابة على) وكذلك اسم الشخص الذى يمكن أن تكتبه فى منتصف المسافة من محمود وحسن (ولتكن الاجابة مصطفى) .

(جميع هذه الأسماء من بين جميع الرجال الذين تعرفهم)

« إليك الآن قائمة بأسماء أعضاء مجموعتك الصغيرة — باستثناء اسمك بطبيعة الحال — وعليك أن تضع كل اسم فى المكان المناسب على الخط الأفقى (هل هذا الاسم أو ذاك يقع بين عادل وعلى وإذا كان كذلك فهل هو أقرب إلى عادل أو أقرب إلى على.) وهكذا حتى تنتهى من أسماء كل المجموعة ».

بهذه الطريقة التى اقترحها جاردنر وتومسون فى سنة ١٩٥٦ أمكن الحصول على درجات سوسيومترية أكثر دقة من تلك التى نحصل عليها عن طريق الحساب البسيط من الأسئلة السوسيومترية التى اقترحها مورينو .

وهذه الدرجات السوسيومترية الدقيقة تكون أكثر قابلية للمعالجة الإحصائية من نظيرتها عند مورينو .

كما تمتاز طريقة جاردنر وتومسون أنها مناسبة جداً للجماعات الصغيرة التى تقصر طريقة مورينو عن إعطاء الفرصة كاملة لأعضائها كى يعطوا أحكامهم السوسيومترية بالدقة المطلوبة .

كما يمكن أيضاً استخدام هذه الطريقة فى الجماعات الكبيرة دون مشقة تذكر إذ أن عادة ما يكون اختيار الأفراد محصوراً فى دائرة لا تزيد فى حجمها عن مجموعة صغيرة .

ولكن ما يعيب هذه الطريقة أنها تعتمد على أسلوب المقابلة الشخصية أى أنه لابد وأن يقابل الإخصائى أو المعلم كل فرد على حدة ليعطيه التعليمات — وهى مطولة وبها شىء من التعقيد — ولابد من أن نكرر هذه العملية لكل فرد من أفراد المجموعة .

فى حين أن طريقة مورينو سهلة وتعليماتها غير معقدة ويمكن تطبيقها فى صورة جماعة .

والواقع أن هذه الطريقة تستلفت النظر وتستحق الدراسة وتعطى فرصا أكثر للبحث العلمى لذلك قام المؤلف بإجراء تعديل فيها يشمل التعليمات وطريقة الإجراء وحساب الدرجة السوسيومترية .

تعديل المؤلف :

تم هذا التعديل عند إجراء أحد التجارب التى قام بها المؤلف فى صيف ١٩٦٤ عندما قام ببحث العلاقة بين الادراك الاجتماعى وإنتاجية المجموعات الصغيرة إلا أن الطريقة المعدلة لم تستخدم فى البحث لأسباب تتعلق بإمكانيات الإجراء .

وعلى أى حال فقد تم تجريب هذا التعديل على نطاق ضيق وثبت نجاح هذه هذه الطريقة المعدلة . ويتلخص التعديل فيما يلى :

١ — استغنى نهائيا عن وسيلة المقابلة الشخصية التى تأخذ من الوقت والجهد الكثير وأجريت الطريقة بصورة جماعية . أى يجتمع أعضاء الجماعة فى مكان واحد وتوزع عليهم الاختبارات السوسيومترية وبها التعليمات التى يقوم المشرف على الإجراء بقراءتها وشرحها مع توضيح مثال محلول .

٢ — تكون التعليمات كما يلى :

كل منكم عضو فى جماعة صغيرة يعرف أعضاءها جيداً ويعرف كذلك بعض

أعضاء الجماعة الكبيرة (هذه الحالة كانت معسكر عمل) وبطبيعة الحال قابلت أشخاص كثير فى حياتك .

مطلوب منك الآن :

أولا : أن تفكر فى اسم الشخص الذى تفضل أن تتعاون معه أكثر من غيره وتكتب اسمه عند الرقم ١٠ على الخط الأفقى المرسوم أمامك .

ثانياً : أن تفكر فى اسم الشخص الذى لا تفضل أن تتعاون معه على الاطلاق وتكتب اسمه عند الرقم (صفر) على نفس الخط .

ثالثاً : أن تفكر فى اسم الشخص الذى يمكنك أن تضعه فى مكان متوسط بين الاسمين السابقين من ناحية ميلك للتعاون معه واكتب اسمه عن الرقم (٥) على نفس الخط الأفقى .

يمكنك أن تختار هذه الأسماء من جميع أعضاء المعسكر أو من أى جماعة قابلتها فى حياتك .

رابعاً : مطلوب منك الآن أن تكتب أسماء جماعتك الصغيرة التى تعمل معها فى ميدان العمل كل أمام الرقم الذى يناسبه من ناحية ميلك للتعاون معه .

صفر ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

وقد أجرى هذا التعديل لسببين أولهما تبسيط التعليمات لأنه من المحتمل جداً أن يجد المشرف الذى يقوم بإجراء التجربة صعوبة فى شرح المنحنى الاعتدالى لأفراد لا علاقة لهم على الاطلاق بالرياضيات . كذلك فإن إلزام الفرد باختيار

خمسة أفراد عملية قد لاتنجح لأن معارف وأصدقاء الفرد فى المتوسط لاتزيد كثيراً عن هذا العدد لذلك اكتفى فى التعديل باختيار ثلاثة فقط .

السبب الثانى للتعديل هو تيسير عملية الترتيب التى سيقوم بها الفرد بالنسبة لأعضاء جماعته الصغيرة لذلك وضعت الأرقام من صفر إلى ١٠ مع تثبيت نهايتى المقياس ووسطه : أى وضع أسماء أعضاء من الجماعة الكبيرة عند هذه النقاط الثلاث .

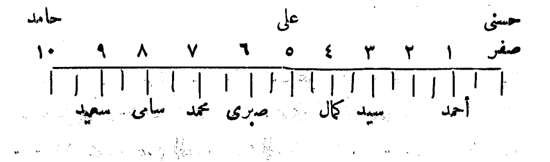
حساب الدرجة السوسيومترية :

اعتمد جاردنر وتومسون على وسائل رياضية معقدة لحساب الدرجة السوسيومترية لكل فرد فى المجموعة وفى الواقع أن هذه الوسائل لامجال لشرحها فى هذا الكتاب أو التعليق عليها لأنها تستلزم جهداً لايتفق مع إمكانيات المعلم أو الإخصائى الاجتماعى .

لذلك فقد قام المؤلف باقتراح طريقة أخرى بسيطة ومناسبة ولاتقل دقة عن طريقة جاردنر وتومسون .

وفيما يلى شرح هذه الطريقة :

واضح من التعديل المقترح أن الفرد سوف يقوم بترتيب أفراد جماعته وليكن عددهم سبعة على الخط الأفقى المرقم من صفر إلى ١٠ ولنعطى المثال التالى للتوضيح :



أو قد يكون كما يلي :

صفر ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

أحمد، سيد (عند ١) — كمال (عند ٤) — صبرى، محمد، سامى (عند ٦) — سعيد (عند ٨)

ومعنى ذلك أنه قد يشترك أكثر من فرد فى درجة واحـــدة إذا أراد المفحوص ذلك .

بعد هذا يمكن ترجمة الخط الأفقى الأول إلى الصورة الآتية :

الفرد	الرتبة
سعيد	٩
سامى	٨
محمد	٧
صبرى	٦
كمال	٤
سيد	٣
أحمد	١

(وفى حالة اشتراك أكثر من فرد فى رتبة واحدة يمنح كل منهما رقم الرتبة

مثال :

أحمد	١
سيد	١
كمال	٤

. . . . . وهكذا

وبطبيعة الحال لن تعتبر هذه الرتبة أو الدرجة هى الدرجة السوسيومترية لأنها حتى هذه اللحظة لاتختلف فى شىء عن الدرجة السوسيومترية التى تحسب على أساس طريقة مورينو .

ولكن سوف نقوم بتوزيع هذا الترتيب على قاعدة المنحنى المعيارى توزيعاً طولياً يعتمد على وحدات الانحراف المعيارى أى إذا كان مدى الانحرافات المعيارية يمتد من — ٢٫٥ إلى + ٢٫٥ فإن طول المقياس يصبح مساوياً لخمس

وحدات معيارية تقسم كل منها إلى قسمين متساويين فيصبح لدينا عشر وحدات متساوية .

ويقتضى ذلك تحويل هذه الرتب أو الدرجات إلى نسبة مئوية معيارية كما يلى :

$$\% = \frac{\text{س} - \text{٥ر}}{\text{ع}} \times ١٠٠$$

حيث تدل س على الرتبة أو الدرجة (٩ فى حالة سعيد مثلا)

، ع على عدد الأفراد وهم عشرة فى هذه الحالة آخذين فى الاعتبار الثلاثة الأفراد الخارجين (حسنى ، على ، حامد) وبتطبيق هذه المعادلة نحصل على النتائج التالية :

$$\text{سعيد } \% = \frac{(٩ - \text{٥ر})}{\text{١٠ع}} \times ١٠٠ = ٨٥$$

$$\text{سامى } \% = \frac{٨ - \text{٥ر}}{١٠} \times ١٠٠ = ٧٥$$

$$\text{محمد } \% = \frac{٧ - \text{٥ر}}{١٠} \times ١٠٠ = ٦٥$$

$$\text{صبرى } \% = \frac{٦ - \text{٥ر}}{١٠} \times ١٠٠ = ٥٥$$

$$\text{كمال } \% = \frac{٤ - \text{٥ر}}{١٠} \times ١٠٠ = ٣٥$$

$$\text{سيد } \% = \frac{٣ - \text{٥ر}}{١٠} \times ١٠٠ = ٢٥$$

$$\text{أحمد } \% = \frac{١ - \text{٥ر}}{١٠} \times ١٠٠ = ٥$$

بعد ذلك نقوم بتحويل هذه النسب المئوية المعيارية إلى درجات على مقياس عشرى باستخدام جداول خاصة فنحصل على النتائج التالية :

الفرد	الدرجة على المقياس العشرى
سعيد	٧ر٠
سامى	٦ر٣
محمد	٥ر٨
صبرى	٥ر٣
كمال	٤ر٣
سيد	٣ر٧
احمد	١ر٨

وعليه فإنه يمكن أن نعتبر هذه الدرجات درجات سوسيومترية لها تقريباً نفس خصائص الدرجات التى اشتقها جاردنر وتومسون بطريقة رياضية أكثر جهداً وتعقيداً .

ــ وهنا يجب أن نلفت النظر إلى أن كون عدد المجموعة عشرة لاعلاقة له باستخدام المقياس العشرى إذ أنه يمكن استخدام هذا المقياس مهما كان عدد المجموعة .

الفصل الثالث

تطبيقات القياس السوسيومترى

تناقش فيما يلى بعض التطبيقات التى يحتاج إليها المعلم أو الإخصائى الاجتماعى أو كل من يحتك فى عمله بمجموعات من البشر لأن العمل الجماعى أصبح من سمات المجتمع الذى تنمو فيه المدرسة والمصنع والمؤسسة ولابد للمشرفين على هذا النوع من العمل أن يتقنوا تماماً عملية القياس والتقدير من أجل تقييم عملية الإنتاج بين حين وآخر وذلك من أجل مستوى أفضل من التفاعل الاجتماعى .

فالمعلم عندما يتعامل مع الأطفال فى المدرسة إنما يتعامل مع مجموعات بشرية لها ديناميتها وتنظيمها وكذلك الحال مع الإخصائى الاجتماعى الذى يتعامل مع الأطفال فى المدرسة أو معهم ومع غيرهم فى المؤسسات الأخرى .

وبالتالى كان لزاما على كل منهما أن يتمرن تماما على كيفية تقدير نمو هذه المجموعات كجماعات نفسية واجتماعية .

وسوف نتعرض فى هذا المجال لأنواع القياسات المختلفة التى يمكن إجراؤها اعتماداً على الاختبار السوسيومترى ونتائجه .

(ا) معامل التأثير :

المقصود بمعامل التأثير هو مدى قدرة الفرد على التأثير فى الجماعة التى ينتمى إليها من الناحية السوسيومترية .

وكما سبق أن أوضحنا عند رسم السوسيوجرام فإننا نلاحظ أن بعض الأفراد يصبحون بؤرة تجمع العلاقات نتيجة للاختيارات التى يحصلون عليها من بقية

أفراد الجماعة . والبعض الآخر لايعيش إلا على هامش الجماعة مكتفياً بملاحظة نشاطها .

وقد يكون أمام المعلم أو الإخصائى أكثر من جماعة ولتكن عدة فصول دراسية على سبيل المثال ويريد أن يقارن بين الزعامات السوسيومترية فى كل جماعة فهنا لايستطيع أن يحكم على مكانة كل زعامة بعدد الاختيارات التى وجهت إليها وإنما يصبح الحكم والمقارنة عن طريق حساب معامل التأثير . وكذلك إذا أراد الإخصائى أن يقارن بين الزعامات التى تظهر فى المجموعة الواحدة أو الفصل الدراسى الواحد .

ويستخدم معامل التأثير على نطاق واسع فى التنبؤ بنتائج المعارك الإنتخابية حيث يحدد قوة المرشح ومكانته فى المجموعة التى ينمى إليها (الحزب السياسى) .

حساب معامل التأثير :

لنفترض أن فصلا دراسياً به ٤٠ تلميذاً يقوم برحلة مشتركة مع فصل دراسى آخر به ٣٢ تلميذاً وتتطلب هذه الرحلة عمليات تجهيز وإشراف وإدارة وغالباً مايلجأ المعلم أو الإخصائى الاجتماعى إلى إشراك التلاميذ فى إدارة الرحلة — أو أى نوع آخر من أنواع النشاط — بهدف التمرين والتدريب .

ولهذا يقوم المعلم باختيار بعض الأفراد للقيام بهذه المهمة ويكون اختياره — إذا كان ملتزما بالمنهج العلمى — مبنياً على قياس سوسيو مترى صحيح . وبطبيعة الحال سوف يكون هناك من يقود هؤلاء الأفراد من بينهم . لذلك يصبح من الضرورى اختيار رئيس لهذه الجماعة الصغيرة وتقوم المشكلة أمام المعلم من أى الفصلين يختار .

يتطلب الأمر إجراء سؤال سوسيومترى عن « الفرد من المجموعة الذى يفضله الآخرون أكثر من غيره كرفيق فى رحلة » ويكون نصه كما يلى :

— أكتب اسم زميلك (من الفصل) الذى تفضله أكثر من غيره كرفيق فى رحلة إلى السد العالى (مثلا) .

. . . .

ويؤخذ فى الاعتبار الاختبار الأول فقط ثم نرسم مصفوفة مبسطة لرصدعدد الاختيارات التى حصل عليها كل فرد . (ولتكن مصفوفة — فؤاد البهى)

فإذا كان عدد المجموعة الأولى ٤٠ تلميذاً .

وأحد أفراد هذه المجموعة حصل على ١٦ اختيار

وإذا كان عدد المجموعة الثانية ٣٢ تلميذاً

وأحد أفراد هذه المجموعة حصل على ١٦ اختيار

فإن أقصى عـــدد من الاختيارات يمكن أن يحصل عليه الأول هو ٣٩ أى ٤٠ — ١ لأن الفرد لن يختار نفسه .

وبالنسبة للثانى يكون ٣١ أى ٣٢ — ١

$$\text{فيكون معامل التأثر بالنسبة للفرد الأول} = \frac{\text{عدد الاختيارات التى حصل عليها}}{\text{عدد أفراد الجماعة} - ١}$$

$$= \frac{١٦}{٣٩} = ٤٠ر$$

$$\text{وبالنسبة للفرد الثانى} = \frac{١٦}{٣١} = ٥٠ر$$

وبالتالى يمكن أن نقول — مبدئياً — أن الفرد الثانى أكثر قدرة على جذب انتباه المجموعة من الفرد الأول لأن معامل تأثيره أعلى . وعليه يمكن للمعلم أن يختاره رئيساً لهيئة الإشراف .

وللتلخيص فإن :

$$\text{معامل التأثير} = \frac{\text{ى}'}{\text{ى} - ١}$$

حيث $ن'$ = عدد الاختيارات التى يحصل عليها الفرد
$ن$ = عدد أفراد المجموعة .

وتتراوح قيمة المعامل بين الصفر والواحد الصحيح . أى أنه فى حالة فشل الفرد فى حصوله على أى اختيار يساوى $\frac{\text{صفر}}{ن - ١}$ = صفر

وفى حالة نجاحه فى الحصول على جميع اختيارات الجماعة يصبح المعامل مساوياً

$$\frac{ن - ١}{ن - ١}$$

أى أنه فى هذه الحالة $ن' = ن - ١$.

(ب) معامل التفاعل النفسى الاجتماعى :

يدل هذا المعامل على نشاط العلاقات النفسية الاجتماعية داخل الجماعة إذ كلما ازداد عدد هذه العلاقات ازدادت الدينامية الظاهرة للجماعة وبالتالى ازدادت الفرصة للاتصال بين أعضائها . والعكس صحيح بطبيعة الحال .

ويستخدم هذا المعامل فى مقارنة الجماعات والتمييز بين الجماعة النشطة والجماعة الخاملة ويمكن للمعلم أو الإخصائى أن يستخدمه فى قياس النمو الاجتماعى للجماعة . فعلى سبيل المثال فى بداية تكوين جماعات للهوايات المدرسية أو أنواع النشاطات الأخرى يلاحظ المعلم أن الجماعة كجماعة نفسية اجتماعية لم تنشط بعد ويكون من واجبه أن يوجه عملية التكوين والتنشيط وبالتالى فإن عليه أن يقيس نمو الجماعة اجتماعياً ونفسياً من حين لآخر .

ويمكن حساب معامل التفاعل النفسى الاجتماعى لأى جماعة إذا أخذنا فى اعتبارنا عدد العلاقات الموجودة بداخلها والنهاية العظمى لعدد هذه العلاقات . ففى جماعة مكونة من ثلاثة أفراد تكون النهاية العظمى لهذه العلاقات هى ٦ .

وفى جماعة مؤلفة من ٤ تكون النهاية العظمى ١٢ علاقة .

أى أنه يمكن القول بأن النهاية العظمى لعدد العلاقات فى أى جماعة =

ن (ن − ١) حيث ن = عدد أعضاء الجماعة .

وإذا كان مجموع العلاقات الموجودة فعلا داخل الجماعة = مجـ ع

(آخذين فى الاعتبار جميع مستويات الاختيار أول أو ثانى أو ثالث وهكذا)

$$\therefore \text{معامل التفاعل النفسى الاجتماعى} = \frac{\text{مجـ ع}}{\text{ن} (\text{ن} - ١)}$$

ونفرض الآن أن فى الجماعتين السابق الإشارة إليهما (فصل ٤٠ تلميذ وفصل ٣٢ تلميذ) وجد أن عدد العلاقات فى الجماعة الأولى ٩٠٠ علاقة وعدد العلاقات فى المجموعة الثانية أيضا ٩٠٠ علاقة .

$$\therefore \text{معامل التفاعل (١)} = \frac{٩٠٠}{٤٠ \times (٤٠-١)} = \frac{٩٠٠}{١٥٦٠} = \text{ر٦}$$

$$\text{، معامل التفاعل (٢)} = \frac{٩٠٠}{٣٢\,(٣٢-١)} = \frac{٩٠٠}{٩٩٢} = \text{ر٩}$$

وبذلك تكون المجموعة الثانية أكثر نشاطاً من الناحية الاجتماعية ونمو العلاقات من المجموعة الأولى .

وعلى ذلك فإن سرعة وسهولة الاتصال فى المجموعة الثانية تفوق نظيرتها فى المجموعة الأولى وبالتبعية فإن العلاقات العامة فيها تكون أكثر نضجاً وتعضياً .

(حـ) معامل ثبوت الجماعة :

الاستقرار والثبوت النسبى من خصائص الجماعة ولو أنها تعرف أحيانا على أنها تنظيم مفتوح بمعنى استعدادها لاكتساب أفراد أو فقد أفراد تحت الظروف العادية .

ويمكن تقدير ثبوت أى جماعة بثبوت عدد أعضائها فكلما كثر استبدال فى عناصرها بمعنى دخول أعضاء جدد وخروج أعضاء سابقين كلما كانت الفرصة لاستمرار الجماعة كجهاز اجتماعى فرصة ضعيفة .

فعلى سبيل المثال إذا تكونت فى المدرسة جماعة تضم هواة جمع الطوابع البريدية وظل يحدث فيها تبديل وتغيير لأعضائها بمعنى أن ينضم إليها عضو ويخرج أعضاء آخرون أصبح من الصعب علينا أن نقول أن هذه الجماعة تحولت إلى جماعة اجتماعية نفسية إذا قورنت بجماعة الرحلات مثلا التى اتخذ تركيبها صفة الثبوت والاستقرار .

وعليه فإنه من الضرورى معرفة معامل ثبوت الجماعة من حين لآخر حتى يستطيع المعلم أو الإخصائى أن يحمى جماعة من الجماعات من الضعف والانقراض ويحسب هذا المعامل كما يلى :

نفترض أن عدد أعضاء جماعة ما (قبل حدوث التغيير)	ه
وأن عدد أعضاء الجماعة (بعد التغيير)	ب
وأن عدد الأفراد الذين قاوموا التغيير	ن

$$\therefore \text{يصبح معامل الثبوت} = \frac{\text{٢ ن}}{\text{ه + ب}}$$

فإذا افترضنا أن جماعة هواة الطوابع البريدية تكونت وعددها	١٨
ثم خرج من عضويتها	٦
فأصبح الباقى بعد ذلك	١٢
ثم انضم للجماعة	١٠
فيصبح عددها بعد التغيير =	٢٢

$$\therefore \text{معامل الثبوت} = \frac{\text{٢} \times \text{١٢}}{\text{١٨ + ٢٢}} = \text{٦ر}$$

(د) الجماعات الداخلية والجماعات الخارجية :

يعتبر هذا الموضوع من أهم التطبيقات السوسيومترية التى يجب أن يعنى بها المعلم والإخصائى الاجتماعى . لأن هذا الموضوع يتصل اتصالا وثيقاً بحدود الجماعات التى تفرضها القيود القائمة وتمرد أفراد كل جماعة على هذه الحدود .

فعلى سبيل المثال نجد فرداً عضواً فى جماعة معينة يشترك فى نشاطها ويقوم بدوره فيها ولكنه فى نفس الوقت يتجه باختياره إلى جماعة أخرى . فالجماعة الأولى بالنسبة للفرد تعتبر جماعة داخلية وأما الأخرى التى تستأثر باختياره فهى جماعة خارجية .

فالطفل عضو فى فصل ٣ / ا على سبيل المثال يزاول نشاطه فيه ويقوم بدوره بين بقية أعضاء الفصل ولكنه يعطى اختياره — إذا أتيحت له الفرصة لطفل فى فصل ٣ / ب . فيمكن أن نعتبر أن ٣ / ا جماعة داخلية وفصل ٣ / ب جماعة خارجية .

وأهمية البحث فى هذا الموضوع تتلخص فى الكشف عن مدى تماسك الجماعة داخليا ولهذا فقد اقترح مورينو وجننجز مايسمى بمعامل التماسك الداخلى للجماعة إذ يأخذ فى اعتباره العلاقات الداخلية . أى التى تحدث داخل الجماعة والعلاقات التى يعطيها أعضاء الجماعة إلى الجماعة الخارجية والعلاقات التى تأتى من الخارج إلى أعضاء الجماعة الداخلية .

ولحساب هذا المعامل نفترض :

أن عدد العلاقات الداخلية ء

» » العلاقات التى تخرج من الجماعة هـ

» » » التى تدخل إلى الجماعة ل

» » أفراد الجماعة الداخلية م

أن عدد أفراد الجماعة الخارجية الذين يستقبلون الاختيار م

∴ يصبح معامل التماسك الداخلي $$\frac{\text{م (ى + ل)}}{\text{ن هـ}}$$

فى جماعة مكونة من ٣٠ فرداً وجد أن العلاقات الداخلية ٣٠ وأن العلاقات المتجهة إلى الخارج ٤٥ وأن عدد العلاقات الآتية من الخارج ٢٠ وأن عدد أفراد الجماعة الخارجية المستأثرين بالعلاقات الآتية من الداخل ٢٥ :

فيكون معامل التماسك الداخلي للجماعة الداخلية هو .

$$\frac{\text{٢٥ (٣٠ + ٢٠)}}{\text{٣٠} \times \text{٤٥}} = \text{٩ر}$$

وبالتالى فإن تماسك هذه الجماعة ضعيف لأن معامل التماسك يقل عن الواحد الصحيح .

وحقيقة الأمر أن هذا المعامل يزداد إذا زادت ثلاث عوامل :

(ا) عدد أفراد الجماعة الخارجية المستأثرين بالعلاقات الآتية من داخل المجموعة .

(ب) عدد العلاقات الداخلية الحادثة فى الجماعة .

(حـ) عدد العلاقات الآتية من خارج الجماعة .

وكلما زاد المعامل كلما زاد التماسك الداخلي للجماعة ولكن ليس هناك كشف إحصائى يبين وضوح هذا المعامل .

لذلك يقترح المؤلف طريقة إحصائية أخرى لتحديد العلاقة بين الجماعة الداخلية والخارجية تمتاز عن الطريقة السابقة فى أن لها كشف وضوح إحصائى خاص (إدواردز — بنفولد ، سعد عبد الرحمن ١٩٦٣) يجعلنا نتأكد من دلالة المعامل المقترح ويسمى « معامل جاذبية الجماعة ». وهذا المعامل يأخذ فى اعتباره « نسبة

الاهتمام ، وهى توضح مدى تركيز الاختيارات داخل الجماعة ويمكن الحصول عليها من القانون التالى :

$$\frac{ص}{ن\ س}$$

حيث ص هى عدد الاختيارات داخل المجموعة ، ن عدد أعضاء المجموعة ، س = عدد الاختيارات بالنسبة للفرد الواحد .

ويأخذ فى اعتباره كذلك « نسبة التأثير » أى مدى قدرة الجماعة الداخلية على التأثير فى جماعة أخرى وانتزاع الاختيار منها .

ويمكن الحصول على نسبة التأثير من القانون الآتى :

$$\frac{ص'}{ن'\ س}$$

حيث ص' هى عدد الاختيارات الآتية من الخارج ، ن' عدد أعضاء الجماعة الخارجية .

ومن هاتين النسبتين يمكن الحصول على مقياس كى يبين مدى تفضيل أعضاء الجماعة الداخلية لجماعتهم ومدى تأثيرها على الجماعة الخارجية .

« فنسبة الاهتمام » هى عبارة عن عدد الاختيارات داخل الجماعة ÷ العدد الكلى للاختيارات فى داخل الجماعة .

« ونسبة التأثر » هى عبارة عن عدد الاختيارات الآتية من الخارج ÷ العدد الكلى للاختيارات فى الجماعة الخارجية :

لذلك عند إضافة هاتين النسبتين كل منهما للآخر نلاحظ مايلى :

نفترض أن $ج_١$ ، $ج_٢$ مجموعتان .

ص عدد الاختيارات داخل $ج_١$ بواسطة أعضائها .

ن عدد أعضاء $ج_١$

س عدد الاختيارات بالنسبة للفرد الواحد فى $ج_١$

∴ عدد الاختيارات الكلية التى أعطتها $ج_١$ = ن س

∴ عدد الاختيارات التى أعطاها أعضاء $ج_1$ إلى أعضاء $ج_2$

$$= ه س - ص$$

وتصبح « نسبة الاهتمام » بالنسبة لـ $ج_1$ $= \frac{ص}{ه س}$ (١)

« « نسبة التأثير » بالنسبة لـ $ج_2$ $= \frac{ه س - ص}{ه س}$ (٢)

ويجمع (١) + (٢) ينتج مايلى $\frac{ص}{ه س} + \frac{ه س - ص}{ه س}$

$$= \frac{ه س}{ه س} = ١$$

أى أن مجموع « نسبة الاهتمام » لإحدى المجموعتين « ونسبة التأثير » للمجموعة الأخرى = الواحد الصحيح .

وبمعنى آخر يمكن أن نقول أن مجموع النسبتين لكلا المجموعتين = ٢

وعلى هذا الأساس يقترح « معامل جاذبية الجماعة » ويساوى مجموع نسبة التأثير ونسبة الاهتمام لنفس المجموعة . فإذا فرضنا أن س = ١

أى عدد الاختيارات بالنسبة لكل فرد هو ١

∴ معامل جاذبية الجماعة $= \frac{ه صَ + ص هَ}{ه هَ}$

حيث ص = عدد الاختيارات الداخلية

صَ = « « الآتية من الخارج

ه = « أعضاء الجماعة الداخلية

هَ = « « « الخارجية

فإذا فرضنا الآن أن المجموعة رقم ا عددها ٦٨ عضواً

والمجموعة رقم ب عددها ٣٥ .

وأن عدد الاختيارات الداخلية فى المجموعة ا هو ٥٤ اختياراً

• وعدد الاختيارات الآتية إليها من المجموعة ب هو ٢٨ اختياراً

∴ معامل جاذبية الجماعة ا $= \frac{٦٨ \times ٢٨ + ٥٤ \times ٣٥}{٦٨ \times ٣٥} =$ ١ر٥٩

ويمكن الكشف عن وضوح هذا المعامل إحصائياً بتحويله إلى نسبة خاصة فإذا زادت هذه النسبة عن ١ر٩٦ أو ساوت هذه القيمة كان المعامل واضحاً عند مستوى ٠٥ر وإذا كانت تساوى أو تزيد عن ٢ر٥٧ كان المعامل واضحا عن مستوى ٠١ر.

وعلى سبيل المثال فإنه عند تحويل المعامل السابق ١ر٥٩ إلى نسبة خاصة فإنه يساوى — ٣ر وبذلك يصبح واضحا عند ٠١ر.

(ه) تقدير شدة العلاقات الاجتماعية :

يمكن أن نصنف العلاقات الاجتماعية فى أى جماعة من الجماعات إلى ثلاثة أنواع فعلاقة الاختيار أو التفضيل ونرمز لها بالرمز + ١ وعلاقة الحياد ونرمز لها بالرمز صفر وعلاقة الرفض ونرمز لها بالرمز — ١

فلو كان لدينا مجموعة مكونة من عشرة أشخاص وطلبنا من كل واحد منهم أن يحدد موقفه من الآخرين إما اختيار (+ ١) أو رفض (— ١) أو حياد (صفر) فإنه يمكن رصد هذه العلاقات فى الجدول التالى :

أعضاء الجماعة	١	٢	٣*	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	ج
١		+١	−١	+١	+١	−١	−١	+١	+١	+١	٣
٢	+١		+١	−١	−١	+١	+١	−١	−١	+١	١
٣	−١	−١		۰	۰	+١	+١	+١	+١	−١	٣
٤	+١	+١	+١		۰	−١	−١	+١	+١	+١	٤
٥	−١	+١	+١	+١		۰	۰	۰	−١	+١	٢
٦	+١	+١	+١	+١	+١		−١	−١	−١	۰	٢
٧	−١	−١	+١	+١	+١	+١		−١	−١	۰	صفر
*٨	+١	+١	+١	+١	+١	+١	−١		−١	−١	٣
٩	۰	۰	+١	+١	+١	−١	−١	+١		+١	٣
١٠	−١	−١	−١	+١	−١	+١	+١	+١	۰ ۰		صفر
	صفر	٢	٥	٦	٣	٢	−٢	٢	−٢	٥	٢١

ويمكن كذلك تفسير هذا الجدول كما يلى :

باعتبار السطور الأفقية فإنها تدل على علاقة الأفراد الآخرين بالفرد الذى يقع رقمه فى أول السطر الأفقى فالفرد رقم (٨) يختاره الأفراد رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، فى حين أن الأفراد ٧ ، ٩ ، ١٠ يرفضوه .

وباعتبار الأعمدة الرأسية فإنها توضح علاقة الفرد نحو الأفراد الآخرين فالفرد رقم ٣ يرفض الفرد رقم ١ ثم يختار الفرد رقم ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ويرفض رقم ١٠ .

مجموع عدد العلاقات داخل هذه الجماعة تساوى ٢١ .

∴ يمكن القول أن متوسط شدة العلاقات داخل الجماعة =

$$\frac{\text{مجموع العلاقات}}{\text{ن}(\text{ن}-١)}$$

∴ متوسط الشدة = $\frac{٢١}{٩٠}$ = ٢٣ ر

درجة استجابة الجماعة للفرد :

تدل السطور الأفقية فى الجدول السابق كما أوضحنا على علاقة بقية أفراد الجماعة بفرد معين وكان مثلنا الفرد رقم (٨) ويمكن قياس متوسط شدة علاقة بقية أفراد الجماعة نحو الفرد ٨ كما يلى :

متوسط شدة العلاقة نحو الفرد = $\frac{\text{مجموع استجابات الجماعة للفرد}}{\text{ن} - ١}$

= $\frac{٣}{١٠ - ١}$ = ٣٣ ر

حيث ن = عدد أعضاء الجماعة

درجة استجابة الفرد للجماعة :

فى هذه الحالة نستفيد من نوع الاستجابات التى يعطيها الفرد لبقية أفراد الجماعة كما توضحها الأعمدة الرأسية فى الجدول السابق وتبينها حالة الفرد رقم (٣).

فإن درجة استجابة الفرد رقم (٣) لبقية أفراد المجموعة

= $\frac{\text{مجموع استجابات الفرد للجماعة}}{\text{ن} - ١}$

= $\frac{٥}{١٠ - ١}$ = ٥٥ ر

حيث ن = عدد أعضاء الجماعة

وهناك بطبيعة الحال استجابة متبادلة بين الفرد والجماعة وتدل فى حقيقتها على مدى التكيف الاجتماعى للفرد إذ كلما كانت علاقة الجماعة بالفرد علاقة

موجبة وكلما كانت علاقته بهـا موجبة كلما ازدادت درجة التكيف الاجتماعى للفرد .

∴ يمكن تقدير درجة التكيف الاجتماعى للفرد كما يلى :

$$\frac{\text{مجموع الاستجابات الرأسية والأفقية للفرد}}{٢ (ه - ١)}$$

حيث ه = عدد أعضاء الجماعة

فعندما نقارن درجة التكيف الاجتماعى للفرد رقم (٣) والفرد رقم (٤) فإننا نلاحظ ما يلى :

$$\text{درجة تكيف الفرد رقم ٣} = \frac{٥ + ٣}{٢ \times ٩} = \frac{٨}{١٨} = ٤٤ر$$

$$\text{درجة تكيف الفرد رقم ٤} = \frac{٤ + ٦}{٢ \times ٩} = \frac{١٠}{١٨} = ٥٥ر$$

وبذلك يكون الفرد رقم (٤) أكثر قدرة على التكيف مع المجموعة من الفرد رقم (٣) .

ويستخدم هذا القياس لمعرفة مدى قدرة الفرد على الدخول إلى حيز جماعات جديدة عليه كما يستخدم كذلك فى حالة اختيار القيادات والزعامات فى الجماعة .

الاستفادة من القياس السوسيومترى :

لا يمكن أن نعتبر الاختبار السوسيومترى وسيلة للقياس والتقدير فقط ولكنه أيضاً وسيلة تعاون المعلم والإخصائى الاجتماعى على إتمام العملية الاجتماعية كاملة سليمة بين أفراد المجموعة .

فقد سبق أن عالجنا الأختبار السوسيومترى وما يترتب على تحليل نتائجه وكيفية تحليل هذه النتائج والأدوات المستخدمة لهذا الغرض . وكان من أهم هذه الأدوات السوسيوجرام والمصنوفة الاجتماعية التى يمكن الاستفادة منها فى أغراض كثيرة سوف نتعرض لها بالوصف والمناقشة .

(ا) إجابة رغبات الافراد :

لنفترض الآن أن الموقف السوسيومترى الذى يتضمنه السؤال هو اختيار الطفل لمن يجلس بجانبه فى الفصل . فيصبح الإجراء الضرورى حسب شروط مورينو بعد تطبيق السؤال السوسيومترى أن يقوم المعلم بإجابة اختيارات الأفراد من حيث إعادة ترتيب الجلوس فى حجرة الدراسة . وتكون هذه هى الفرصة الحقيقية أمام المعلم أو الإخصائى الاجتماعى ليشعر أفراد الجماعة بأهمية استجاباتهم للموقف السوسيومترى والمبدأ الذى يقوم عليه تنفيذ هذا الأمر هو أن يعطى كل فرد أقصى درجة من درجات الاكتفاء النفسى بحيث يضمن ذلك أقصى درجات النشاط الاجتماعى داخل المجموعة . وبمعنى آخر يجب أن نعطى للطفل أحسن فرصة لتحقيق رغبته دون أن يتعارض ذلك مع الإطار العام لرغبات بقية الأفراد .

ولتحقيق ذلك هناك عدة خطوات نسوقها من واقع الخبرة العملية :

١ — نبدأ بأفراد الجماعة الذين لم يحصلوا على أى اختيار . أو الذين حصلوا على اختيارات قليلة جداً وتحقق لهم الرغبة الأولى فى الاختيار .

فإذا فرضنا أن الطفل محمود اختار حسن وعلى ومحمد بالترتيب. ومحمود فى حد ذاته لم يحصل على اختيار أحد . ففى هذه الحالة يجب أن يجلس الطفل محمود بجوار حسن وذلك حسب اختياره الأول .

٢ — يأتى بعد ذلك دور الروابط المزدوجة حتى ولو لم تكن من نفس

الدرجة . فإذا كانت هناك رابطة مزدوجة بين الفردين أحمد وعلى من الدرجة الأولى أى [أحمد] ⇄ [على] فيكون من السهل تحقيق ذلك .

وأما إذا كان أحمد يختار عباس ثم حسنى ثم حسنين بالترتيب ولكن عباس وحسنى لم يختر أحدهما أحمد بينما حسنين يختار أحمد . فيكون هناك رابطة مزدوجة بين حسنين وأحمد وإن كانت ليست من نفس الدرجة وبالتالى يتم تحقيق رغبة حسنين وأحمد .

٣ ــ قد يحدث أن يختار الطفل بعض الأطفال ولكنه يتلقى اختيارات من أطفال غيرهم فى هذه الحالة يعطى الطفل اختياره الأول وذلك تحقيقاً للمبدأ الذى يقوم عليه تنفيذ الرغبات السوسيومترية للأفراد .

٤ ــ فى حالة وجود رفض من بعض أعضاء الجماعة للبعض الآخر يلاحظ تماماً عدم بذل أى ضغط لتغيير الوضع السوسيومترى قبل دراسة الحالة من الوجهة السيكلوجية .

٥ ــ تجرى مراجعة عامة أخيرة على التوزيع بعد الانتهاء من تحقيق الرغبة السوسيومترية لنتأكد من أن كل طفل قد تحققت أحد اختياراته .

بعد إتمام هذه العملية يكون المعلم أو الإخصائى قد استخدم الاختبار السوسيومترى فى أولى أغراضه .

(ب) مساعدة الحالات الفردية :

إن من أهم أغراض عملية تحسين العلاقات الإنسانية مساعدة الأفراد على الإحساس بالأمن والطمأنينة داخل إطار الجماعة البشرية التى ينتمون إليها . ومن دواعى إحساس الفرد بالأمن والطمأنينة إحساسه بأهمية الدور الاجتماعى الذى يلعبه ويشارك به ضمن نشاط الجماعة .

فإذا كانت الظروف الاجتماعية التى يتعرض لها الفرد تناسب إمكانياته النفسية

وتتفق مع اختياراته فى مواقف النشاط المختلفة أسهم ذلك فى إحساسه بالأمن وبأهمية الدور الذى يؤديه .

وبطبيعة الحال فإن ذلك لن يتأتى إلا نتيجة لتنظيم سوسيومترى يخضع لرغبة الفرد ويسد حاجة الجماعة .

وقد يتضح ذلك من حالة طفل فى حوالى الرابعة عشر من العمر فى إحدى المدارس الصناعية كان دائماً تختاره إدارة المدرسة لمواقف متميزة كرافقة الزائرين مثلا أو إذاعة النشرات الإعلامية أوما إلى ذلك. وعند تطبيق اختبار سوسيومترى اتضح أن هذا الطفل غير مرغوب فيه كرفيق فى العمل بواسطة زملائه فى الدراسة . وأصبحت هذه النتيجة مصدر قلق لإدارة المدرسة حيث أنهم كانوا يعدون هذا الطفل وغيره لمراكز القيادة فى المدرسة .

وحقيقة الأمر أنه بجانب التدريب الذى كانت تزاوله إدارة المدرسة كان هناك نوع من الاهتمام الزائد بالنسبة لهذا الطفل بالذات وهذا ما أدى بزملائه — وخاصة فى هذه المرحلة السنية — إلى رفضه كرفيق فى العمل . ولو لم يكن الاختبار السوسيومترى لما أمكن لإدارة المدرسة أن تتبين الوضع تماما .

وحالة طفل آخر فى المرحلة الابتدائية كانت تستلفت الانتباه فإن ملاحظة المعلمة كانت تؤكد أن لهذا الطفل أصدقاء كثيرين وأنه عادى من ناحية علاقاته ببقية الأطفال . وعند تطبيق الاختبار السوسيومترى وجدت المعلمة أن هذا الطفل يعطى اختيارات ولكنه لا يتلقى أى اختيار وذلك يخالف ملاحظة المعلمة .

وكان هذا الأمر يستحق الدراسة فبعد عدة مقابلات شخصية مع الطفل ومع من يحتك بهم من الاطفال الآخرين وجدت أن الطفل فى علاقاته يميل إلى السيطرة وقليل من العدوانية .

وهذا يفسر إلى حد معقول المظهر الذى يبدو عليه الطفل من وجود صداقات له ولكن فى الواقع إذا أتيحت الفرصة لبقية الأطفال فإنهم سوف يعبرون بصدق عن اختياراتهم .

ويبقى بعد ذلك الدور العلاجى الذى يجب أن تقوم به المعلمة لتهذيب سلوك مثل هذا الطفل .

يتضح من هذا أن الاختبار السوسيومترى ثم تحليل نتائجه يساعد المعلم والإخصائى الاجتماعى على الكشف عن الأفراد الذين يحتاجون إلى اهتمام خاص أو علاج من نوع معين .

فالأطفال المنعزلين على سبيل المثال يمثلون خطورة على التنظيم السوسيومترى للجماعة فإنهم يعتبرون أضعف النقاط فى بنائها ويمكن أن يبدأ إنحلال التركيب من هذه النقاط . فعلى سبيل المثال يمكن ان ينضم الطفل المنعزل إلى جماعة أخرى أو يرفع مستوى التذمر فى جماعة بأن يطلق إشاعة أو يسلك سلوكا مضاداً للمعايير الاجتماعية المتعارف عليها .

وقد يكون الطفل المنعزل نقطة تعبر منها الجماعة الخارجية إلى تركيب الجماعة الداخلية وبالتالى تستطيع الجماعة الخارجية أن تسيطر وتسود .

لذلك كان من الضرورى على أعضاء الجماعة أو المشرفين عليها أن يوجهوا عناية خاصة للأفراد المنعزلين (الذين لا يعطون أو يتلقون أى اختيارات)حتى يدخلوا إلى التركيب الحقيقى للجماعة . ويقتربوا من مراكز التفاعل الاجتماعى فيها .

كما يجب أن نلاحظ أيضاً كثرة وجود الروابط المزدوجة أو الاختيار المتبادل بين فردين . فقد يدل ذلك على وجود علاقة بين هذين الفردين لا تتمشى مع الإطار العام لعلاقات الجماعة مثل علاقات الشذوذ أو الإنطواء .

ولذلك كان من الضرورى دراسة السمات الشخصية المميزة لكل عضو يدخل

فى مثل هذه العلاقة المزدوجة والطريقة المتبعة لذلك هى المصفوفة الاجتماعية التى صممها المؤلف والتى سبق وصفها .

(ح) إعادة النظر فى تقاليد الجماعة :

أقصد بهذا أن الإختبار السوسيومترى وتحليل نتائجه قد يكون سبباً أساسياً فى إعادة النظر فى تقاليد الجماعة والعمليات الروتينية التى تتم فى حياتها اليومية .

فهذه التقاليد والعمليات الروتينية ينعكس أثرها على التفاعل الاجتماعى بين أفراد الجماعة . وهو مايكشف عنه الاختبار السوسيومترى فعلى سبيل المثال فى المدرسة الابتدائية وهى مدرسة مشتركة للجنسين يلاحظ عند إجراء الاختبار السوسيومترى وخاصة فى الصفين الخامس والسادس أن هناك انفصال كامل بين اختيارات الجنسين أى أن البنين يختارون فيما بينهم والبنات يخترن فيما بينهن . وفى هذا يمكن أن نقول أن المجموعة غير متكاملة .

وهناك أكثر من تفسير لهذه الظاهرة فقد تكون طبيعة المرحلة السنية التى يمر بها الأطفال تدعوهم إلى تكوين مجموعات إحادية الجنس ولكن هذا لن يمنع أن تكون هناك اختيارات اجتماعية مشتركة فى بعض المواقف . كذلك فإن هذه الظاهرة إن وجدت فى إحدى المدارس فلن تكون هى الصفة الغالبة فى معظم المدارس المشتركة .

وهناك تفسير آخر وهو أن طبيعة التقاليد التى يفرضها المجتمع فى البيئة المحلية التى تخدمها المدرسة يحتم عدم الاختلاط بين الجنسين من الوجهة الاجتماعية إلا أنه فى معظم المناطق الريفية نجد أن المدارس الابتدائية مشتركة والاختلاط بين الجنسين أمر عادى .

والتفسير الثالث والأرجح — إذا لوحظت هذه الظاهرة — هو أن التقليد والروتين الذى تفرضه إدارة المدرسة بل السلوك العام لهيئة الإشراف والتدريس هو الذى أدى إلى مثل هذا الانفصال الذى أوضحه الاختبار السوسيومترى .

لذلك يصبح من الضرورى أن تعيد إدارة المدرسة النظر فى التقاليد التى تفرضها والروتين الذى تزاوله بين هيئة الإشراف والأطفال .

وفى مدرسة أخرى عند إجراء الاختبار السوسيومترى لوحظ أن هناك تخلف من الناحية السوسيومترية بين الأطفال فكثير منهم لم يختر أكثر من واحد والبعض لم يختر على الإطلاق على الرغم من أن المرحلة السنية التى يمر بها هؤلاء الأطفال من أهم خصائصها تكوين الصداقات .

وقد كانت الحالة جماعية تستدعى الدراسة والنظر فقد كانت معظم الاختيارات إما منفردة أى متجهة من فرد إلى آخر دون أن يعود إليه شىء أو روابط مزدوجة بمعنى وجود اختيار متبادل بين فردين منعزلين تماماً عن بقية التركيب الاجتماعى المفكك وبمعنى آخر فقد كان السوسيوجرام يمثل جماعة أصغر سناً بحوالى ثلاث أو أربع سنوات .

بدراسة هذه الظاهرة بين الأطفال كانت الإجابات تقريباً متشابهة لجميعهم كان يقول — أثناء الأسئلة الشفوية — أنا لا أعرف الكثيرين فى هذه المدرسة أو علاقتى سطحية بكل زملائى أو لم أجد أصدقاء حتى الآن فى هذه المدرسة .

وحقيقة الأمر أن من تقاليد هذه المدرسة أن الكلام ممنوع أثناء لقاء الأطفال فى فترات مابين الدروس وكذلك تكوين الشلل أو المجموعات أثناء الفسحة القصيرة المخصصة لتناول طعام الغذاء وممنوع أيضاً السير فى مجموعات من من الفصل إلى المعمل والعكس بل لابد من السير فى طابور منظم كل طفلين معاً .

واضح مما سبق أن العملية الاجتماعية لايمكنها أن تنمو نمواً عادياً تحت مثل هذه الظروف ولابد من أن تعيد إدارة المدرسة النظر فى هذه التقاليد التى تفرضها على حياة الأطفال فى المدرسة .

من المثالين السابقين نستطيع أن نقول أن الاختبار السوسيومترى يساعد الجماعة على اكتشاف أثر التقاليد على التفاعل الاجتماعى بين أفرادها كما يساعدها كذلك على إعادة النظر فى هذه التقاليد إذا لزم الأمر .

(د) تكوين جماعات العمل :

يمكن استخدام السوسيوجرام كما سبق الإشارة إلى ذلك فى تكوين المجموعات الصغيرة التى سوف يعمل أعضاؤها سوياً إما فى المدرسة أو فى أى مكان آخر .

ويمكن أن نستفيد من جميع مستويات الاختيار سواء اختيارات الدرجة الأولى أو غير ذلك .

وعلى المعلم عندما يلاحظ أن هوايات بعض الأطفال متشابهة فى أثناء العمل الدراسى عليه ألا يتجاهل ذلك وأن يبدأ فى تكوين جماعات العمل بناء على نتائج السيوسيوجرام والمقصود بجماعات العمل هنا المجموعات من الأطفال التى يعمل أفرادها سوياً فى الحقل العملى : فى المعامل أو فى الورش إذا كانت مدرسة فنية أو الجماعة المشرفة على الإذاعة المدرسية وهكذا .

ويجب أن نلاحظ أن الجماعة لم تتكون لإرضاء رغبة الطفل فى الاختيار فقط ولكن أيضا تكونت هذه الجماعة وهدفها موازنة القدرات والمهارات حتى تحتفظ للجماعة بأعلى درجة من درجات التفاعل والحركية .

وعند تكوين جماعات العمل نلفت النظر إلى هذه الملاحظات وهى من واقع الخبرة العملية :

١ ـ يجب أن يتناسب حجم الجماعة مع أقصى عدد لاختيارات الأطفال حتى لايضطر المعلم أو الإخصائى إلى تكوين جماعة غير متجانسة من الناحية السوسيومترية .

٢ ـ على المعلم أن يلاحظ المجموعات المقفلة Cliques فلا يكون منها مجموعة عمل حتى لايظل أعضاؤها بعيدين عن تركيب الجماعة ولذلك عليه إما أن يضيف إلى هذه المجموعة المقفلة طفلين أو ثلاثة كأعضاء جدد فى مجموعة العمل أو أن يفصل عنها طفلين أو أكثر .

٣ ـ على المعلم أن يلاحظ تكوين المجموعات من ناحية السن والخبرة

والمهارة الفنية المطلوبة فى هذا النوع من العمل حتى يضمن وجود تفاوت معقول فى هذه المتغيرات لتظل المجموعة نشطة حركية .

٤ — يجب كذلك توزيع الأطفال الذين لم يخترهم أحد على جميع المجموعات بحيث لايزيد عددهم عن إثنين لكل ستة أفراد وذلك حتى لايتسببوا فى ركود التفاعل الاجتماعى داخل المجموع .

(هـ) تكوين جمعيات النشاط :

كثير من المدارس والمؤسسات تكون جمعيات النشاط بها بأن تعلق قائمة بأسماء هذه الجمعيات وتترك الاختيار للأطفال بحيث يتقدم إلى كل جمعية من هذه الجمعيات من يرغب فى مزاولة نشاطه داخل هذه الجمعية .

ولكن يظل هناك سؤال حائر فى ذهن الطفل من سيكون معه فى الجمعية التى سوف ينضم إليها .

والإجابة على هذا السؤال تكمن فى نتيجة السوسيوجرام الذى يبين رغبة الطفل فى مرافقة عدد ما من الأطفال داخل أى جمعية من جمعيات الهوايات فعلى المعلم بعد ذلك أن يبدأ بطريقة جديدة فى توزيع الأطفال على جماعات النشاط باستخدام الموقف السوسيومترى كوسيلة لتكوين جمعيات النشاط والهوايات المختلفة .

فكثيراً ما يستطيع الطفل أو بمعنى أصح يرغب فى أن يزاول أكثر من نشاط ولكنه قد يفضل النشاط الذى يرافقه فيه طفل آخر يؤثر صحبته أكثر من غيره .

ولهذا يصبح من مهام المعلم أو الإخصائى الاجتماعى قبل تكوين جماعات النشاط فى المدرسة أو المؤسسة أن يستخدم الاختبار السوسيومترى موضحا للأطفال أن الهدف من هذا هو تكوين جماعات النشاط وأن عليهم أن يختاروا الآخرين الذى يحبون أن يزاولوا نشاطهم معهم .

ثم يقوم المعلم بعد ذلك بتصنيف رغبات الأطفـــال حسب الأسس التى سبق مناقشتها .

(و) التحليل العلاجى للجماعة :

تعتبر هذه الوظيفة من أهم وظائف الاختبار السوسيومترى والسوسيوجرام وذلك لأن الأخـــير كما سبق أن أوضحنا يبين تركيب الجماعة ومجالات القوة والضعف فيها .

واستخدام السوسيوجرام فى عملية التحليل العلاجى للجماعة لايتم إلا فى ظروف تمارس الجماعة فيها نوعا من النشاط العلاجى .

فالجماعة العادية يمكن أن نكتشف فيها عن طريق السوسيوجرام الأفراد الذين يحتاجون إلى عناية خاصة وعلاج اجتماعى حتى يستطيعوا أن يدخلوا إلى الحيز الحقيقى لتفاعل الجماعة .

وبطبيعة الحال فإن هؤلاء الأفراد ـــ سواء كانوا منعزلين أو فاشلين فى اجتذاب اختيار المجموعة أو مرتبطين بعلاقة مزدوجة ـــ يحتاجون إلى نوع خاص من التدريب على السلوك الاجتماعى السليم .

وهذا التدريب هو مايتم فى مجموعات تسمى بالمجموعات العلاجية تحت إشراف إخصائى نفسى متمرن .

ويعتبر السوسيوجرام هو الوسيلة الممكنة والسهـلة التى تكشف عن النمو الاجتماعى للافراد داخل المجموعة كما تدل كذلك على تكامل الجماعة .

وبالتالى كان لابد أن يجرى الاختبار السوسيومترى وأن يرسم السوسيوجرام من حين لآخر أثناء عملية العلاج الجمعى حتى يستطيع الإخصائى النفسى أن يقرر مدى تقدم الجماعة نحو مرحلة التكامل .

ويجب أن نلفت النظر فى هذا المكان إلى أن المجموعات العلاجية تكون أكثر حساسية للاختبار السوسيومترى من المجموعات العامة فى السوسيوجرام

الأول نلاحظ كثرة الروابط المزدوجة والعلاقات المنفردة ويأخذ الإخصائى الاجتماعى الإنطباع الذى يؤكد ركود العلاقات الاجتماعية داخل المجموعة . ولكن فى السوسيوجرام الثانى وخاصة إذا رسم بعد عدة اجتماعات نلاحظ تغيراً سريعاً فى تركيب الجماعة بمعنى وجود علاقات دائرية وجماعات مقفلة لا يزيد عدد أفرادها عن ثلاثة .

وفى السوسيوجرام الثالث يحدث تغـــير آخر فى تركيب الجماعة وهكذا ولا يكون التغيير فى اتجاه واحد دائماً أى أن هناك نكسات متوقعة فى علاقات الجماعة أثناء عملية العلاج .

والواقع أن موضوع العلاج الجمعى أو المجموعات العلاجية من الموضوعات ذات الأهمية الخاصة للمعلم أو الإخصائى الاجتماعى وخاصة إذا فهم كلا منهما طبيعة وفلسفة الوظيفة التى يجب أن يؤديها .

ولذلك فسوف نفرد الفصل التالى لمناقشة هذا النوع من العلاج .

الفصل الرابع

المجموعات العلاجية

(أولا) النظرية :

ترجع فكرة المجموعات العلاجية إلى برات فى سنة ١٩٠٠ عندما كان يعالج بعض مرضى الصدر كمرضى اجتماعيين وعندما أحس بحاجتهم إلى نوع من التعضيد النفسى حتى يتمكنوا من مقاومة الظروف المرضية الأخرى .

وبدأ مشروعه بمجموعة تضم خمسة وعشرين مريضا تجتمع أسبوعيا ، وكان كل مريض يحمل معه كراسة صغيرة يسجل فيها ما يعن له خلال الأسبوع مثل ما يتناوله من دواء ودرجات حرارته وعدد الزائرين وهكذا .

وكما يقول برات فإن الاجتماع الأسبوعى للمجموعة ماهو إلا ساعة إجتماعية لجماعة تضم الكثيرين من ديانات وأجناس مختلفة ومن طبقات إقتصادية وإجتماعية متباينة ولكنهم جميعاً يرتبطون معاً تحت تأثير عامل عام واحد هو المرض . وقد تكونت بينهم روح الرفقة والصداقة حتى أنهم دائماً ما ينسون أنهم مرضى» .

وكان برات فى أثناء هذا الاجتماع الأسبوعى يناقش المرضى فى أهمية فترات الراحة والمواظبة على العلاج .

ولكن فى حقيقة الأمر لم يكن هناك أى تكنيك نفسى تزاوله هذه المجموعة على الرغم من أن النية كانت واضحة من جانب برات لمساعدة أعضاء المجموعة نفسياً .

وفى جميع الحالات فإن الأصل فى طريقة العلاج الجمعى كطريقة علاجية يرتبط أولا بحاجة المجتمعات إلى الاتصال والتفـــاعل فيما بين أفرادها كحاجة أساسية ويرتبط ثانياً بإخضاع هذا الاتصال وهذا التفاعل إلى النظرية السيكلوجية التى قام البحث من أجل الوصول إليها وفلسفتها .

وطبيعى أن تبادل الفكرة والعاطفة بين الفرد والآخر من أعضاء الجماعة أمر يلازم تكوين الجماعة وبداية نشاطها وهذا ما تعتمد عليه فكرة المجموعات العلاجية من الوجهة النفسية.

فالمجموعة العلاجية ماهى إلا وسيلة للاتصال أو التواصل بين أفراد الجماعة فى الوقت الذى يوجه هذا الاتصال أو التواصل إخصائى نفسى متمرن على هذا النوع من العلاج .

وقد دلت معظم البحوث التى أجريت فى هذا الميدان على أن عمق الاتصال بين أفراد الجماعة العلاجية يتوقف على تكوينها بالإضافة إلى قدرة الاخصائى النفسى على قيادة المجموعة بين الناحية السيكلوجية .

وكثيرممن يوجهون النقد إلى هذه الطريقة لايتفهمون أهمية تكوين المجموعة العلاجية وأهمية قدرة الإخصائى النفسى على المحافظة على استمرار المجموعة . فكثير من المجموعات التى تكونت فشلت أو تحطمت وتفككت نتيجة لنقص فى هذين الأساسين .

ونناقش فى هذا الفصل بعض النواحى النظرية المتعلقة بالمجموعات العلاجية .

المجموعة العلاجية كتنظيم إجتماعى :

لابد أن تكون هناك عدة صفات مشتركة بين المجموعة الصغيرة وبين المجتمع الكبير . ورغم أن هذه المجموعة لها من الصفات السيكلوجية ما يميزها عن كثير

من التجمعات الاجتماعية إلا أنها تتصف بالدينامية وحركية انتقال التفاعل من نقطة إلى نقطة .

وكذلك تشترك فى صفاتها مع التنظيم العام للمجتمع فى أنها تخضع لنمط الحضارة والثقافة السائد وتتأثر به إلى الحد الذى يتأثر به المجتمع العام .

وبلا شك فإن الاستعداد للتغيير صفة تميز هذه الجماعة العلاجية فأعضاؤها خاصة وأنهم يعانون من صراع داخلى وانحراف إدراكى يميلون ميلا واضحا لتبادل الخبرة نحو تغيير إدراكى شامل . والفرد الذى تم تشخيص حاجته إلى العلاج النفسى له نفس خصائص الفرد العادى فى أن هناك فى نفس كل منهما قوى كامنة تدعوه إلى النمو والرغبة فى التغير والقيام بدور إجتماعى محدد . إلا أن عضو الجماعة العلاجية أو الفرد الذى تم تشخيص حاجة إلى العلاج يحمل فى نفسه بجانب هذه القوى الدافعة قوى من نوع آخر تتميز بالتركز حول « الأنا » وتنزع به إلى السلوك المعادى للمجتمع .

ويختلف كم هذه القوى من شخص إلى آخر داخل المجموعة كما يختلف أيضاً كم الجهد الاجتماعى داخل هذه المجموعة عن كمه فى خارجها أى فى المجتمع العادى وهذا الاختلاف سواء كان مصدره داخليا أو خارجيا هو المسئول عن سرعة الحركة والتغيير داخل هذا النوع من الجماعات .

كما أن أنماط السلوك التى يبديها أفراد الجماعة — وهم غالباً ما يكون عددهم سبعة أو تسعة — تعتمد بلاشك على تنظيم الجماعة ، وتركيبها من ناحية أنواع الثقافة الخاصة التى يتميز بها كل منهم سواء بالنسبة إلى قسط التعليم أو القدرة الاقتصادية أو المكانة الاجتماعية أو الدين .

يبقى بعد هذا ضرورة المحافظة على تماسك الجماعة لتستمر أطول فترة ممكنة حتى يتحقق الأثر العلاجى المطلوب . وهناك عاملان أساسيان يؤثران على تماسك

الجماعة Cohesion هما عملية التقمص وعملية التحويل « Identification & transference .

التقمص بمعنى ميل أفراد الجماعة إلى إمتصاص خواصهم الشخصية فيما بينهم أى بمعنى أكثر تبسيطا وأقل دقة ميل أفراد الجماعة إلى تقليد أنفسهم فيما بينهم وهذه العملية ضرورية لحفظ تماسك الجماعة كجماعة نفسية حيث أن عملية التقمص هذه تعتمد على تشابه الخبرة السابقة والحالية قبل الانضمام إلى الجماعة وبعد ذلك .

وأما عملية التحويل — كعملية نفسية — فهى رابطة عصبية عميقة تلاحظ بين أعضاء الجماعة على هيئة مدركات خاطئة . وبطبيعـــة الحال كلما كانت هذه المدركات الخاطئة من طبقة واحدة أو طبقات متقاربة كلما كان هناك تماسك فى الجماعة .

وعملية التحويل هى فى الواقع عرض نفسى وليست مرض إذ قد يبدو هذا العرض على أكثر من نوع المرضى النفسيين ولهذا يسهل توفر هذه العملية فى جماعة علاجية .

وعندما تتماسك الجماعة لهذين السببين أو لغيرهما وهذا أمر محتمل تتحول إلى مجتمع صغير يتكون من أفراد ينشطون ويعملون من أجل أهداف مشتركة أهمها إزالة الأعراض المرضية والتخلص منها سواء كانت هذه الأعراض قلق أو توتر أو غير ذلك وكذلك التقرن على تكوين علاقات إجتماعية أفضل ثم الرغبة فى حياة أكثر أهمية وإنتاجية . وبعد أن تستمر الجماعة فى نشاطها العلاجى تصبح هذه الأهداف مرتبطة بكيان كل فرد فيها ويعززها ويقويها فى المحتوى النفسى لكل منهم عدة نقاط هى :

١ — الإحساس بالرابطة والتعاطف .

٢ — نمو الشعور الجماعى .

٣ — إحساس الفرد بأهمية عضويته فى الجماعة .

٤ — الإحساس المتزايد نحو الشعور بالأمن والطمأنينة .

ثم يتحول هذا المجتمع الصغير إلى مجموعة علاجية حقيقية عندما تتوفر الشروط التالية :

١ — عندما يشعر عضو المجموعة أن عودته إلى حالته الطبيعية لن تتم إلا عن طريق هذه المجموعة وهى وحدها سوف تنجح (أى المجموعة) فى ذلك حيث فشل المجتمع بأسره . وبمعنى آخر عندما يشعر الفرد أنه لـكى يصل إلى السعادة والاكتفاء النفسى لابد من تغيير حالته داخل المجموعة .

٢ — عندما يستخدم عضو المجموعة لغتـه الخاصة فى التعبير عن مشكلته وشرحها وبذلك يمكن الحصول على تحليل كامل أصيل لكل عضو فيها دون أن يكون هناك تطابق أو تشابه مفتعل فى التعبير عن تلك المشاكل .

٣ — عندما يتحول اهتمام الفرد من التركيز على معالجة شعوره وإحساساته داخلياً إلى تركيزه على كيفية عرض هذه الإحساسات على الجماعة والتعبير عنها بالوسيلة المناسبة .

وهذا يبدو واضحاً عند بداية تـكوين الجماعات عندما لا يشعر الفرد بمكانه فى الجماعة إلا بعد أن يشعر ببقية أعضاء الجماعة .

٤ — عندما لايتحرج الفرد من عرض مايعن له من مشـكلات سواء كانت متعلقة باضطراباته النفسية أو لم تـكن على بقية أعضـاء المجموعة . أو بمعنى آخر عندما ينمو الشعور الأسرى داخل الجماعة العلاجية .

٥ — عندما يصبح كل عضو فى الجماعة على قرب كاف من مركز التفاعل فيها بحيث يشترك فى النشاط والفعالية بصورة تدل على اقتناعه بما يقوم به .

٦ — عندما يتم الارتباط الانفعالى بين الإخصـائى النفسى المشرف على المجموعة من جهة وبين أعضاء الجماعة كـكل من جهة أخرى .

عناصر تكوين الجماعات العلاجية :

هناك بلا شك خمسة قوى وعناصر يجب ألا نغفلها عند الحديث عن الجماعات العلاجية . وهذه العناصر هى التى تساعد الإخصائى النفسى على تكوين جماعة هادفة تستطيع أن يحقق أعضاؤها الغرض من الانتماء إليها .

هذه العناصر هى :

١ — تنظيم الجماعة Group Organization :

ويقصد بعملية تنظيم الجماعة إعداد أفرادها قبل البدء فى عقد الاجتماعات العلاجية حيث يعد الأفراد كل على حدة فى جلسات خاصة قد تستغرق فى بعض الأحيان فترات طويلة . كما تستمر عملية العلاج الجمعى (الاجتماعات العلاجية) فترة تتراوح بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ ساعة حسب نوع وطبيعة المشكلة .

ويقصد بعملية التنظيم كذلك فن استمرار الجماعة وذلك بإضافة أعضاء جدد كلما سنحت الفرصة لذلك مثل خروج بعض الأعضاء القدامى وهذه عملية تحتاجها الجماعة من حين لآخر لتجديد التفاعل بين أعضائها .

كما يقصد بعملية التنظيم أيضاً طبيعة تركيب الجماعة من ناحية الجنس سواء كانت أحادية الجنس أو تضم الجنسين معاً ، وطبيعة ونوع المشكلة النفسية التى يعانى منها كل فرد . وكذلك المستويات الثقافية والاجتماعية لكل فرد .

٢ — فنية العمل مع الجماعة Group technique :

وتتلخص هذه الفنية أو القدرة الخاصة على إدارة الجماعة فى مدى فهم الاخصائى النفسى لدوره مع الجماعة فلابد أن يعتبر نفسه مشتركا مع الأعضاء فى مناقشاتهم وتعليقاتهم (ولكن فى حدود معينة) وأن يعتبر نفسه كذلك ملاحظا لأنماط النشاط التى تصدر عن كل فرد ويقوم بتسجيل هذا النشاط وأخيراً لابد وأن يكون قائداً موجها مدركا تمام الإدراك لأبعاد هذا الدور القيادى الذى يقوم به .

وعليه أن يسمح لأعضاء الجماعة بمزاولة الخبرة التى يشعرون أن فى ممارستها كشف لما تخفيه نفوسهم من أمل أو يأس . فعلى سبيل المثال قد يكون اهتمامهم قد اتجه نحو قراءة أو مناقشة موضوع تفسير الأحلام أو التنبؤ بالغيب وقراءة الطالع فلابد أن يشترك معهم الإخصائى النفسى مشـــاركة تسمح له بالتوجيه والتدخل عند اللزوم .

وعليه كذلك أن يراجع الجماعة باستمرار ليلفت نظرهم إلى الجديد الذى حصلوه وإلى القديم الذى تغلبوا عليه وبمعنى آخر — من الناحية السيكلوجية — يجب عليه أن يعزز الخبرة الجديدة الناجحة وأن يضعف رابطة الخبرات ذات الأثر غير المرغوب فيه .

٣ — قيادة المجموعة Group Leadership :

تحت الظروف العلاجية التى تمر بها الجماعة ليس هناك أفضل من أسلوب القيادة الجماعية فى توجيه نشاط الجماعة . وبمعنى آخر يجب أن يكون دور الإخصائى النفسى فى عملية التوجيه استشارى وبالقدر الذى يشعر أعضاء الجماعة دائماً أنهم فى حاجة إليه وإلى توجيهاته .

وقد يكون من المفيد أحياناً أن يتخلى الإخصائى عن الرياسة الشكلية للاجتماع أو أن يترك الجماعة تعقد اجتماعاً أو اجتماعين دون حضوره .

٤ — إنهاء أعمال الجماعة Termination :

ويقصد بهذا ترك بعض الأعضاء للجماعة عند إكمالهم لعدد الجلسات المقررة . ويكون القرار النهائى فى ذلك للعضو مع توضيح قيمة وأهمية القرار الذى يتخذه .

٥ — تحقيق الأهداف :

يقاس تحقيق الهدف بقدرة الفرد العضو على تنمية إحســاسه بالمسئولية الفردية تجاه كيانه وشخصيته : وذلك بأن يحدد أهدافه العامة والنوعيــة وأن يحافظ على مستوى معقول من القـــدرة على التكيف والتلاؤم مع ظروف البيئة الجديدة .

هذه العناصر الخمسة هى الأسس التى يجب أن يبنى عليها الاخصائى النفسى التخطيط النظرى للجماعات العلاجية .

أهداف الجماعات العلاجيـة :

قد يكون هناك أحيانا بعض الغموض يحيط بعملية العلاج عموما والعلاج الجمعى على وجه الخصوص ويرجع هذا الغموض فى واقع الأمر إلى عدم فهم طبيعة هذه العملية أو الخلط بينها وبين عملية التربية والإرشاد .

ومن أهم الخصائص التى تميز أهداف العلاج الجمعى التغيير الحادث فى تركيب شخصية الفرد عضو الجماعة العلاجية . وواضح أن هـذا التغيير يشمل الاتجاه والقيمة بل وطريقة ممارسة السمة الشخصية فى حد ذاتها . ويهدف العلاج الجمعى الناجح إلى تدريب الفرد على ممارسة المسئولية الشخصية أولا وكخطوة لممارسة المسئولية الاجتماعية . ففى حقيقة الأمر إذا فرضنا أن هنـاك تعديلا حدث فى سلوك الفرد على أساس انتباهه إلى قدراته وإمكانياته الشخصية وعلى أساس اتجاه جديد نحو المدركات عموما فإن هذا التعديل ناقص ولابد وأن تحدث عملية الإكمال وذلك بتدريب الفرد على أن يكون عضواً فعال ذا دور نشطا فى الجماعة الاجتماعية حتى يستطيع أن يشترك فى عملية البناء الحضارى أو الثقافى لها .

ولأن يتم ذلك لابد وأن تـكتسب شخصية الفرد الصفة الحركية بمعنى القدرة على التغير والتـكيف مع مقتضيات البيئة الاجتماعية والنفسية .

وعندما يترك الفرد الجماعة العلاجية يجب أن يبدو فى تركيب شخصية ثلاث خصائص :

١ ـــ القدرة على ممارسة المسئولية الفردية (تجاه نفسه) وإصدار القرارات النهائية بالنسبة لما يزاوله من عمل .

وهـذه تتجلى فى فهم الفرد لإمكانياته وقدراته الشخصية فهماً موضوعياً ويساعده فى ذلك الإخصائى النفسى وتعتبر هذه خطوة أولى نحو تـكوين سليم لصورة الذات .

بعد تكوين صورة الذات تكوينا يضمن للاخصائى أن الفرد قد أدرك أبعاد نفسه وشخصيته تأتى خطوة أخرى هى القدرة على إصدار القرارات الحاسمة فى المواقف التى تتعلق بذاته .

٢ — القدرة على ممارسة المسئولية الاجتماعية بمعنى قدرة الفرد على المشاركة فى العمل الاجتماعى مشاركة تعتمد على حساسية واستجابة اجتماعية وليست المشاركة الناتجة عن ضغط من أى نوع .

كما وأن ممارسة المسئولية الاجتماعية تعنى فهم الفرد لحقيقة دوره الذى يقوم بأدائه أثناء تفاعله مع أعضاء المجتمع . وهذا يتطلب متابعة الإخصائى النفسى للأفراد الذين يتركون الجماعة العلاجية ليكون على علم بمدى نمو شخصية كل فرد وإتقانه لعملية التكيف التى تدرب على أسسها أثناء اشتراكه فى برامج الجماعات العلاجية .

٣ — القدرة على تكوين مفاهيم جديدة للعلاقة بين صورة ذاته وبين مفهومه عن ذات الآخرين أو بمعنى أبسط وأقل دقة تكوين مفاهيم جديدة للعلاقة بينه وبين أعضاء المجتمع . وهذا يتطلب التمرن الكافى على إصدار القرارات التى تعتمد على أسس موضوعية كما يتطلب أيضا التمرن الكافى على ممارسة الطريقة العلمية فى التفكير والإحساس بالاكتفاء الانفعالى عند استخدامها .

وفى واقع الأمر على الإخصائى النفسى أن يلاحظ هذه النقاط الثلاث فى الجلسات الأخيرة التى يزمع الفرد بعدها الانتهاء من علاجه فعليه — أى الإخصائى — أن يقوم بتسجيل كامل لسلوك مثل هذا الفرد واستجاباته وتفاعله مع الآخرين محدداً موقفه السوسيومترى وكمية ونوعية علاقاته الاجتماعية .

ولتوضيح الأمر فإن معظم الجماعات العلاجية تنجح فعلا فى تغيير مفهوم النفس أو الذات عند أعضائها كما تنجح أيضا فى تغيير المفاهيم الأخرى للفرد عن العلاقات والأحداث الاجتماعية حتى أنها تربط بين فائدة الفرد أو اكتفائه العاطفى وبين اتجاهاته نحو هذه العلاقات والأحداث .

فالعلاج الجمعى فى أصله وأساسه طريقة تمكن الإخصائى من إعداد أفراد للاسهام — بطريقة صحيحة — فى البناء الثقافى للجماعة . فعندما يستطيع الفرد أن يقدم على أداء الأدوار الإيجابية المنتجة التى يقوم بها الأفراد الأسوياء مثل مزاولة مهنة محددة أو الزواج وإنجاب الأطفال فإنما يكون العلاج الجمعى قد أدى دوره كاملا فى إعادة الفرد المريض صحيحاً مرة ثانية إلى المجتمع .

وما أشبه الجماعات العلاجية بالمجتمع الصغير أو الأسرة عندما ينجح الإخصائى النفسى فى توجيه تكوين العلاقات الاجتماعية وبالتالى فإنه ينجح كذلك فى تأكيد المسئولية الثقافية والاجتماعية عند الأعضاء . وما أشبه الجماعات العلاجية بالمجتمع الصغير أو الأسرة عندما يستطيع الإخصائى أن يقنع الأفراد أن نشاط كل منهم إنما تحدث له استجابة جماعية أو رد فعل اجتماعى فيشعر بدوره وأهميته وتتكون لديه الإبداعية أو الخلقية عندما يتعدل سلوكه من فكر وإحساس ونزوع .

الموضوعية والذاتية فى العلاج الجمعى :

عندما ينضم العضو الجديد إلى جماعة علاجية فإنه يكون انطباعا عاليا عن العلاقات الوطيدة والصراحة الواضحة بين الأعضاء القدامى . ورد الفعل المتوقع فى مثل هذه الحالات أن ينطوى العضو الجديد ويحاول أن يبتعد عن مركز تفاعل المجموعة مكتفيا بالمشاهدة والملاحظة . وهنا يجب أن يتدخل الإخصائى النفسى لمناقشة العضو الجديد — رغم إعداده السابق — فى معنى الموضوعية كما فهمه بقية الأعضاء القدامى . وأن هذه الموضوعية تتلخص فى أن يقوم العضو بعرض مشكلته ومايعتريه من أعراض من قلق أو خوف أو غير ذلك على بقية أعضاء الجماعة لتبادل وجهات النظر فيها . وأن هذا النوع من العلاقات بين أعضاء الجماعة إنما هو الطابع العادى والسائد بينهم .

ويكون هذا المدخل أمر طبيعى للتمهيد للموضوعية فى التفكير والمناقشة التى يجب أن يتدرب عليها العضو الجديد .

فالمجموعة العلاجية تتميز بالجو الحر الذى يسمح بالتفاعل غير التقليدى بين

أعضائها . فعندما يجتمع الأفراد ويجلسون فى دائرة على سبيل المثال دون أى قيود رسمية وجها لوجه ويتحدثون بكل حرية وصراحة عن أنفسهم وعن الآخرين وعن الإخصائى النفسى فإنما يتطلب ذلك قدراً كبيراً من الموضوعية فى الحكم والتفكير وهو فى واقع الأمر — محور أساسى من محاور العلاج الجمعى .

وكذلك فإنه فى مثل هذا الجو الحر الذى يسمح بالحكم الموضوعى فإن هناك أيضا الفرصة سانحة لأن يبدى العضو رغباته المكبوتة حديثا وتعليقا وأن يحكى ذكرياته القديمة وخبراته السابقة ومواقف المعاناة التى مر بها فى الماضى وأنواع النشاطات التى يزوالها فى حاضره وما يتمناه أن يكون فى المستقبل .

ويحكى كذلك أحلامه وتخيلاته سواء الأحلام الليلية أو أحلام اليقظة . وواجب الأخصائى بالنسبة لذلك أن يشجع الفرد على أن يقول ما يشاء فى هذه النواحى وعليه كذلك أن يشجع الآخرين على الإسهام — بجدية — فى التعليق والمناقشة .

وأثناء تنفيذ برنامج الجماعة العلاجية يجب أن يحرص الإخصائى النفسى على كشف عدة اتجاهات كامنة عند الأفراد حتى يمكنه توجيه الجماعة إلى طريق العلاج السليم . وتتلخص هذه الاتجاهات فيما يلى :

١ — إحساس الفرد بحاجته إلى الحب بمعنى أن يحب الآخرين وأن يحبه الآخرون وفكرته عن نفسه واتجاهه نحو الآخرين فى المواقف التى يمارس فيها العلاقة العاطفية أو الانفعالية مع بقية أعضاء الجماعة .

٢ — الميل الزائد (أو الناقص) نحو الحفاظ على الكيان الشخصى والدفاع عن الذات الواعية فى مواقف التفاعل الاجتماعى .

٣ — الميل إلى المحافظة على التكامل الفيزيكى أو العضوى بمعنى ميل الفرد إلى المحافظة على أجزاء جسمه وخوفه أو عدم خوفه من أن يصيبه أذى كجلوسه بجوار النافذة المفتوحة أو على كرسى غير سليم .

٤ — الميل (أو عدمه) إلى الطعام وأنواع المشروبات المختلفة كوسيلة للاحتفاظ بالنشاط والحيوية .

٥ — الميل إلى لفظ الأشياء عديمة القيمة (أو الاحتفاظ بها) مثل ولع الشخص بالاحتفاظ بالأوراق القديمة وأظرف الخطابات ونتائج السنوات الماضية وهكذا .

٦ — الميل إلى لفظ الأشياء الخطرة (أو الاحتفاظ بها) مثل الخوف الشديد من أمواس الحلاقة والأسلاك الكهربية والأدوات الثاقبة أو الاحتفاظ بها وجمعها .

٧ — الميل إلى تحطيم وتدمير الأشياء إما لغرض فهم ما بداخلها أو لغير ذلك .

ولهذا فإن تنظيم موقف الجماعة العلاجية إنما وجد ليحدث التعويض الكافى للإشباع العاطفى والوجدانى الذى يتطلع إليه عضو الجماعة وكذلك ليسمح بتسرب الطاقة العدوانية وتأكيد قوة الذات الواعية وخاصة فيما يتعلق بإحساس الفرد بالفشل وعدم الكفاءة .

وتنظيم موقف الجماعة العلاجية إنما وجد أيضاً ليواجه الإحساس بالنقص الذى قد يعانيه بعض الأعضاء وليبنى الاستقلال الذاتى فى البعض الآخر . ويأتى بعد ذلك — أى بعد تنظيم موقف الجماعة — التماسك الداخلى الذى ينمو فى الجماعة منذ بداية تكوينها ويستمر فى النمو كلما كثرت لقاءات الجماعة ويكون الأساس فى هذا التماسك إحساس الأفراد بأن المشكلة أصبحت مشكلتهم وأنه لا داعى للبحث عن دور الأسرة أو الأصدقاء فى إحداث الإضطراب النفسى الذى أصابهم . وبمعنى أكثر دقة يزداد تماسك الجماعة كلما زادت قدرة أفرادها على التخلص من عملية التبرير .

وهنا يمكن الأخصائى النفسى أن يلاحظ أفراد الجماعة يتعاونون مع بعضهم البعض كما يلى :

(ا) عندما يجد الأفراد الجدد أنفسهم فى مجموعة ليست من اختيارهم فإنهم يشعرون بالحاجة إلى تكوين علاقات جديدة مع أعضاء لم يتعرفوا بهم بعد ولذلك فإننا نجد فى بداية الأمر شيئاً من الرسمية والمجاملة فى علاقات الأفراد . ولكن يبدأ التعاون بعد ذلك عندما يكتشف الفرد تنظيم الجماعة وموقع الإخصائى النفسى من هذا التنظيم فتصبح الجماعة مستقبلة ومستجيبة لتعبيرات الفرد وخاصة فيما يتعلق بالعدوانية والكراهية والحب والبغض والمشاعر الجنسية واليأس والاكتئاب والقلق والأحلام الليلية أو أحلام اليقظة والبحث عن التعويض الواجدانى .

(ب) عندما تنشط المجموعة نتيجة لإعداد الأفراد إعداداً سابقا ونتيجة لتكوينها تكوينا مناسبا يلاحظ أنه أثناء الاجتماعات العلاجية ينزع بعض الأفراد إلى سلوك مشابه لسلوك الإخصائى النفسى وخاصة فى التفسيرات والتعليقات أثناء المناقشة وهذا يوضح مدى تعاون أفراد الجماعة فى المناقشة والتفسير .

وفى واقع الأمر فإن أعضاء الجماعة يتعاونون مع الأخصائى النفسى ومع العضو الجديد عندما :

١ ــ يقدمون تفسيرات دقيقة ولكن إما متأخره عن أوانها أو سابقة لها وهذا يهيء العضو لاستقبال تفسيرات وتعليقات مشابهة من الأخصائى النفسى .

٢ ــ يقدمون عدة تفسيرات وتعليقات متشابهة وبذلك تحدث تقوية وتعزيز لما يقوله الإخصائى النفسى بعد ذلك .

٣ ــ عندما يقدمون عدة تفسيرات وتعليقات مختلفة وبذلك يتيحون الفرصة للعضو الجديد لأن يكتشف قدرة الأخصائى فى حسم الأمر بتقديم التعليل الصحيح .

وعلى أى الحالات فإن التقدير الموضوعى للجماعة العلاجية يجب أن يأخذ فى أعتباره التغيير السريع فى سلوك الأفراد نتيجة للحركية الدائمة والتفاعل المستمر .

فى أثناء هذا التفاعل نلاحظ :

١ — أن الفرد عند انضمامه إلى الجماعة يشعر بقيمة أقل لذاته الواعية ولكن بمضى الوقت يحس بتقدير لذاته نتيجة ما أشترك به من مساعدة وما قدمه من مشورة ونصح للآخرين .

٢ — أن الفرد عند انضمامه إلى الجماعة يأتى ومعه إحساس باليأس وعدم الأهمية ولكن يتغير هذا الإحساس حتى يشعر الفرد تماما بأهميته وقيمته ويحس بالأمل فى المستقبل .

٣ — أن الفرد عند انضمامه إلى الجماعة يأتى ومعه إحساس بالوحدة والضياع إذ أن مفهومه فى ذلك الوقت عن القيم والمعايير يكون متسما بالتشاؤم ولكن عندما يحدث التفاعل بينه وبين الأفراد الآخرين يحدث إعادة بناء للقيم والمعايير فى نفس الفرد مرة أخرى .

٤ — أن الفرد عند انضمامه للجماعة يكون لديه إحساس كبير بالقلق الذى يمكن إرجاعه فى معظم الأحيان إلى عجز الفرد عن التكيف مع عناصر بيئته الإنسانية أو المادية أو الاجتماعية .

وتكون بالتالى الوظيفة الأساسية لعملية العلاج الجمعى هى تمكين الفرد وتدريبه على التكيف مع البيئة .

أما النواحى الذاتية فى الجماعات العلاجية فهى تبدو فى انطباعات الأفراد عن بعضهم البعض وإحساسهم بالمجاملة نحو الإخصائى النفسى الذى يشعرون بما يقدمه لهم من مجهود ويريدون أن يقدموا له شيئاً من التقدير والمكافأة .

وتكون الانطباعات الذاتية أعلى ماتكون فى الفترة الأولى لتكوين الجماعة حيث لم يكن قد اكتمل تدريب الأعضاء على الأحكام الموضوعية بعد .

ومما يساعد أيضاً على تكوين الانطباع الذاتى عند الأفراد وجود الاتجاه النشط نحو التبرير وادعاء وجود أشخاص — حقيقين أو وهميين — هم السبب فى الاضطرابات السلوكية التى يمرون بها .

وتكون التفاعلات الاجتماعية من وجهة نظر عضو الجماعة وسيلة لإشباع حاجاته الإنفعالية ووسط سهل لنقل المظاهر الفكرية من فرد لآخر وعلى هذا فإن الإنطباع الذاتى أو التفكير غير الموضوعى يصبح سمه غالبة فى المرحلة الأولى لتفاعل الجماعة .

وتعتمد الذاتية فى العلاج الجمعى على مايستخدمه الفرد كإطار للرجوع أو الإشارة Frame of Reference ففى كثير من الحالات — إن لم يكن جميعها — يستخدم الفرد ذاته وخبراته السابقة دون تعليل كإطار للرجوع فيقيس جميع المدركات بمقياس ذاتى بحت كما يقدر علاقاته مع الآخرين بناء على انطباعات ذاتيه.

ومن المتوقع دائماً أن ينجح برنامج الجماعة العلاجية فى تقليل العامل الذاتى فى نمو العلاقات الاجتماعية بين أفرادها إذ كلما زاد تدريب الأعضاء على طريقة التفكير العلمى وعلى إصدار الأحكام الموضوعية والقرارات الحاسمة كلما أسرع ذلك فى طريق إعادة الفرد إلى الطريق السوى للتفاعل بينه وبين أعضاء المجتمع .

والذاتية فى واقع الأمر تعتبر عاملا مساعداً فى تفاعل عكسى بين الفرد والجماعة تكون نتيجته السلوك اللاسوى .

(ثانيا) التطبيق :

مما هو معروف أن العلاج الجمعى بوجه عام يعنى وجود جماعة يعانى أفرادها من بعض الاضطرابات الشخصية أو السلوكية فى مكان مهيأ للمناقشة وتبادل الرأى يجتمعون فى وجود إخصائى نفسى له خطة مرسومة فى توجيه المناقشة .

كما هو معروف أيضاً أن هذه المناقشة لابد وأن تكون هادفة نحو علاج الاضطرابات السلوكية أو الشخصية وذلك بإكساب الأفراد خبرات جديدة ذات قيمة تربوية .

وسبق أن ناقشنا فى الجزء الأول (أولا) من الفصل الرابع بعض النواحى

النظرية المتعلقة بالجماعات العلاجيــة ونناقش فيما يلى بعض الأصول أو الأسس التطبيقية لهذه الطريقة .

انتقاء أعضاء الجماعة العلاجيــة :

من أولى مهام الإخصائى النفسى الذى يشرف على عمليةعلاج جمعىأن يجرى عملية (غربلة) لجميع الأفراد الذين يحتمل إدخالهم إلى المجموعات العلاجية .

ورغم ذلك فليس هناك ضمان كاف لنجاح الجماعة العلاجية حتى إذا استخدم الإخصائى أحسن الطرق وأدقها فى انتقاء أعضاء الجماعة . ذلك لأن الجماعة أكثر من أن تكون مجموعة من الأفراد ذوى السلوك المضطرب وأنه من المتوقع دائماً أن تكون المجموعة على درجة عالية من الحركية والتغير سواء من ناحية التركيب أو المحتوى : فهناك تغير دائم فى الأوضاع النسبية للأعضاء وكذلك فى أنماط السلوك التى يبديها كل فرد .

وهناك اتجاهان لاختيار أو لانتقاء أفراد الجماعة نوضحهما فيما يلى :

١ ــ الاتجاه المبنى على خصائص الشخصية :

وهو اتجاه يؤكد أهمية حركية الشخصية الانسانية بخصائصها ومقوماتها فى انتقاء الأفراد . وبمعنى آخر تكون عملية الغربلة أو الاختيار هى عملية أساسها قياس وتقدير خصائص الشخصية بمعناها الواسع أو بمعنى أصح بمفهومها الدقيق فيجب أن يؤخذ فى الاعتبار اتجاهات الفرد وقيمه وحساسيته للمثيرات الداخلية والخارجية وميله إلى السيطرة أو الخضوع واتجاهه نحو المسئولية الفردية والمسئولية الاجتماعية واتزانه الانفعالى وقدرته الاجتماعية وإحساسه بالاستقلال الذاتى وميله إلى الجنس المغاير والجنس المشابه والقدرة على إصدار القرارات والطريقة التى يستخدمها فى حل مشاكله . وهكذا .

ويعنى هذا أن على الإخصائىقبل تكوين مجموعته أن يجرى عدة اختبارات

للشخصية سواء منها المكتوب أو مايعتمد على دراسة التاريخ السابق للفرد أو مايعتمد على أسلوب الملاحظة العلمية الدقيقة .

ثم بعد هذا يقرر من ينضم إلى الجماعة العلاجية آخذاً فى اعتباره الحالة المثلى لتكوين الجماعة فيكون مدى التباين على مقاييس الشخصية بين الأفراد مدى يسمح بوجود نقط كثيرة لفروق الجهد تؤدى إلى استمرار الحيوية والتفاعل .

٢ ــ الاتجاه المبنى على التصنيف التشخيصى :

وهو اتجاه يأخذ فى اعتباره نوع الاضطراب الذى يعانيه الفرد سلوكيا كان أم شخصيا . وبمعنى آخر فإن الاختيار يعتمد على تصنيف الاضطراب .

وبناء على هذا الاتجاه فإن واجب الإخصائى النفسى أن يقوم بتصنيف الأفراد المحتمل انضمامهم إلى الجماعات العلاجية حسب مايعانونه من اضطراب سواء كان قلقاً ظاهراً أو خوف تسلطى أو انفصام بسيط أو اكتئاب مرضى أو غير ذلك . ثم يكون الجماعة آخذاً فى اعتباره الحالة المثلى لتكوينها بحيث يضمن وجود تفاعل مستمر وحركية فى بنائها .

وعلى أى الحالات سواء اختار الإخصائى هذا الطريق أو ذاك فإن كلاهما مكمل الآخر ولابد من أخذهما فى الاعتبار عند تكوين جماعة علاجية . وبجانب هذا فهناك عدة شروط أخرى لابد من توافرها فى الفرد الذى يرشحه الإخصائى للانضمام إلى الجماعة :

١ ــ أن يكون اتصال الفرد ببيئته اتصالا حقيقياً بمعنى أنه يخضع للحقيقة وليس للوهم أو الخيال فى الاتصال بعناصر هذه البيئة .

٢ ــ أن يستطيع الفرد استنتاج العلاقات بين ذاته وبين من يحتك بهم من أفراد .

٣ ــ أن يكون الفرد على درجة كافية من المرونة بحيث يمكنه أن يقلل أو يزيد من التوتر الحادث بين افراد الجماعة .

٤ ــ أن يستطيع الفرد أن يؤدى دور « العامل المساعد » Catalyst فى

عملية تكوين الجماعة أثناء نشاطها - ولا أقصد بذلك التكوين الأولى لها الذى يقوم به الإخصائى .

كما يمكن أن نقول أن هناك عدة معايير على أساسها لايقبل الفرد كعضو فى جماعة علاجية :

١ - إذا كان الفرد يعطل تفاعل الجماعة فترة طويلة من الزمن بحيث لايمكن لبقية الأفراد الاستفادة من إحدى الجلسات استفادة كاملة .

٢ - إذا كان الفرد لايمكن الآخرين من التعامل معه نتيجة سلوكه المشوش أو غير المنتظم بصورة دائمة والذى يصدره عن لاشعوره .

٣ - إذا كان الفرد يعانى من القلق الحاد الدائم بحيث يصبح سلوكه نوعاً من الحمل الثقيل على بقية أعضاء المجموعة .

٤ - إذا أظهر الفرد أنماط عدائية وتدميرية من السلوك بحيث يثير الخوف الحقيقى فى نفوس بقية أعضاء المجموعة .

فالفرد الذى مازال يحتفظ ببعض الاتصال الحقيقى بعناصر بيئته هو الفرد الذى يقف على أعتاب مرض الانفصام ولكنه لم يترك عالمه الحقيقى إلى عالم أحلام اليقظة بعد وتكون عضويته للجماعة العلاجية ذات قيمة كبيرة بالنسبة إليه وخاصة إذا كان موقف الجماعة يسمح له بالتفاعل على قدر طاقته وإمكانياته فيستطيع أن يشترك فى النشاط الجمعى أو أن ينسحب منه دون إحداث ضغوط محسوسة فى المجال الاجتماعى للجماعة .

وكذلك فإن الفرد الذى يعتريه الاضطرابات النفسى الشديد والذى يصبح غير قادر على متابعة نشاط الجماعة أو الاشتراك فيه أو يصبح فى هرب دائم من دنيا الحقيقة حيث لايمكنه الحصول على الاكتفاء العاطفى . هذا الفرد سوف يكون انضمامه إلى الجماعة أمر غير عادى لأن مستوى القلق الزائد عنده وفى جو الجماعة العلاجية سوف يكون خطيراً بالنسبة إليه. ويجب أن يكون مكانه فى المؤسسات التى تعنى بالنوع التوجيهى المباشر من العلاج .

ويقاس على ذلك الحالات الحادة من الإضطرابات النفسية والتى لا تسمح بانضمام أصحابها إلى جماعات علاجية .

وشيء أخير يجب ألا ينساه الإخصائى النفسى خلال مرحلة انتقاء أفراد الجماعة العلاجية وهو مستوى القدرة العقلية العامة أو الذكاء العام عند الأفراد إذ أنه من الضرورى أن يكون لدى الأفراد حد أدنى من الذكاء يسمح لهم بالاشتراك فى المناقشة اشتراكا فعالا .

وبذلك يكون من واجب الإخصائى أن يهتم كل الاهتمام بانتقاء أفراد الجماعة العلاجية آخذاً فى اعتباره كل الشروط التى ناقشناها لأن انتقاء أفراد الجماعة هو الخطوة الأولى نحو حياة أفضل لهؤلاء الأفراد .

إعداد الأفراد لحياة الجماعة العلاجية :

لابد من أن يمر الفرد بفترة تمهيدية تسبق دخوله الجماعة العلاجية الهدف منها إعداده لأن يمارس هذه الخبرة الجديدة عليه . وهذه الفترة التمهيدية أو « مرحلة الإعداد » تكون فى الواقع أكثر صعوبة على الاخصائى من أى مرحلة أخرى من مراحل العلاج لأنه فى هذه الفترة يقوم بتحضير الفرد وتهيئة نفسه لخبرة الجماعة وكيفية الاشتراك فى نشاطها . وتتم عملية التحضير أو الإعداد على هيئة جلسات فردية بين الاخصائى والعضو الجديد ليستطيع أن يلم إلماماً دقيقاً باتجاهات الفرد وقيمه وخصائص شخصيته وطريقة تفكيره ومنهج أحكامه وما إلى ذلك من المعلومات التى تلزم الإخصائى . وفى خلال هذه الجلسات كذلك على الإخصائى أن يكون علاقة مهنية بينه وبين الفرد المرشح لعضوية الجماعة ويكون لدى الفرد اتجاها إيجابياً نحو العلاج الجمعى .

وفى فترة الإعداد كذلك يكون من واجب الإخصائى النفسى أن يقوم بعدة مهام لازمة قبل أن تبدأ الجماعة نشاطها :

١ — تسجيل تاريخ الفرد : ونعنى به تاريخ الاضطراب الشخصى أو

السلوكى الذى يعانى الفرد منه وكذلك خبرته السابقة والمواقف الواضحة فى حياته والتى يذكرها جيداً وتكوين الأسرة وعلاقته ببقية أفرادها وموضعه فيها سواء كان أباً أم إبناً . وتاريخ تكوين الأسرة والمشاكل التى تعرضت لها وأنواع هذه المشاكل اقتصادية أو عاطفية أو غير ذلك . وكذلك يتم تسجيل المصاعب الحالية التى يشعر بها الفرد سواء أمراض جسمية أو أحلام وأوهام ومخاوف وما إلى ذلك .

والهدف من هـذا التسجيل بطبيعة الحال هو الوصول إلى تشخيص دقيق للاضطراب الذى يعانى منه الفرد .

هذا التسجيل والتحليل قد يستغرق من ثمانى إلى عشر جلسات يمكن أن تعقد خلال ثلاثة أو أربعة أسابيع ، على أن يستطيع الإخصائى أن يلاحظ سلوك الفرد ملاحظة علمية من حين لآخر .

٢ — تشخيص الاضطراب الشخصى أو السلوكى : تأتى هذه الخطوة بعد عملية تسجيل التاريخ السابق للفرد تسجيلا تحليلياً بالإضافة إلى ملاحظته فى عدة مواقف دقيقة يتمكن الاخصائى بعدها من وصف الاضطراب وتصنيفه بصورة دقيقة . ويجب أن يعتمد الإخصائى فى تشخيصه على جميع الأعراض مجتمعة وألا يتسرع فى الحكم على حالة قد تكون متشابهة مع حالة أخرى .

٣ — تقرير صلاحية الفرد للجماعة العلاجية : هذه خطوة منطقية بطبيعة الحال بعد الخطوة الأولى والثانية لأنه بناء على أبعاد شخصية الفرد وتاريخ حياته السابق ومايعانى من مشكلات (كما جاء تحت رقم ١) وبناء على نوع وعمق الاضطراب الذى يعانيه (كما جاء تحت رقم ٢) يمكن للإخصائى أن يقرر مدى صلاحية الفرد لحياة الجماعة العلاجية .

٤ — تكوين العلاقة المهنية : وهذه ضرورة حتمية إذا قرر الإخصائى قبول فرد من الأفراد داخل الجماعة ، ونقصد بالعلاقة المهنية العلاقة التى يحدثها

الإخصائى النفسى بينه وبين العضو أثناء الجلسات الفردية التمهيدية ، حيث تتكون هذه العلاقة من الانطباع الأولى عند الفرد عن الإخصائى ثم الاكتشاف حيث يحاول الفرد اكتشاف الاخصائى بخصائصه ومميزاته ثم التطابق أى عندما يطابق الفرد نتائج اكتشافه بالفكرة السابقة التى كان يحملها فى رأسه عن الإخصائى النفسى ثم الحكم وعليه تتكون العلاقة . أى أنه تتكون العلاقة المهنية بين الفرد والإخصائى النفسى بالخطوات التالية :

(ا) الانطباع الأولى .
(ب) الاكتشاف .
(حـ) التطابق أو المطابقة .
(ء) الحكم .

وكثير من الأفراد إن لم يكن جميعهم يدركون الإخصائى على أنه الأب أو المعلم أو الأم أحياناً (حتى ولو كان الإخصائى ذكراً) أو الرجل صاحب السلطة الذى يستطيع أن يعطيهم ما لا يمكن الحصول عليه من أى جهة أخرى .

وقد يحدث أحياناً عملية امتصاص (درجة من درجات التقمص) Introjection بين الفرد والاخصائى حيث يحاول الفرد تقليد بعض خصائص شخصية الإخصائى النفسى نتيجة لطبيعة الإدراك السابق الإشارة إليه ولكن فى أغلب الحالات لا تحدث عملية التقمص كاملة حيث أن هناك مسافة طبيعية بين الإخصائى والفرد تمليها ظروف الاضطراب النفسى الذى يعانى الأخير منه .

كذلك فإنه عندما يشعر الأخصائى أن الفرد يمكنه فى وقت ما أن ينضم إلى جماعة علاجية عليه أن يشجعه على عملية الامتصاص كعملية تجريدية حيث يبحث معه أثر هذه العملية فى ماضيه وموقفه من الأشخاص ذوى السلطة أو الذين أعجب بهم . وذلك لأن هذه العملية هى السبيل الأول لتعديل سلوك الفرد وهو المطلوب داخل الجماعة العلاجية .

وإكمالا لذلك فإنه يتحتم على الأخصائى ألا يفيض فى التعليق على ما سبق من حوادث أو أزمات فى حياة الفرد أو ما يمر به من أحداث فى تلك اللحظة وذلك حتى يشعر الفرد أن الأخصائى قد قبله بما هو فيه من مشاكل وأزمات .

٥ ــ عرض فكرة العلاج الجمعى على الفرد :

تعتبر لحظة عرض هذه الفكرة على الفرد لحظة حرجة لأن إحساس الفرد نحو الأخصائى وخاصة بعد تكوين علاقة مهنية عميقة يكون إحساساً أشبه بالارتباط العاطفى فعندما يفهم الفرد أن هناك فكرة ضمه إلى مجموعة يتبادر إلى ذهنه أن الأخصائى « تضايق منه أو زهق منه » وبذلك تنتاب الفرد فترة من الحزن والاكتئاب .

وبجانب هذا الشعور الذى يجب أن يستخدم الأخصائى لباقته وفنية عمله فى التغلب عليه يظهر شعور آخر أو إحساس بالخوف من جانب الفرد لأنه لا يعلم ما هى الجماعة العلاجية ولماذا عليه أن ينضم إليها والإجابة عن هذه الأسئلة تتطلب مهارة أكثر من الأخصائى حتى يمكنه أن يعرض الفكرة على الفرد بطريقة معقولة لا تثير فيه الاكتئاب أو الخوف أو الحيرة . فنى بعض الأحيان عندما يخطىء الأخصائى اختيار الوقت المناسب والنضج المناسب لعلاقته بالفرد لعرض هذه الفكرة عليه يصبح رد الفعل المتوقع هو ترك الفرد للعلاج نهائيا لإحساسه بأن الأخصائى لا يقدر مسئولية « الأسرار » التى يفضى بها إليه .

ومن واقع التجربة يمكن للفرد أن يناقش مثل هذا الاقتراح بهدوء إذا عرض عليه الاقتراح بصورة معقولة . فبطبيعة الحال ما يحدث خلال الجلسات التمهيدية هو مناقشة ثم تسجيل لما يتم بين الفرد والأخصائى من مناقشة . وعندما تنضج العلاقة بين الأخصائى والفرد سوف تصبح الجلسة نوعا من تبادل الرأى حول مشكلة من المشكلات وبذلك يمكن الأخصائى إبداء إعجابه برأى الفرد ويتمنى لو أن مثل هذه الآراء نوقشت فى مجموعة حتى تصبح أكثر فائدة وتأثيرا ويستفسر الفرد عما يقوله الأخصائى فيقوم بشرح فكرة الجماعة العلاجية

وما يتم فيها من نشاط وعمل جماعى — دون أن يسأل الفرد أن ينضم إليها — والنتائج الإيجابية التى لوحظت عند إجراء هذه الطريقة .

ثم يسأل الأخصائى عما إذا كان الفرد يرغب فى الاشتراك فى مثل هذه الجماعات مع الإيحاء إليه بأن الإخصائى يفضل ذلك .

ولو فرض ورفض الفرد فكرة الانضمام إلى جماعة فلا مانع من أن يستمر الفرد فى جلساته التمهيدية مع الأخصائى الذى يعرض عليه من حين لآخر بشىء من الفخر والإعجاب ما يتم أثناء الاجتماعات العلاجية — بصورة عامة للمحافظة على السرية — وذلك لترغيبه بصورة أقوى .

٦ — توجيه الفرد للاشتراك بأقصى إمكانياته :

وهذه خطوة أخيرة تلى قبول الفرد لفكرة الانضمام إلى الجماعة العلاجية . وفيها يقوم الأخصائى بشرح واف كامل عن كيفية الاشتراك فى نشاط أى جماعة وضرورة الحرص على أن يكون الفرد دائماً فى مقدمة المساهمين والمشتركين فى العمل الجمعى .

ويجب أن يكون التوجيه بصفة عامة غير مخصصة حتى نترك للفرد فرصة الاكتشاف بنفسه فيشعر بالرضى عن تقدمه . وكذلك يجب أن يكون هناك حوافز تدفع الفرد للاشتراك فى نشاط المجموعة بصورة فعالة .

وعلى جميع الحالات فإن فى نهاية فترة الإعداد وبعد انتهاء الجلسات الفردية التمهيدية يجب على الأخصائى أن يكون قد حقق ما يلى :

١ — استعداد الفرد لأن يحكى أحلامه وأوهامه بالتفصيل لأعضاء الجماعة وأن يكون مستعدا كذلك لسماع مثل هذه الأشياء والاستجابة إليها وتحليلها .

٢ — استعداد الفرد لاستخدام طريقته الخاصة فى التعبير عن مشاعره وإحساساته دون أى تدخل من الخارج .

٣ — أن يكون الفرد دقيقا فى قياسه وتقديره لما يعرض عليه من ظواهر .

٤ ـ استعداد الفرد لمساعدة غيره واستعداده كذلك لتكوين العلاقة والعاطفة بينه وبين غيره .

وتعتبر هذه النقاط من أهم ما يجب أن يحرص الأخصائى النفسى على تغطيته قبل أن يبدأ فعلا بعملية العلاج الجمعى .

تنظيم الجماعة العلاجية :

نقصد بعملية تنظيم الجماعة : عمليات اختيار أو انتقاء الأفراد ثم عملية إنشاء الجماعة فى حد ذاتها . وأهمية عملية التنظيم تأتى فى المكان الأول من عمل الأخصائى النفسى قبل أن يمارس عقد الاجتماعات العلاجية .

وقد ناقشنا فيما سبق طريقة انتقاء واختيار الأفراد لهذا النوع من الجماعات وكذلك الأسس والشروط الواجب توافرها فى أعضاء الجماعة .

ولابد أن تناقش الآن عملية إنشاء الجماعة أو بمعنى آخر عملية تجميع الأفراد مع بعضهم البعض مع توفير الظروف المناسبة لضمان قيام عملية التفاعل الاجتماعى بعنهم بها الأفعال وردود الأفعال .

وعند إنشاء الجماعة يقوم الأخصائى بتفريغ البيانات والمعلومات التى حصل عليها من كل فرد خلال فترة التحضير أو الإعداد وبناء على ما يكون قد ورد فى هذه التسجيلات يقوم الأخصائى بتوزيع أماكن جلوس الأعضاء حسب المعايير التى يقررها من حيث نوع المشكلة أو السن أو تشابه المهنة التى يزاولها العضو .إلخ ويأخذ فى اعتباره أن التفاعل الاجتماعى يبدأ عادة بحديث أو كلمة متبادلة بين فردين يجلس كل منهما فى مواجهة الآخر وليس بجانبه . كما يجب أن يأخذ فى اعتباره أيضا أن من الضرورة أن يستمر هذا التفاعل اللفظى بأن يتدخل ثالث فى الحديث ويكون على مقربة منهما . وبهذا فإنه من الضرورى أن يستعد الأخصائى لتلك الظروف بالترتيبات المناسبة .

كذلك فلا بد أن يكون هناك من الأشياء والموضوعات مثل بعض الصور أو التماثيل أو الرسوم المختلفة التى تصلح بداية لحديث ثم تفاعل اجتماعى بين أعضاء الجماعة .

وهناك موضوع آخر يجب على الأخصائى أن يهتم به هو تجانس الجماعة أو اختلافها من ناحية السن أو الجنس أو المكانة الاجتماعية والمهنة .

فعلى سبيل المثال إذا كانت الظروف مناسبة لأن تكون الجماعة ثنائية الجنس أى تضم كلا الجنسين فإنه من المستحسن أن تكون كذلك لأن هذا التركيب ولو أنه يعوق بداية التفاعل إلا أنه يسرع بمعدله عندما يبدأ .

ومن فنية تنظيم الجماعة أيضاً المحافظة على استمرارها بمعنى إدخال أفراد جدد عندما يتركها الأفراد القدامى ذلك لعدة أسباب أهمها :

١ ــ تحديد مدة العلاج بالنسبة لكل فرد فى الجماعة ــ ومن وجهة نظره على الأقل ــ بحيث يطمئن العضو أن هناك بالضرورة نهاية لعضويته فى جماعة علاجية وبذا يكون لديه الدافع للاشتراك اشتراكا فعالا فى نشاط المجموعة ويتقبل توجيهات الأخصائى النفسى المشرف .

٢ ــ إتاحة الفرصة لعضو الجماعة القديم لأن يحس بشىء من مميزات الأسبقية بالنسبة لعضو الجماعة الجديد وبالتالى فسوف يقوم بتقديم العون له وإرشاده والاشتراك فى تدريبه .

٣ ــ تحويل الجماعة من حالة الاهتمام الكامل بالأخصائى إلى حالة اهتمام بأحداث جديدة داخل مجال الجماعة كدخول فرد جديد وخروج فرد قديم وفى هذا تدريب لأعضاء الجماعة على الاهتمام بالأحداث أكثر من الأشخاص .

ويجب أن يتراوح عدد الجماعة العلاجية بين سبعة أفراد وعشرة أفراد حتى لا تتأثر الجلسات عند غياب فرد أو فردين بسبب المرض أو الأسباب القهرية الأخرى . وفى بعض الأحيان يمكن أن تتكون الجماعة من ثلاثة إلى ستة أفراد وتكون نشطة وفعالة وإن كان العدد القليل فى بعض الأحيان يسبب هبوطا فى معدل التفاعل وقد يصل بالجماعة إلى فترة من الركود .

وهناك ملاحظة لها أهميتها ويجب أن نلفت إليها نظر الأخصائى النفسى وذلك من واقع الخبرة ــ وهى أنه مما يسبب ضيقا للفرد العضو فى الجماعة

العلاجية أن يجد ضمن أفراد الجماعة صديق قديم أو أحد أقربائه أو معارفه ولذلك يجب على الأخصائى الانتباه لهذه الملاحظة جيداً وخاصة فى بداية البرنامج العلاجى للجماعة . وقد يؤخذ فى الاعتبار وجود الزوج والزوجة فى نفس المجموعة إذا رغب كل منهما فى ذلك ولكن لايسأل أى شخص آخر عن وجود صديق قديم له وذلك لأنه من المتوقع ألا يمانع الفرد ظاهرياً فى هذا الموضوع .

وأخيراً فإن بداية العمل والتنظيمات المتعلقة بالجماعة والتعليمات التى يصدرها الإخصائى تجعل الأفراد يشعرون فى بادىء الأمر أن التوجيه يعتمد على السلطة ولكن بمضى الزمن وإحساس الأفراد بضرورة هذه التعليمات من أجل مصلحة الجماعة تجعلهم يقبلون كل تعليمات الأخصائى بعد ذلك .

الجلسة الأولى للجماعة العلاجية :

الجلسة الأولى خبرة جديدة لكل من عضو الجماعة والاخصائى النفسى . خبرة جديدة لعضو الجماعة لأنها المرة الأولى التى يجلس فيها إلى عدد آخر من الأفراد وهو يعلم أنه بصدد علاج اضطراباته الشخصية أو السلوكية . وخبرة جديدة للإخصائى النفسى لأن كل جماعة تختلف عن سابقتها فكل موقف من مواقف الجماعة العلاجية هو فى الواقع موقف أصيل فى ذاته .

وتبدأ الجلسة الأولى عندما يبدأ أحد الأفراد الحديث عن أى حدث من الأحداث التى يتكون منها جو الجماعة وذلك قبل دخول الإخصائى النفسى إلى الاجتماع ويبدأ التفاعل بطيئاً بين الأعضاء إلى أن ينضم الاخصائى الى الاجتماع فيوجه الحديث إلى أحد الأعضاء الذين قام بإعدادهم فى جلسات فردية ويؤكد انطباع المجموعة فى أنه يعرف هذا العضو .

تترك الفرصة بعد ذلك للأعضاء لاكتشاف طبيعة العلاقة بين الاخصائى النفسى وهذا العضو بالذات وعندما يعرف الأعضاء من الاخصائى أو من العضو أنه كان يتردد عليه فى جلسات فردية تحضيرية ــ وهذا ماتم مع جميع أعضاء الجماعة ــ تبدأ المناقشة حول هذه الجلسات الفردية ثم لماذا اجتمعت هذه الجماعة بالذات .

وهنا يمكن للإخصائى النفسى أن يعطى للجماعة فكرة مبسطة جداً عن عملية التفاعل الاجتماعى الذى تتم بين أفراد أى جماعة .

ثم يسأل الاخصائى بعد ذلك عما إذا كان جميع الأعضاء يعرفون بعضهم البعض أم لا وأنه كان يتوقع أنهم تعرفوا ببعضهم قبل حضوره لأن هذا أمر طبيعى . ويمكن أن يكون ذلك مدخلا لحديث عام غير منظم أو بمعنى آخر دردشة عامة لايشترك فيها الإخصائى فى بادىء الأمر ولكنه يأخذدوره عندما يلاحظ هبوطاً فى معدل التفاعل اللفظى بين الأعضاء . وقد يحدث أحياناً أن تبدأ الجلسة بسكون شامل حيث لايتحدث أحد وهنا على الإخصائى أن يعلق على هذا الهدوء ويعطى الفرصة مرة أخرى للأعضاء لأن يبدأوا التفاعل اللفظى فيما بينهم .

بعد ذلك يقوم الإخصائى بشرح مبسط آخر عن طبيعة هذه الجماعة بالذات وعن عملية العلاج التى سوف تتم فيها ويقارن ببساطة بين الجلسات الفردية التى عقدها مع الأعضاء كل على حدة وبين جلسات الجماعة العلاجية موضحاً الطبيعة العلاجية لعملية الجماعة فى حد ذاتها .

وبعد ذلك يعود مرة أخرى للمناقشة الحرة فيعطى الفرصة لأعضاء الجماعة للتعليق فيما بينهم على ماقام بشرحه وتوضيحه ثم ينظم المناقشة ويطلب من كل فرد أن يبدى ماله من رأى أو تعليق. ويقوم هو بعملية تسجيل الآراء والمناقشات ثم يعود الإخصائى مرة أخرى للحديث فيقول لأعضاء الجماعة أنه يتوقع منهم أن يتحدثوا بحرية وصراحة كاملة عن أنفسهم وعن خبراتهم السابقة . السار منها وما هو غير سار وعن طبيعة حياتهم الحاضرة وعلاقاتهم مع أفراد المجتمع الكبير .

وقد يلاحظ الاخصائى أن بعض أعضاء الجماعة قد بدأ الحديث فعلا عن أعراض الاضطراب النفسى الذى يعانى منه وعن سبب لجوئه إلى الاستشارة النفسية . وهنا يجب أن يكون الاخصائى لبقاً بالقدر الذى يسمح له بتخطى هذه المناقشة إلى نوع آخر من المناقشة العامة الشاملة .

ولكن قد يحدث أحيانا أن تكون هناك فترة صمت مملة ويشعر الجميع أنهم بحاجة إلى حديث مثير وهنا لا بأس من أن يسمح الإخصائى لبعض الأفراد بعرض سريع لأهم أعراض اضطراباتهم النفسية .كما يسمح للبعض الآخر بعرض بعض المشاكل الاجتماعية العامة التى تثير انتباه المجموعة أو قد يقوم الإخصائى نفسه بعرض بعض المشاكل بصورة موجزة ويطلب من أعضـــاء الجماعة المناقشة والتعليق .

وعلى الإخصائى أن يكون مستعدا لإجابة الأسئلة والاستفسارات التى يثيرها الأعضاء سواء ما هو من طبيعة العملية العلاجية أو خارجها .

وفى الجلسة الأولى أيضاً على الإخصائى أن يحرص على أن يعطى الفرصة لكل فرد أن يتحدث حتى ولو كان حديثه إعادة لحديث سابق .

بعد هذه المناقشات وفى نهاية الجلسة تقريباً يخصص الإخصائى بعض النواحى التى يجب أن يتناولها الأفراد صراحة فى الحديث عن أنفسهم وبالذات الأحلام الليلية أو أحلام اليقظة والأوهام كما يقنع أعضاء الجماعة أن الجميع سوف يقومون بهذا الدور وسوف يتلقون التفسيرات والتعليقات المناسبة لكل حالة .

كذلك إذا سأل الإخصائى أحد أعضاء الجماعة : « بماذا تشعر الآن ؟ » أو « إيه رأيك فى القعدة دى ! » فيجب أن يفهم الأعضاء أن الإخصائى يتوقع منهم الإجابة الصريحة الخالية من المجاملة .

أنواع الجماعات العلاجية :

تنقسم الجماعات العلاجية من ناحية عناصرها الوظيفية إلى نوعين رئيسيين :

١ ــ النوع الأول يتألف من أعضاء جميعهم مصابون باضطراب نفسى بغض النظر عن تشابههم أو اختلافهم فى أعراض وموضوع هذا الاضطراب .

وهذا النوع من الجماعات هو الذى بدأت به فكرة العلاج الجمعى منذ أن قام بتنفيذها برات فى أوائل هذا القرن .

ويتميز هذا النوع من الجماعات بأن الأفراد عندما يشعرون بأن جميعهم من ذوى الاضطراب النفسى تتكون لديهم حاسة الجماعة وربما كان ذلك سبباً فى إحداث تماسك قوى بين أعضائها .

ويتميز هذا النوع كذلك بأن جو التفاعل الاجتماعى داخل المجموعة يمكن الإخصائى النفسى من توجيهه والتأثير عليه بمعنى أنه يكون فى استطاعه الإخصائى أن يقدم اقتراحاته من حين لآخر للجماعة فى صيغة توجيهية دون أن يعطل ذلك من معدل التفاعل الاجتماعى للمجموعة . ذلك لأن التفاعل فى مثل هذه الجماعات وخاصة فى بداية تكوينها يكون متعثرا ولا يسير معدله فى خطوط مستقيمة . ولهذا يسهل على الإخصائى التدخل فى اى لحظة .

وهذه ميزة ولا شك إذ أنه يمكنه أن يعدل فى برنامج العلاج بما يتفق وأهداف الجماعة .

٢ ــ والنوع الثانى من هذه الجماعات العلاجية هو النوع الذى تختلط فيه أعضاء الجماعة المصابين باضطرابات سلوكية أو شخصية مع بعض الأفراد العاديين أو السويين والهدف من ذلك هو إيجاد معاونين للأخصائى النفسى داخل إطار الجماعة حيث يسهمون فى عملية التوجيه أثناء المناقشة والتعليق .

كما تكون وظيفة هؤلاء السويين وضع نموذج عملى دائم من أنماط السلوك المطلوب تدريب الآخرين عليها .

وميزة هذه الجماعات أنها تكون أكثر قابلية لمعدلات التفاعل العالية ولو أن ذلك لو زاد عن حده من جانب الأسوياء لم يستطع بقية أعضاء الجماعة اللحاق بهم . ولهذا يجب على الإخصائى أن يخطط لدور الأفراد الأسوياء فى برنامج الجماعة العلاجية .

وفى واقع الأمر أن مثل هذه الجماعات يمكن أن تكون أكثر نجاحا من جماعات النوع الأول إذا توافرت الدقة المطلوبة فى إحكام أدوار السويين وفى تخطيط البرنامج العلاجى وأخيراً فى تكوين علاقة متينة (ترقى إلى مرتبة علاقات الأسرة) بين هؤلاء وهؤلاء حتى تضمن وجود الاهتمام اللازم والصبر الكافى من جانب الأسوياء والاستجابة اللازمة من جانب ذوى الاضطرابات النفسية .

طرق العلاج الجمعى:

نناقش فيما يلى أهم الطرق المتبعة لإجراء العلاج الجمعى وإنشاء الجماعات العلاجية وبطبيعة الحال لن نحاول أن نلم بجميع الطرق المستخدمة لأن ذلك يحتاج إلى مجال خاص .

١ — الطريقة التقليدية :

هذه هى الطريقة التى تحدثنا عنها فيما سبق والتى بدأ بها برات فكرة الجماعات العلاجية وتتلخص خطوات هذه الطريقة بعد فترة إعداد الأفراد لممارسة حياة الجماعة فيما يلى :

(ا) يجتمع الإخصائى النفسى بأعضاء المجموعة مرة كل أسبوع بحيث لا تقل مدة الاجتماع العلاجى الواحد عن ساعة كاملة. ويمكن زيادة فترة الاجتماع حسب إمكانيات الجماعة من ناحية التركيز ومعدل التفاعل اللفظى .

ومن أهم ما يجب أخذه فى الاعتبار إعداد جو الاجتماع نفسه أى ترتيب المكان الذى تعقد فيه الجماعة جلستها بحيث يكون مناسبا من ناحية الانطباع العام الذى يتكون عند أفراد الجماعة .فعلى سبيل المثال يمكن استبدال أحد الصور أو الرسوم أو التماثيل الموجودة فى حجرة الاجتماع بين كل اجتماعين أو بعد كل اجتماعين بحيث يكون هناك نوع من الجدة دائما .

كذلك يحرص الأخصائى على أن يبدأ الاجتماع فى موعده تماما وإن كان من المتوقع أن يحضر جميع الأعضاء قبل بداية الاجتماع بمدة ليست بالقصيرة وهنا يصبح من المستحسن أن يتركهم الأخصائى حتى موعد بدء الاجتماع وبذلك يعطيهم فرصة للتفاعل الحر والمناقشات الخاصة .

(ب) عندما يبدأ الأخصائى الاجتماع يبدأه بصورة غير رسمية وذلك بأن يعلق مثلا على آخر ما سمعه من مناقشات بين الأعضاء عند دخوله ثم يستفسر منهم عن أهم ما دار بينهم قبل ذلك بدقائق حتى يعطى الفترة أهميتها — فترة ما بين

حضورهم وبين بدء الاجتماع ــ ثم يقوم بالتعليق والاشتراك فى المناقشة لمدة قصيرة ويبدأ بعد ذلك جدول أعمال الاجتماع القائم .

وعلى الأخصائى أن يعد برنامج الاجتماع إعدادا دقيقا بحيث يأخذ فى حسابه جميع الاعتبارات من أسئلة أو استفسارات يوجهها إليه أعضاء المجموعة . كما عليه أيضا أن يعد جدول المناقشة وكذلك أهم النقاط التى يجب أن يؤكدها أثناء الاجتماع .

ومن الطبيعى أن يكون فى برنامج الاجتماع على سبيل المثال أحد الأعضاء يحكى بعض الأحلام التى رآها أثناء نومه خلال الأسبوع المنصرم أو الأفكار السوداء التى راودته أو الأوهام والخيالات التى ملأت عليه رأسه وتفكيره .

وعند ذلك يقوم الإخصائى بتلخيص ما قاله عضو الجماعة ــ موضحا على الأقل بنبرات صوته ــ النواحى التى يريد أن يلفت إليها نظر أعضاء المجموعة .

بعد ذلك يترك المجال لأعضاء الجماعة لإبداء الرأى على أن تكون المناقشة منظمة ويقوم هو بإدارتها مع تقديم تفسيراته العلمية من حين لآخر .

(حـ) فى الجلسات الأولى للجماعة قد يلاحظ الإخصائى أنه من الصعب إدارة المناقشة أو التحكم فى عملية هضم كل نقطة على حدة وذلك لميل الأفراد للإنتقال من نقطة إلى أخرى وبصورة غير مرتبة .

ويكون موقف الإخصائى فى هذه الجلسات هو أن يقلل ما أمكن من عدد النقط المطروحة للدراسة والبحث .

وعلى الإخصائى أن يقوم بتسجيل مناقشات الجماعة حتى يمكن أن يرجع إليها عند الحاجة إلى تحليلها .

وفى نهاية كل جلسة عليه أن يلخص لأعضاء الجماعة بسرعة وبإيجاز ما دار فى المناقشة .

وأما فى أثناء عرض أحد الأفراد لمشكلته يجب على الإخصائى أن يقدم

تفسيراته العلمية بصورة مبسطة وذلك حتى يصل الأفراد إلى المرحلة التى يدركون فيها وبصورة موضوعية أبعاد اضطراباتهم النفسية .

(د) عندما يصل أفراد الجماعة إلى مرحلة إدراك وفهم حقيقة الاضطراب النفسى الذى يعانى منه كل فرد لاتنتهى مهمة الإخصائى النفسى بل عليه أن يستمر فى الاجتماعات حتى يتدرب الأفراد على طريقة حل المشكلات بصورة موضوعية وذلك حتى لا تحدث نكسات أثناء تفاعلهم مع البيئة الخارجية .

ولذلك فإنه من المتوقع بعد انتهاء الأفراد من الجلسات العلاجية — بجانب إحساسهم بالتغير الواضح فى تركيبهم الشخصى والسلوكى يكون لديهم فكرة مبسطة شاملة عن عدة مواضيع فى العلاج النفسى مثل الإسقاط والتقمص والتبرير والتحويل وغيرها من المواضيع المشابهة .

٢ — طريقة العلاج باللعب الجمعى :

تستعمل هذه الطريقة غالباً مع الأطفال وكثيراً ما تستخدم فى مؤسسات الإيواء أو المؤسسات المشابهة والتى تضم الأطفال المنحرفين شخصيا أو سلوكيا . والواقع أن فى هذه الطريقة جزء كبير من التشخيص قبل العلاج وهذا هو المطلوب فى حالة علاج الأطفال بالذات لأن أصعب عملية فى مراحل علاج الطفل هى تشخيص الاضطراب .

والأساس النظرى فى هذه الطريقة يعتمد على إحدى الحيل اللاشعورية وهى الإسقاط بمعنى أن يطلق الطفل مافى نفسه من طاقة مكبوتة متعلقة برمز من الرموز وليكن الأب أو الأم أو المدرس ويجسدها فى رمز آخر . أو بمعنى آخر عندما يوضع الطفل فى موقف ناقص غير متكامل ويترك له إكمال هذا الموقف بالصورة التى توضح انحرافه السلوكى أو اضطرابه النفسى وبذلك يسقط انفعاله .

ويعتمد الأساس النظرى لهذه الطريقة على حيلة لا شعورية أخرى هى التقمص بمعنى أن ينزع الطفل إلى امتصاص خصائص نفسية معينة من رمز من الخارج ويقوم لاشعورياً بضمها إلى خصائصه النفسية .

ويمكن تلخيص طريقة العلاج باللعب الجمعي كما يلي :

(ا) يقوم الإخصائي النفسي بمعاونة الإخصائي الاجتماعي بإعداد سجل كامل عن تاريخ حياة كل طفل من المحتمل اشتراكه في هذه العملية آخذا في اعتباره جميع الظروف الاجتماعية والأسرية والنفسية التي يتعرض لها الطفل ويستقي هذه المعلومات من الأشخاص المحيطين بالطفل أولا ثم منه هو ثانياً .

(ب) يقوم الإخصائي النفسي باختبارات قدرات الطفل وخاصة القدرات التي تتعلق بالمهارات الحركية والعمل اليدوي . ومعنى ذلك أنه لا داعي لاختبار القدرة اللغوية للطفل في هذا المجال ولكن من الضروري جدا اختبار التوافق الحركي عند الطفل والمهارة الميكانيكية وبعض المهارات الفنية الاخرى كما يجب تقدير مستوى ذكاء الطفل باستخدام الاختبار المناسب . وفي هذا الميدان يمكن استخدام اختبار أشكال المكعبات أو اختبار الإزاحة لإلكسندر أو اختبار وكسلر .

وبجانب هذا لابد للإخصائي النفسي أو الاجتماعي أن يتأكدا من اللياقة الطبية للطفل وخلوه من الأمراض المعدية .

(ج) يتم بعد ذلك إعداد حجرة واسعة تسمى حجرة اللعب حيث يدخل إليها الأطفال لقضاء فترة تتراوح بين ٤٥ ، ٦٠ دقيقة .

وتزود هذه الحجرة بمرآة منفذة أي يستطيع من يجلس وراءها مراقبة الأطفال أثناء اللعب وهذه معدة لجلوس الإخصائي النفسي والإخصائي الاجتماعي لتسجيل ملاحظتهما على الأطفال أثناء اللعب .

ويوجد في الحجرة أيضاً عدد من اللعب التي تتفق وطبيعة المشاكل التي يعاني منها الأطفال فتوجد (عروسة) تمثل السن المتقارب لسن الطفل (وعروسة) أخرى في سن الأم ولعبة أخرى تمثل الأب سواء بالملابس البلدية أو الافرنجية ولعبة أخرى تمثل الشرطي في ملابسه وهكذا كل أنواع اللعب التي تتصل بعوامل الاضطراب النفسي عند هؤلاء الأطفال والتي تمثل رموزا في بيئته الخارجية .

ويراعى أن يكون عدد اللعب غير كاف بحيث يضطر الأطفال إلى اللعب بهذه الأدوات فى مجموعات من ثلاثة أو أربعة .

(د) بجانب هذه الأدوات واللعب الجاهزة توجد فى الحجرة عدة مصادر للإنشاء مثل المكعبات الملونة أو صناديق الرمل أو مواد البلاستوسين والصلصال حتى يتمكن الطفل — إذا أراد ذلك — أن ينشىء بعض الأشكال .

(هـ) تتم ملاحظة الأطفال وتسجيل الملاحظات وأنواع التفاعل اللفظى وغير اللفظى بينهم وذلك عن طريق المرآة المنفذة فقد يلاحظ الإخصائى مثلا كيف يغضب الطفل مع لعبة الأم أو الأب وكيف يقتل لعبة الشرطى وكيف يحب شقيقته وهكذا . وقد يقوم الطفل أحيانا بعدة صور من العدوان على هذه اللعب والأشكال فيسجل نوع هذا الفعل سواء كان جنس أو غيره .

(و) بعد إنهاء فترة التشخيص وهى تتراوح غالبا بين ١٠ ساعات وخمسة عشرة ساعة أى عندما ينتهى الإخصائى النفسى من معرفة نوع وطبيعة الانحراف السلوكى أو الاضطراب النفسى الذى يعانى منه الطفل تبدأ فترة العلاج .

ويجب ألا يتسرع الإخصائى النفسى فى التشخيص لأن استجابات الأطفال غير محددة وغير ثابتة كذلك ولكنه يستطيع أن يحكم بدقة إذا لاحظ تكرار الحدث فى سلوك الطفل والفترة الزمنية لتكراره .

(ز) تبدأ فترة العلاج عندما يدخل الإخصائى النفسى (يفضل أن تكون إخصائية نفسية) حجرة اللعب مع الأطفال مع وجود الاخصائى الاجتماعى خلف المرآة للاستمرار فى تسجيل الملاحظات . ويقوم الاخصائى النفسى بمساعدة الأطفال الصغار (حتى ١٠ سنوات على الأكثر) على الفهم والاستبصار بالنسبة للسلوك الخاطىء والاتجاه اللاسوى .

وذلك يتم بأن يربط الطفل بين مشاكله الحالية بمظاهرها وأعراضها ومن خبراته السابقة سواء مع الأم أو الاب أو زوجة الأب أو المدرس أو الشرطى إلخ .

(ح) يجب على الإخصائى أن يلاحظ عدة نواح مهمة فى عملية العلاج باللعب الجمعى وهى : —

(١) وضوح المشكلة عند الطفل بمعنى تحديد طبيعة الاضطراب مثل خوف الطفل من الظلام أو من الثعابين أو الأشباح أو العسكرى .

(٢) إمكانية الطفل فى التخلص من الطاقة والتوتر الانفعالى . فإن هذه العملية تعنى نجاح الإخصائى فى علاج الطفل أو بمعنى أدق مساعدته للطفل أن يجتاز مرحلة الخطر .

(٣) أن تكون المشكلة التى يعانى منها الطفل متعلقة بصعوبات يمكن أن يتناولها الاخصائى بالحل السريع القاطع إذ أنه فى حالة علاج الأطفال لا ينتظر من الطفل أن يتعاون مع الاخصائى كما يفعل الكبار ولكنه يحتاج إلى حلول جاهزة لمشاكله .

٣ — طريقة العلاج بالعمل الجماعى :

تعتمد فكرة العلاج عن طريق العمل على أساس نظرى نفسى وهو أن الفرد الذى يعانى من اضطراب نفسى فى حاجة إلى الاحساس بقيمته وتحقيق ذاته . ولذلك فإن طريقة العلاج بالعمل تتبع حاليا فى كثير من مستشفيات الامراض العصبية والنفسية ولكن الطريقة المتبعة طريقة فردية .

ونصف هنا طريقة العمل الجماعى أى العمل فى مجموعات تتطلب تفاعلا لفظيا وحركيا حيث يشعر الفرد أنه عضـــو فى فريق يعمل لتحقيق هدف قريب واضح .

وأمثلة ذلك أعمال النجارة وفلاحة البساتين والبناء والتشييد وهـذه الجماعات تتراوح عددها بحكم طبيعة العمل من ٤ إلى ٦ أفراد . وتصلح هذه الطريقة للبالغين وخاصة الذين تعدوا سن الأربعين والذين لا يميـلون كثيراً إلى حضور جلسات علاج جمعى .

وقد وجد أن العلاج بهذه الطريقة يفيد كثيراً فى حالات تشتت الانتباه الذى

تسببه بعض الاضطرابات الشخصية إذ يتعود الفرد على تركيز الإنتباه فى حالات العمل التى تتطلب تفاعلا سريعاً مثل عمليات التجارة المختلفة . ويفيد كذلك فى حالات الاكتئاب حيث يقوم الفرد بأداء أعمال من طبيعتها التغير السريع مثل تركيب إطارات للصور ودهانها بحيث يرى الفرد نتيجة سريعة لعمله .

وأما الأفراد الانطوائيون والمصابون بأحلام اليقظة فيمكنهم عن طريق مزاولة العمل الجمعى استعادة الاحتكاك الطبيعى بالبيئة المادية والبشرية وبذلك يستعيدون الاتصال بالمجتمع العادى .

ويمكن تلخيص أهم مميزات طريقة العلاج بالعمل فيما يلى :

(ا) استغلال الطاقة الزائدة للفرد وإشباع حاجاته النفسية مثل حاجته إلى الانتباه وحاجته إلى النجاح وتحقيق الذات .

(ب) إعادة الفرد الى عالم الحقيقة عن طريق الاحتكاك المباشر بينه وبين العناصر المادية فى العمل بينه وبين الأفراد الآخرين فى المواقف المختلفة .

(حـ) انشغال الفرد فى العمل يلهيه عن التفكير فى الاضطرابات النفسية وتمتعه من استعادة خبراته السليمة .

(د) التعبير عن نزعات مكبوتة كما يحدث أحياناً عندما يستخدم الفرد أثناء العمل المقص أو السكين أو الآلات الحادة الأخرى .

٤ ــ طريقة العلاج داخل الأسرة :

تعتبر هذه الطريقة إحدى طرق العلاج الجمعى المختلط أى أن الجماعة العلاجية لا تكون جميعها من ذوى الاضطراب النفسى بل يوجد فيها بعض الأسوياء كذلك كما سبق شرحه .

وتستخدم هذه الطريقة غالباً فى علاج بعض الاضطرابات النفسية عند المراهقين إذ تكون الفرصة مواتية لوضع برنامج لأعضاء الأسرة التى ينتمى إليها المراهق من أب وأم وأخوه وأخوات وأقارب وكل من يحتك به

وكما هو مفهوم فإن فترة المراهقة هى فترة تمرد المراهق على القيم والتقاليد وتكون الأسرة بالنسبة إليه هى الرمز الذى تتركز عليه ثورته .

كما تستخدم هذه الطريقة أيضاً فى علاج البالغين وخاصة الآباء الذين ينحرفون سلوكيا .

— وتتلخص هذه الطريقة فى وضع برنامج علاجى كامل لأعضاء الأسرة وذلك بعد أن يقوم الإخصائى النفسى بمقابلة كل عضو على حدة ليفهم وجهة نظره فى المشكلة التى يعانى منها عضو الأسرة موضع العلاج .

— بعد ذلك يقوم الإخصائى النفسى بعقد اجتماع مع الأسرة — عدا الشخص المضطرب نفسياً — ليواجههم جميعاً بتشخيص الإضطراب وأهمية علاجه وماهو الدور الذى يجب أن يؤدوه لمعاونة برنامج العلاج .

— يأتى بعد ذلك مباشرة فترة إعداد الفرد لحياة الجماعة حيث يقوم الإخصائى النفسى بمقابلة الفرد موضع العلاج فى عدة جلسات لإعداده حسب الأصول السابق مناقشتها لأن يكون فرداً فى جماعة علاجية هى الأسرة ويجب على الاخصائى أن يكون صريحاً وواضحاً عند تأكيد ذلك للفرد .

تبدأ اجتماعات الأسرة بعد ذلك كأى جماعة علاجية ويفضل أن يكون الاجتماع العلاجى خارج المنزل ويحضر الاجتماع الاخصائى النفسى ويقوم بنفس دوره من توجيه المناقشة إلى تعليق وتفسير علمى على مايعرضه أفراد الأسرة من مشاكل عامة تصادف كل فرد منهم فى حياته اليومية . إذ يقوم كل فرد بسرد مشكلة أو ظاهرة اهتم بها وأولاها انتباهه أو يحكى أحد الأحلام الليلية ويطلب تفسيرها من بقية الأعضاء ويشترك فى التعليق على التفسيرات المختلفة أو يقص على الجماعة شيئاً من أوهامه وتخيلاته وأحلام يقظته وهكذا .

ويأتى دور الفرد موضع العلاج حيث يشترك هو الآخر فيحكى مثل مافعل بقية أعضاء أسرته .

وقبل إنهاء الاجتماع يقوم الاخصائى بطرح مشكلة معينة ويطلب منهم استكمال

بحثها فيما بعد حتى تسنح الفرصة لأعضاء الأسرة لعقد اجتماع آخر داخل المنزل لمناقشة المشكلة التى كلفهم بها الاخصائى النفسى .

ويقوم الاخصائى كذلك بتسجيل نشاط الجماعة ومتابعة هذا النشاط بكل صورة ممكنة ومعقولة .

تستمر هذه الاجتماعات العلاجية حتى يشعر الفرد موضع العلاج أنه قد أدرك بصيغة موضوعية أبعاد اضطرابه السلوكى وأنه أصبح قادرا على التحكم فى الديناميات التى تسبب مثل هذا السلوك .

يقوم الاخصائى بعد ذلك بعقد عدة جلسات نهائية مع الفرد موضحاً له — بصورة علمية مبسطة — الميكانيكيات النفسية والعقلية التى تتحكم فى سلوك الفرد. وهو فى الواقع وإن كان قد ألم بها بصورة غير مباشرة إلا أن مهمة الإخصائى هى إعطاؤه فكرة مباشرة عن هذه الميكانيكيات .

٥ — طريقة العلاج داخل الشلة .

وهذه طريقة أخرى لعلاج الاضطرابات السلوكية عند المراهقين وخاصة من الفتيات فقد نجحت هذه الطريقة فعلا عند استخدامها فى علاج بعض الفتيات من نزلاء إحدى المؤسسات الخاصة عندما انتشرت بعض مظاهر الاضطراب السلوكى بينهن .

ويرجع نجاح هذه الطريقة بين الإناث إلى أن الفتيات لا يمكنهن التفاعل بصراحة وحرية مع أخريات لم يألفهن قبل ذلك . ولكن يمكنهن التفاعل بصورة مجدية مع بعضهن البعض داخل الشلة الواحدة . أما فى حالة الذكور فليس الأمر بهذا التعقيد فيمكنهم التفاعل بحرية وصراحة سواء داخل الشلة أو خارجها .

وتعتبر هذه الطريقة مشابهة لطريقة العلاج داخل الأسرة من ناحية ترتيب وتنظيم خطوات العلاج . إلا أنها تختلف من ناحية فنية إدارتها ذلك لأن

الاخصائى النفسى عليه أن يسجل النشاط الجماعى للشلة وأن يلاحظ نمو العملية الاجتماعية بين أفراد الشلة أولا بأول وهو أمر غير لازم فى حالة الأسرة .

٦ — طريقة النادى :

وهذه طريقة يقترحها المؤلف وقد قام بتجربتها على نطاق ضيق فى إحدى مكاتب الخدمات الاجتماعية النفسية وثبت نجاحها بمجال لايدعو إلى الشك .

وتعتمد هذه الطريقة على تعاون الاخصائى الاجتماعى والاخصائى النفسى فى مكان يضم ذوى الاضطرابات النفسية والسلوكية .

وتستفيد هذه الطريقة من جميع الطاقات التى يبذلها المشتركون فى النادى سواء كان الأمر يتعلق بمناقشة المشاكل أو القضايا التى تهمهم أو بمزاولة وممارسة الهوايات من عمل فنى أو غير ذلك .

ويحتاج إقامة مثل هذا النادى إلى وجود إخصائيين إجتماعيين (من الجنسين) كذلك إخصائيين نفسيين بشرط أن يكون الجميع سبق تدريبه على العمل فى ميدان العلاج الجمعى .

كما يحتاج النادى أيضا إلى مكان يتسع لحجرة مناقشات تجرى فيها الاجتماعات العلاجية ولعدة حجرات أخرى يزاول فيها الأعضاء هواياتهم الفنية مثل الرسم أو النحت أو الموسيقى أو الأشغال اليدوية الفنية . كما يوجد مكتبة تضم عديدا من الكتب المبسطة فى علم النفس (ليقرأها العامة) والقصص الاجتماعية . ويقوم الإخصائيون الاجتماعيون والنفسيون بتجهيز المكتبة والأدوات اللازمة لممارسة الهوايات المختلفة .

ويمكن أن نقسم هذه الطريقة إلى عدة مراحل :

(ا) المرحلة الأولى : فى هذه المرحلة يتم تشخيص الاضطراب السلوكى أو الشخصى الذى يعانى منه الفرد وذلك بواسطة الإخصائى النفسى . كما يقوم الإخصائى الاجتماعى بدراسة الحالة من الناحية الاجتماعية بصورة دقيقة تتناول

ظروف الأسرة التى ينتمى إليها الفرد ومحيط العمل أو الدراسة الذى يعيش فيه كما يتم أيضاً فى هذه المرحلة عملية إعداد الفرد لحياة الجماعة حسب الأصول الفنية التى سبق مناقشتها .

(ب) المرحلة الثانية : يقوم الاخصائى النفسى بالاشتراك مع الاخصائى الاجتماعى بتأليف عدة حالات تخيلية أو افتراضية Hypothetical cases لأشخاص وهميين تتناول بعض مظاهر الاضطراب السلوكى أو الشخصى وردود الفعل الاجتماعية التى تترتب على هذه المظاهر . ويشترط فى هذه الحالات التخيلية أن تلمس العناصر المشتركة Common elements فى حالات أعضاء الجماعة العلاجية .

يقوم الاخصائى الاجتماعى بعرض الحالة التخيلية على أعضاء الجماعة العلاجية فى اجتماعاتهم وذلك بعد التمهيد لعرض هذه الحالات . ويطلب منهم إبداء الرأى فى الحالة وما كان مفروضا أن يكون .

ويكون دور الإخصائى النفسى فى هذه المرحلة هو ملاحظة استجابات الأشخاص لعناصر المشكلة المعروضة ومدى إسهام كل منهم فى المشكلة ومحتوى إسهامه فى مناقشتها . ويمكن للإخصائى النفسى أن يستخدم الجدول التالى (ص ١٣٣) لتسجيل الملاحظات فيقوم بوضع علامة فى كل خانة أمام عضو المجموعة الذى يصدر عنه هذا النمط من السلوك .

كما يجب على الاخصائيين توجيه المناقشة حتى تصل فى نهايتها إلى حكم واضح . وتستمر هذه المرحلة حتى يتأكد الاخصائى النفسى من قدرة كل فرد على الاسهام فى المناقشة بصورة توضح انضمامه إلى نسيج الجماعة وتفاعله الصحيح مع أعضائها وهذا يمكن الحكم به عندما تنتظم مناقشة المشاكل ويأخذ كل فرد دوره فى التعليق .

(حـ) المرحلة الثالثة : تبدأ هذه المرحلة بأن يقوم الإخصائى النفسى بالاشتراك

نوع السلوك / اسم الفرد	فتح باب المناقشة	تقديم الاقتراحات	تقديم المعلومات	الاستفسار	النقد	تغيير اتجاه المناقشة	الفكرة الجديدة	إصدار أحكام	تكرار الفكرة
١ —	—	—				—	—	—	
٢ —				—	—				—
٣ —	—		—	—					
٤ —		—	—		—				
٥ —				—	—				
٦ —						—	—	—	
٧ —								—	—
٨ —			—	—	—				

مع الإخصائى الاجتماعى بإعداد بعض الحالات التخيلية ولكن أقرب ماتكون إلى واقع حالات بعض أعضاء المجموعة ويقوم الاخصائى الاجتماعى بعرضها على الأعضاء فى الاجتماع العلاجى ويطلب منهم التعليق والمناقشة .

وتصبح مهمة الإخصائى النفسى فى هذه المرحلة ذات شقين :

١ ــ تسجيل وتحليل المناقشة مستخدماً الجدول السابق وصفه .

٢ ــ تسجيل انطباعاته عن أعضاء الجماعة التى تتشابه حالتهم إلى حد ما مع الحالات التخيلية التى يقوم بعرضها الاخصائى الاجتماعى .

وتستمر المرحلة الثالثة إلى فترة غير قصيرة بحيث يعرض فى كل جلسة حالة تمس من قريب حالة أعضاء الجماعة بحيث لاتنتهى هذه المرحلة إلا بعد تغطية جميع حالات الأعضاء بواسطة هذه الحالات الافتراضية التى يقوم بإعدادها الإخصائى النفسى والإخصائى الاجتماعى .

بعد انتهاء هذه المرحلة يبدأ كل من الإخصائى الاجتماعى والنفسى توجيه أعضاء الجماعة العلاجية إلى مزاولة الهوايات الفنية المختلفة من رسم أو موسيقى أو أشغال يدوية كما يتم توجيـــه الأعضاء أيضا إلى المكتبة لقراءة القصص الاجتماعية أو الكتب المبسطة فى علم النفس .

ويقوم كل من الإخصائيين بملاحظة نشاط وسلوك وإنتاج كل عضو من المجموعة مع تشجيع كل عضو بأن يعرض إنتاجه وماحققه على الآخرين فى اجتماعات غير علاجية كأن يعقدون اجتماعات للسمر أو ماشابه ذلك . ويكون ذلك العرض من صور أو رسوم فى حضور الإخصائى النفسى والاجتماعى حتى يعطى كل عمل أهميته ويقوم بتسجيل نمو للجماعة كجماعة .

كذلك يشجع من يقرأ منهم الكتب أو القصص على أن يحدث بقية الأعضاء عن انطباعاته وآرائه بالنسبة لما قرأه .

والهدف من هذه الفترة من التفاعل الحر هو تعميق العلاقات الاجتماعية بين

أعضاء الجماعة وإعطائهم فرصة أكثر من حدود الاجتماع العلاجي للتعارف والتبادل الخبرة في مختلف النواحي .

(د) المرحلة الرابعة : يقوم الإخصائي النفسي برسم سوسيوجرام للجماعة في بداية هذه المرحلة على أن يكون الموقف السوسيومترى من مواقف التفضيل الخفيفة كاختيار من يجلس بجانبه أثناء الاجتماع أو من يقوم بمساعدته أثناء رسم إحدى اللوحات وعلى الإخصائي أن يتجنب المواقف السوسيومترية الأكثر عمقا كاختيار صديق مخلص أو من يفضل زيارته في منزله وهكذا .

والهدف من هذا الإجراء السوسيومترى معرفة المكانة السوسيومترية لكل فرد لأنه سوف يترتب على هذا السوسيوجرام قيام الأفراد بدور إيجابي في الاجتماعات العلاجية. في هذه المرحلة يقوم عضو بعرض إحدى الحالات الافتراضية على بقية أعضاء المجموعة ويديرهو المناقشة ويشترك الأخصائي النفسي بأن يقدم تفسيراته وتوضيحاته العلمية لأنواع الاضطرابات السلوكية والشخصية التي تعرضها هذه الحالات .

يقوم بعملية العرض هذه الثلاثة أعضاء الذين لهم درجات سوسيومترية عالية حتى يمكنهم من إدارة المناقشات دون تردد أو مجهود غير متوقع .

ويقوم الأخصائيين النفسي والاجتماعي كل على حدة بتسجيل وتحليل المناقشة بالاستعانة بالجدول السابق .

هذا ويجب أن تصل الجماعة إلى قرار نهائي في كل حالة تعرض عليها .

(هـ) المرحلة الخامسة : في هذه المرحلة ينشط كل من الأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي ولكن بلباقة عالية لإقناع بعض أعضاء الجماعة — وخاصة الذين لم يقوموا بعرض حالات أو إدارة المناقشة — للقيام بعرض حالاتهم الشخصية على بقية الجماعة أثناء عقد الاجتماع العلاجي وهكذا بحيث يقوم كل عضو بدوره في عرض حالته وما يعتريه من أعراض .

يقوم الأخصائي النفسي بتوضيح جذور وأصل الاضطراب النفسي في حالة

كل فرد ثم يطلب من الجماعة الدخول إلى المناقشة وإبداء الرأى فى كل حالة والهدف من ذلك هو زيادة كمية تبصير الفرد بنوع الاضطراب الذى يعانى منه .

وعلى الأخصائى فى هذه المرحلة أن يقوم بتسجيل دقيق لموقف أفراد الجماعة تجاه المشكلة موضع المناقشة وكذلك موقف الفرد الذى يعرض مشكلته .

وبجانب الجدول الأول الخاص بتسجيل أنماط السلوك أثناء المناقشة هناك جدول آخر يجب أن يستعين به الأخصائى فى هذه المرحلة بالذات .

اسم العضو	الموقف العام تجاه المشكلة					
	متحمس	مهتم جداً	مهتم	غير مهتم	موضوعى	ذاتى

ولا تنتهى هذه المرحلة إلا إذا تأكد كل من الأخصائى النفسى والاجتماعى مما يلى :

١ — أنه يمكن إجراء عملية تقييم لموضوعية أحكام وآراء أعضاء الجماعة .

٢ — أنه يمكن ملاحظة دينامية القيم والاتجاهات المطلوب تكوينها أو تغييرها .

٣ — أن أعضاء الجماعة قد وصلوا فعلا إلى بؤرة عملية العلاج الجمعى وذلك يتضح من اتصالاتهم الفردية بخصوص مناقشة مشاكلهم أو مشاكل غيرهم .

٤ — أن التكوين السوسيومترى للجماعة أصبح تكوينا عادياً وأن عملية الجماعة قد تمت فعلا وذلك يتضح من التقدير السوسيومترى المتكرر .

٧ — التمثيل النفسى أو السيكودراما :

يؤكد مورينو — وهو مبتدع هذه الطريقة — أن اجتماع الأفراد من ذوى الاضطرابات النفسية أو السلوكية فى ظروف تقيم بينهم علاقات اجتماعية منظمة يمكن تقديرها وقياسها ثم تطويرها — هذا الاجتماع يساعد كثيراً فى عملية العلاج النفسى وخاصة إن كانت الجماعة تقوم بالتمثيل الذى يتمكن فيه كل فرد أن يمثل صراعاته على مسرح تمثيلى خاص .

وواضح من هذا الاتجاه أن طريقة السيكودراما ماهى إلا صورة أخرى لعملية العلاج باللعب الذى سبق أن تعرضنا إليها فى حالة الأطفال . ولكن كما هو معروف فإن طريقة اللعب لا تصلح للكبار أو الراشدين ولذلك كانت السيكودراما هى البديل لهذه الطريقة .

وواضح أيضاً أن السيكودراما تعتمد على نفس الأساسين اللذين اعتمدت عليهما طريقة العلاج باللعب وهما :

عملية الإسقاط بمعنى ميل الفرد لأن يجسد شعوره وإحساساته فى رمز خارجى سواء كان هذا الرمز مادى أو معنوى . وتقابلها عملية الإنكار حيث يحس الفرد أن إحساسه وشعوره لا يمكن تجسيده فى رمز ما .

والأساس الثانى هو عملية التقمص بمعنى ميل الفرد لامتصاص الخصائص النفسية أوالسلوكية من رمز خارجى سواء كان هذا الرمز مادى أومعنوى .

فى هذه الطريقة — وذلك بعد التطوير الذى أدخل عليها بعد مورينو — تتكون الجماعة العلاجية من عدة أفراد يزيد عددهم عن العدد المطلوب عادة فى الاجتماعات العلاجية .

ويقوم الأخصائى النفسى بدراسة صراعات كل فرد من المجموعة دراسة أعمق مما هو متبع فى مرحلة إعداد الفرد قبل بدء الاجتماعات العلاجية . ويقوم بهذه الدراسة أكثر من أخصائى نفسى واحد .

والهدف من هذه الدراسة هو إعداد أدوار تمثيلية لكل فرد من أفراد الجماعة تناسب طبيعة ما يعانيه من اضطراب نفسى أو صراع . بحيث يقوم هذا الدور التمثيلى مقام قناة تتسرب منها الانفعالات المكبوتة عند الفرد .

ويعطى الفرد الدور ليقوم به على المسرح كما يقوم الآخرين بتمثيل أدوار أخرى قد تكون متناسقة مع دوره أو تختلف عنه .

ويقوم الأخصائى النفسى بتشجيع الفرد لأن يسقط نفسه وانفعالاته فى الدور الذى يقوم به ويمثله حتى يطلق الكثير من التوتر والصراع فيستعيد التقدير لذاته ويبنى شيئاً من البصيرة يعينه على إدراك حقيقة صراعه واضطراباته النفسية .

بعد أن يقوم الفرد بتمثيل الدور يناقشه الأخصائى النفسى فى أبعاد الدور الذى قام به وطبيعة ونوع الاحساس والشعور الذى أحاط بالفرد أثناء عملية التمثيل .

ثم يطرح على الجماعة أسئلة تتعلق بنقد الدور وكيف كان يجب أن يقوم به الفرد وهكذا تبدأ المناقشة حتى يتم تعديل الدور بمعرفة أعضاء الجماعة العلاجية ومساعدة الإخصائى النفسى .

ثم يقوم الفرد مرة أخرى بالدور المعدل فى حضور الإخصائى النفسى وبقية أعضاء الجماعة غير المشتركين فى التمثيلية وهنا يجب على الإخصائى أن يلاحظ مدى تعاطف المتفرجين مع الفرد الذى يقوم بالدور .

وقد يجد الإخصائى النفسى أنه من الأوفق أن يعطى الفرد عدة أدوار يقوم بها بنفس القوة والحماس حتى يستطيع أن يكتشف أكثر من ناحية من نواحى شخصية الفرد وأنواع صراعاته واضطراباته .

وعندما تتم عملية التشخيص ويلم الإخصائيون النفسيون بأبعاد الاضطراب

النفسى الذى يعانى منه الأفراد يبدأ مرحلة العلاج بأن تقوم الجماعة بأداء تمثيلية كاملة يأخذ كل منهم دورا يناسب طبيعة الاضطراب الذى يعانيه .

ويشترك كذلك الجماعة المتفرجة مع الجماعة التى تؤدى أدوارها فى تبادل الملاحظة أو النقد أو التعليق .

ويجب أن يتم بعد كل أداء دور تمثيلى اجتماع علاجى بين الإخصائى والجماعة يناقش فيه كل فرد الدور الذى قام به وما يمكن أن يصل إليه من معرفة واستبصار كما يجب على الإخصائى أن يلاحظ مدى تقمص الفرد للشخصية التى يقوم بتمثيلها.

ومن أهم مقومات السيكودراما أن يقوم الفرد بكتابة القصة أو التمثيلية التى يقوم بأداء دور فيها حتى تكون أمامه الفرصة لأن يرتب عناصر البيئة الخارجية من أشخاص أو كائنات مادية بما يلائم الدور الذى تمر به عملية بناء شخصيته أو بمعنى أصح إعادة بناء شخصيته .

وبتكرار الاجتماعات العلاجية وحلقات التمثيل على المسرح ومناقشة الإخصائى لدور كل فرد تنحو الجماعة العلاجية إلى إعادة بناء شخصية أفرادها ومن ثم كان على الإخصائى أن يلاحظ عدة نقاط :

١ — مدى تقبل الفرد للدور الذى يلعبه ومدى حماسه لتأديته .

٢ — مدى عمق عملية الإسقاط كما تبدو فى العلاقة بين طريقة أداء الفرد لدوره وبين التاريخ النفسى له .

٣ — مدى عمق عملية التقمص كما تبدو فى العلاقة بين الدور الذى قام به الفرد وبين السلوك الذى يظهره فى الاجتماعات العلاجية .

٤ — مدى موضوعية إدراك الفرد لبقية أعضاء الجماعة وتأثره بهم .

٥ — مدى فعالية الفرد أثناء الاجتماعات العلاجية .

الباب الثاني

القياس اللاسوسيومترى

الفصل الخامس : قياس الشخصية الانسانية

الفصل السادس : قياس ظاهرة القيادة أو الزعامة

الفصل السابع : قياس الإدراك الاجتماعى وانتاجية الجماعة

الفصل الثامن : قياس الاتجاهات والاهتمامات والقيم

الفصل الخامس

قياس الشخصية الإنسانية

فى هذا الفصل لن نحاول أن نناقش النظريات التى وضعت خصيصا لتفسير معنى الشخصية ولتعريفها وذلك لأن مثل هذه المحاولة تقع خارج نطاق هذا الكتاب الذى وضع أصلا وأساسا من الخبرة العملية ليوضح كيفية تقدير وقياس بعض الظواهر الاجتماعية .

ولا أريد أن أقول أن الشخصية الانسانية ظاهرة اجتماعية حتى لا أدخل إلى حوار على يستهلك الجهد والطاقة .

ولكن ما أريد أن أوضحه هو أن سلوك الفرد وهو ذو علاقة أكيدة بشخصيته عندما يمكن تقديره وقياسه يعنى ذلك قياس الشخصية وتقديرها .

وعلاقة سلوك الفرد بشخصيته علاقة أكيدة بلا شك لأنه مهما تنوعت مدارس نظريات الشخصية واختلفت فهى لا تنكر هذه الصلة الأكيدة .

وسواء كانت سمات الشخصية هى مولدات السلوك البشرى أو كانت تجمعات السلوك البشرى المتكرر هى سمات الشخصية فإن قياس السلوك سوف يعطى صورة حقيقية — لو أحكم هذا القياس — عن شخصية الفرد .

وربما كانت كلمة الشخصية الانسانية إحدى رؤوس الموضوعات الأساسية التى اهتم بتعريفها ودراستها المشتغلون بعلم النفس بجميع مدارسه ومذاهبه .

وقد يكون من المفيد أن نتعرض فى إيجاز لبعض التعريفات التى اقترحها الدارسون فى هذا الميدان لمعنى كلمة الشخصية الانسانية .

فنجد ألبورت على سبيل المثال يعرف الشخصية على أنها ذلك التنظيم الدينامى داخل الفرد وقوامه النواحى النفسية والجسمية الذى يحدد الطريقة التى يتكيف بها الفرد مع عناصر بيئته .

وبناء على مثل هذا التعريف فإنه يمكن قياس الشخصية الانسانية اعتماداً على نوع وكمية القدرة التى يمتلكها الفرد لينتزع ردود الأفعال من الآخرين فى ظروف اجتماعية مختلفة .

وبمعنى أبسط أنه بناء على مثل هذه التعريف يمكن قياس شخصية الفرد بأن نأخذ فى اعتبارنا قدرته على اجتذاب انتباه أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه ليحدث التفاعل الاجتماعى بينه وبينهم ، وفى الواقع أننا نأخذ فى اعتبارنا نوعية هذه القدرة وكميتها . وبالتالى يمكن أن نقول أن ما يأتيه الانسان من سلوك كما يلاحظه الآخرون يعتبر دليلا على نوع شخصيته .

ونجد كاتل يعرف الشخصية على أنها ذلك الشيء الذى يمكننا من أن نتنبأ بسلوك الفرد فى موقف معين .

وبطبيعة الحال واضح من هذا التعريف الصلة القوية التى يراها كاتل بين الشخصية والسلوك حيث اعتبر الشخصية دالة السلوك الانسانى .

وأما آيزنك فإنه يرى الشخصية على أنها مجموع السلوك الطاقى والفعلى للإنسان كما تحدده البيئة والوراثة . حيث تنمو وتتكامل من خلال التفاعل الوظيفى الذى يحدث بين أربعة قطاعات تنظم السلوك وهى القطاع المعرفى والقطاع الفسيولوجى والقطاع العاطفى والقطاع النزوعى .

وعلى أى الحالات وبعد أن نأخذ التعاريف السابقة فى الاعتبار يمكن أن نقول أن الشخصية تنمو وتتكامل من خلال تفاعل الكائن الحى مع بيئة تتصف بالدينامية والتطور والتغير المستمر . هذه البيئة بلا أدنى شك تسبب للكائن الحى الاحباط كما تسبب له التشجيع وتسبب له الانطلاق كما تكبت رغباته وبالتالى فإن البيئة تتحكم إلى حد كبير فى نتاج هذا التفاعل بينها وبين الفرد الانسان .

وقد أوضحت مدرسة التحليل النفسى أن السنين الأولى من حياة الإنسان تؤثر فى بناء شخصيته : فطريقة التعامل مع الطفل وطريقة الإطعام وكذلك الفطام والحب والأمن والطمأنينة التى يعطيها الأبوين لطفلهما أو يمنعهما ونظرة المجتمع عموما إلى هذا الطفل : كل هذه العناصر تؤثر فى بناء شخصية الفرد .

وعلى الرغم من أن هذا المذهب لم يتأكد تماما وبصفة علمية قاطعة — لأنه لم يقم حتى الآن دليل علمى قاطع على علاقة السنين الأولى فقط بشخصية الفرد عندما يكبر — إلا أنه يمكن أن نتفق مع أصحاب مدرسة التحليل النفسى فى أن هناك تنظيم بنائى قد نشأ ونما خلال سنوات حياة الفرد بحيث أصبح يحتوى على الميول والاتجاهات الواعية وكذلك على الميكانيكيات اللاشعورية . هذا التنظيم البنائى يحدد سلوك الفرد فى أى موقف اجتماعى .

ولإكمال الصورة لابد أيضاً أن نتفق مع آراء ألبورت حيث يرى أن الميكانيكيات والميول والاتجاهات إنما تستمر فى النمو والتطور بل وتنشأ ميكانيكيات جديدة وميول جديدة واتجاهات جديدة مع استمرار حياة الإنسان وتفاعله مع عناصر البيئة بمختلف أنواعها وأنماطها . ويستمر هذا التطور والإضافة حتى يصل الفرد إلى الاستقلال الذاتى الوظيفى وهو الحالة التى يصبح لدى الفرد رصيد كاف من الخبرة والإمكانيات والقدرات — بالنسبة لموقف أو عدة مواقف — لأن يتكيف مع عناصر البيئة .

وبذلك لانستطيع أن تقول أن الشخصية — بأى معنى من معانيها السابقة — إنما هى نتيجة خبرات الفرد فى السنوات الخمس الأولى من حياته بل أن هذه السنوات مثل السنوات التى تليها لها أثر واضح فى تشكيل شخصية الفرد .

ولهذا فإن دراسة الشخصية عن طريق تتبع تاريخ الفرد منذ نشأته حتى لحظة الدراسة لا تعطى نتائج ثابتة متجانسة وإن كانت تعطى فقط ما تستطيع أن تعطيه أى دراسة حالة من ناحية التتبع .

معنى ذلك أن الطريق المعقول لقياس الشخصية وتقديرها هو طريق دراسة

السلوك . فالسلوك البشرى دائما سلوك هادف غرضى — حتى فى حالات العصاب أو الذهان — حيث أن يتأثر هذا السلوك الهادف الغرضى بما نسميه الشخصية .

ومن المصطلحات الأخرى التى ارتبطت بمعنى الشخصية مصطلح السمة . فكثيرا ما نكتب أو نقرأ عن سمات الشخصية أو خصائص الشخصية .

فالسمة تعنى أى خاصة من الخصائص التى يختلف فيها الناس كل عن الآخر حيث يكون هذا الاختلاف على مستويات عديدة .

فعلى سبيل المثال هناك خصائص موضوعية يختلف فيها الأفراد مثل الطول أو الوزن أو لون البشرة أو السرعة فى الجرى أو السباحة أو كثرة التردد على المسارح ودور السينما أو المساجد ودور العبادة وهكذا .

وعلى سبيل المثال أيضا هناك خصائص لا يمكن ملاحظتها بسهولة مثل سابقتها ولكنها تنعكس فى صورة أو أخرى عندما يسلك الفرد سلوكا معينا فى موقف معين . ويقول أصحاب مدرسة التحليل النفسى أن هذه الخصائص هى الجزء « الباطن » من الشخصية الإنسانية .

وأما سمات الشخصية أو خصائص الشخصية التى نعنى بها عادة فهى بين هذه وتلك . بين السمات الموضوعية الظاهرة مثل الطول أو الوزن وبين السمات « الباطنة » التى لا يلحظها إلا أصحاب مدرسة التحليل النفسى .

فالسمات الشخصية هى خصائص عامة لها طابع اجتماعى انفعالى يمكن عن طريق القياس الصحيح ملاحظة اختلاف الفرد عن الفرد الآخر بالنسبة لهذه السمة أو تلك .

وبالنسبة للخاصة الشخصية أو السمة فإن ألبورت يرى أن وظيفتها (توضيحية) أى تدل على مضمون معين فى البناء النفسى للإنسان بينما يرى ستاجنر أنها (وصفية) بمعنى أنها أى السمة تصف تجمعا معينا من أنماط سلوك الإنسان .

وأما كاتل فإنه يميز بين نوعين من السمات أو الخصائص :

(ا) السمات السطحية أو الظاهرية Surface traits

(ب) السمات الأصيلة أو المصدرية Source traits

وفى كلتا الحالتين فإن قياس السمة قياسا علميا يتناسب وطبيعة المطلوب من القياس مثل التنبؤ أو المقارنة لهو عمـــل صعب يتطلب كثيرا من الدقة وذلك لما يلى :

١ ـــ معظم السمات يصعب تحديد معانيها ودقائق محتوياتها كما أنها متداخلة فى بعضها البعض سواء من ناحية المعنى أو التشخيص .

وذلك يتضح عندما نجـد أفرادا يقومون بأداء أنماط متناقضة من السلوك تحت اسم خاصة شخصية واحدة . فلو كانت السمة موضع المناقشة هى « المثابرة » فإننا نجد بعض الأفراد يعبرون عن مثابرتهم بطريقة تختلف تماما عما يعبر به الأفراد الآخرون .

وكما سبق أن أشرنا فإن الطول والوزن وما شابه ذلك خصائص من السهل أن يتفق شخصان فى استخراج مقياس لهما . وكذلك القدرة الميكانيكية والتحصيل اللغوى والمهارة فى التوافق الحركى خصائص يمكن ـــ على الأقل ـــ الاستدلال عليها والتعرف على كميتها .

فى حين أن السيطرة والأمانة والمثابرة والإنطواء والعدوانية والتردد والثبات الانفعالى والقدرة الاجتماعية خصائص وإن كان من الممكن التعرف عليها إلا أنه من الصعب قياسها قياساً كمياً دقيقاً . فما يمكن أن أطلق عليه سلوكا عدوانيا يسميه شخص آخر ميلا إلى المخاطرة ويسميه ثالث شجاعة ويسميه رابع ميلا إلى الاستعراضية .

٢ ـــ معظم السمات يكون تقديرها وتفسيرها ذاتيا بمعنى افتقاره إلى الموضوعية وذلك لأن التقدير والتفسير يعتمد على شخصية من يلاحظ الفرد المراد تقدير سمات شخصيته وكذلك على الانطباع الذى يتركه الفرد فى مفهوم الملاحظ كما يعتمد أيضا على الظروف التى يلتقى فيها الملاحظ بالفرد المطلوب تقدير سمات شخصيته .

فعلى سبيل المثال — ولتوضيح ما سبق — نجد أن المعلم قد يرى فى سلوك طفل من الأطفال نوعا من الجنوح والخروج على النظام فى حين أن معلما آخر يرى مثل هذا السلوك على أنه نشاط وحيوية وفعالية وأساس الخلاف بين هذين المعلمين هو بالدرجة الأولى شخصيته وخلقه وتكوين خبرته السابقة .

وكذلك قد يرى المعلم هذا النوع من السلوك على أنه جنوح وخروج على النظام إذا صدر من طفل معين فى حين قد يرى المعلم — نفس المعلم — هذا النوع من السلوك على أنه نشاط وحيوية وفعالية إذا صدر من طفل آخر متأثراً فى ذلك بالانطباع الذى يتركه كل منهما فى مفهومه ومدركه .

وأخيراً فإنه من الطبيعى أن يختلف تقييم المعلم لسلوك الطفل الذى يصدر منه داخل أسوار المدرسة إذا صدر منه — نفس الطفل ونفس السلوك — خارج أسوار المدرسة .

٣ — يتطلب قياس السمة الشخصية — بطريقة أو بأخرى — ما يتطلبه دراسة خصائص الخلية الحية من جسم الكائن إذ عندما توضع هذه الخلية تحت الميكروسكوب تكون قد تركت جسم الكائن وبالتالى أصبحت دراستها مصطنعة لأنها لا تعيش فى الوسط والبيئة التى تعودت أن تحيا فيها .

وكذلك فى حالة قياس الشخصية الإنسانية أو سماتها وخصائصها فإن الإصطناع فى ترتيب ظروف القياس سواء كان بالملاحظة أو عن طريق الإختبارات أياً كان نوعها يقلل من دقة القياس .

ولو أراد الإخصائى النفسى أن يقيس سمة شخصية فى ظروف طبيعية أى دون تجربة أو آلة قياس مستخدما فى ذلك أسلوب رجل الشارع فى إصدار حكمه على شخصيات الآخرين كان هذا الأسلوب بعيــــداً كل البعد عن الموضوعية والطريقة العلمية فى التفكير .

لذلك فإن القياس بظروفه الراهنة أمر لابد منه ولكن لابد كذلك من تحسين أدوات القياس حتى نحصل على أحسن نتيجة ممكنة .

٤ — مما لاشك فيه أن أى سلوك إنسانى ليس من البساطة والسهولة أن أن نعزوه إلى خاصة شخصية واحدة ولكن السلوك معقد تدفعه وتولده عدة سمات وخصائص متشابكة إذ أن هذا السلوك يسببه التفاعل الدائم بين هذه السمات والخصائص .

لذلك فإنه لايمكن أن نقيس سمة شخصية بوحدات مادية على تدريج مطلق كما نقيس الطول أو الوزن أو درجة الحرارة ولكن يمكن أن نرتب الأفراد حسب أى خاصة شخصية بحيث تتفق على أنواع السلوك التى يحتمل أن تتعلق بها أكثر من أى خاصة غيرها ويكون هذا الترتيب على تدريج نسبى بمعنى أن هناك أفراداً فى القمة وآخرين فى القاع وآخرين حول المتوسط .

بهذا المفهوم نستطيع أن نمهد لوصف الطرق المختلفة التى يمكن اتباعها لقياس وتقدير شخصية الفرد .

ونصف فيما يلى طريقة بناء مقياس لسمة من سمات الشخصية .

فلفترض على سبيل المثال أننا نريد أن نبنى مقياساً لتقدير خاصة الثبات الإنفعالى عند فرد من الأفراد ولهذا سوف نتبع الخطوات التالية :

١ — نعين قبل كل شىء عدة مواقف فى الحيـــاة اليومية يستجيب لها الأفراد إما بثبات عاطفى أو بانفعال واضح . أو نصمم هذه المواقف على هيئة اختبار من المحتمل أن تكون له علاقة قوية بهذه المواقف .

ثم نطبق هذا الاختبار على عدد كبير من الناس فى بيئة واحدة ومن بينهم الفرد المراد قياس ثباته الإنفعالى .

٢ — تسجل استجابات جميع الأفراد لهذه المواقف حيث أن الطريقة المعقولة لقياس ثبات الفرد الانفعالى تتلخص فى معرفة موقفه النسبى من بقية الأفراد الآخرين وخاصة الفرد المتوسط . وبذلك نحصل على أنماط عـــديدة من استجابات الأفراد لمواقف العاطفة والانفعال .

٣ — بعد ذلك نوجه إلى هؤلاء الأفراد عدداً من الأسئلة المكتوبة والتى

تستفهم عن رأيهم فى استجاباتهم فى مواقف انفعالية وذلك من خبرتهم الماضية أى قبل بناء المقياس موضع الوصف .

وعليهم أن يوضحوا ذلك بأمانة وصراحة حتى يمكن أن نحصل على رأيهم فى انفعاليتهم .

٤ ــ تأتى بعد ذلك خطوة على قدر كبيرة من الأهمية وهى أن نجمع آراء أكبر عدد من الناس الذين يعرفون هؤلاء الأفراد جيداً بخصوص ثباتهم الانفعالى ويمكن أن يتم ذلك عن طريق استفتاء بسيط متدرج .

وبالتالى فإننا نحصل بذلك على تقديرات خارجية من أناس على صلة ومعرفة بالأفراد الذين نطبق عليهم المقياس المقترح . وعلى سبيل المثال لو كانت هـــذه المجموعة مكونة من أطفال فى المدرسة فإننا نستعين بالمعلمين والآباء والزملاء من فرق أو فصول أخرى .

٥ ــ بعد ذلك تقارن رأى الجماعة الخارجية برأى جماعة التجربة بالنسبة لثباتهم الإنفعالى ويتم هذا عن طريق إيجاد معامل الارتباط (فى أى صورة من صوره) بين الدرجات التى أعطاها الأفراد لأنفسهم من خلال الاستفتاء وبين الدرجات التى حصلوا عليها بناء على تقديرات الجماعة الخارجية .

فإذا كان معامل الارتباط عالياً دل ذلك على أن الفرد الذى يعتقد أنه يتصرف بانفعال شديد فى موقف من المواقف يراه أعضاء الجماعة الخارجية كذلك . أى أن هناك تطابق بين رأى الفرد فى سلوكه وبين رأى الآخرين فى سلوك هذا الفرد .

٦ ــ نكرر هذه الخطوة باستخدام جماعات خارجية أخرى فلو كانت الجماعة السابقة هى زملاء الدراسة فإننا نوجد معامل الارتباط بين الدرجات التى أعطاها الأطفال لأنفسهم وبين الدرجات التى أعطاها المعلمون لهم ثم الدرجات التى أعطاها الآباء لهم وهكذا .

وكلما كثر عدد الجماعات الخارجية كلما كانت الفرصة أكبر فى بناء مقياس دقيق .

والهدف من ذلك كما هو واضح إيجاد مدى التطابق بين فكرة الفرد عن ذاته وفكرة الآخرين عن ذات ذلك الفرد .

٧ — بعد هذا نضم الجماعات الخارجية التى سجلت معاملات ارتباطات إيجابية على أساس أن هذه (التركيبة) المختلفة من الجماعات (التلاميذ الزملاء — المعلمون الآباء — الخ) سوف تمثل حكما أقرب إلى طبيعة حكم المجتمع الذى يعيش فيه الفرد .

بذلك ونتيجة لهذا الضم نحصل على درجات على مقياس الثبات الإنفعالى يمكن على أساسها مقارنة الأفراد بعضهم ببعض .

كلمة أخيرة يجب أن تذكر عن أنواع الشخصية — كما تكلمنا سابقاً عن سمات الشخصية — خاصة وأن فريق كبير من علماء النفس يقسم الشخصية الإنسانية إلى عدة أنواع .

فيرى يونج أن هناك أنواع عديدة من الشخصية الإنسانية يصنفها على أساس: الحساسية — التفكير — الشعور — البصيرة — الانبساط الاجتماعى .

فى حين أن كرتشمر يرى نوعين من الشخصية : النوع القلق المنفصم والنوع الهادىء المتزن . والواقع أن المجال لايتسع لمناقشة مثل هذه التقسيمات أو غيرها .

ولكن نناقش فيما يلى أهم الطرق المتبعة لقياس الشخصية الإنسانية .

١ — طريقة المظهر الخارجى للإنسان :

إلى أى مدى يمكن أن يدل المظهر الخارجى للإنسان على سمات شخصية ومكوناتها ؟ فى الواقع لو استطعنا أن نضع إجابة كاملة عن هذا السؤال لكان من السهل الميسور أن تتنبأ بسلوك الفرد فى المواقف الاجتماعية المختلفة طالما أن سلوكه دالة من دوال سماته الشخصية .

ففى وقت من الأوقات كان الطول والوزن والبنية الجسدية وحجم الرأس وتركيب الجمجمة واتساع الجبهة وحجم الفك ولون الشعر ولون حدقة

العين وشكل أصابع اليد وخطوط الكف كانت كل هذه الأشياء ذات قيمة فى تقدير شخصية الفرد .

فلقد كان على سبيل المثال الفك العريض يدل على العزم والتصميم والمثابرة بينما الجبهة الواسعة تدل على الذكاء والفكر المنظم والبنية الجسدية النحيفة الدقيقة تدل على المكر والدهاء وهكذا .

وقد كان اليونان والعرب القدماء يصفون شخصيات الأفراد اعتماداً على أقرب الحيوانات شبهاً بهم . فالوجه الدقيق الذى يشبه فى تقاطيعه وجه الثعلب يدل على ذكاء صاحبه ومكره ودهائه : والوجه الذى يشبه وجه الأسد يدل على الشجاعة والإقدام . والقوام الذى يشبه قوام الجمل يدل على قدرة صاحبه على الصبر والمثابرة وهكذا .

بعد هذا كانت هناك خطوة للبحث والدراسة قام بها فريق من المهتمين بدراسة حياة غير العاديين من عظماء أو مجرمين أو قتلة أو لصوص .

وكانت هذه الدراسة تهدف إلى تصنيف المظاهر الخارجية للأفراد غير العاديين كاتساع الجبهة وعرض المنكبين ونظارة العينين وتركيب الفك وما شابه ذلك . ثم حاولوا بعد ذلك أن يجعلوا هذه الصفات المظهرية قاعدة للتنبؤ بسلوك الفرد وسمات شخصيته ، فعلى سبيل المثال من يتفق فى صفاته المظهرية مع المجرمين والسفاحين فهو سفاح ومن يتفق فى سماته المظهرية مع العظماء والمبتكرين فهو عظيم ومبتكر .

وعلى أى الحالات لم تترك هذه الدراسة أو نتائجها ولكن علماء النفس المحدثين وخاصة المهتمين بدراسات الشخصية قاموا بتحقيق هـــذه العلاقة بطريقة علمية سليمة فوجدوا أنه لا علاقة إطلاقاً بين السمات المظهرية وبين الشخصية كما افترض هؤلاء .

وقد قام باترسون ولادجات بتكليف ٩٤ طالباً أن يرتبوا مجموعة من الطلبة الآخرين على مقياس يضم ٢٦ سمة شخصية ثم قسم أعضاء هذه المجموعة حسب لون الشعر ثم لون حدقة العين ثم تقاطيع الوجه ولكن لم يجد الباحثان أي علاقة

بين الدرجات أو الرتب التى أعطاها الطلبة الأربعة والتسعين لأعضاء المجموعة وبين الصفات الظاهرية لهؤلاء الأعضاء .

وهذا يستدعى بالضرورة أن نخطىء نظرية لامبروزو العالم الجنائى المشهور حيث زعم أن المجرمين ينتمون إلى فصيلة إنسانية لها خصائص جسمانية واحدة .

كما أن علماء النفس المحدثين لم يتركوا الدراسات غير العلمية الأخرى وشأنها بل قامت وولف فى سنة ١٩٤١ بدراسة العلاقة بين الصحة والمزاج والذكاء وبين خطوط راحة اليد (الكف) وقدمت الباحثة أسباباً وجيهة لهذه العلاقة حيث أوضحت كيف يمكن أن تتأثر الخطوط على الكف والأصابع بواسطة نشاط الغدد الصماء والحالة العصبية للفرد .

وثمة دراسات أخرى تمت لدراسة العلاقة بين البنية الجسمية وبين بعض السمات الشخصية وأهمها الانطواء والانبساط الاجتماعى .

ومن أهم هذه الدراسات دراسة كرتشمر الذى وجد أن غالبية مرضى الانفصام يتميزون بطول القامة والنحافة المفرطة واصفرار البشرة . فى حين أن مرضى الاكتئاب من النوع القصـــير الممتلىء . وحاول كرتشمر أن يعمم نتائج هذه الدراسة على الأفراد العاديين ولكنه لم يفلح كثيراً كما أن الدراسات التى جاءت من بعده لم تؤيد استنتاجاته وذلك لأنه من الصعب بل من الخطأ أن نعمم نتائج دراسة أجريت على قطاع شاذ من الجماعة على بقية أفرادها العاديين .

إلا أن آيزنك سنة ١٩٥٢ استخدم طرق رياضية معقدة للتخلص من هذه العقبة وقام بمقارنة عدة قياسات جسمانية استنتج منها هذه النسبة :

$$\frac{\text{الطول} \times ١٠٠}{٦ \times \text{قطر الصدر}}$$

حيث وجد أنه فى حالة الفرد العادى تكون هذه النسبة ١٠٠ فى حين أنه فى حالة ذوى الشخصية الانفصامية تصل هذه النسبة إلى ١٣٠ وأما فى حالة مرضى

الاكتئاب تنخفض إلى ٧٠ . ولكن على أى حال لا نستطيع أن نؤكد نهائيا قدرة هذه النسبة البسيطة على تصنيف الشخصية إلى انفصامية واكتئابية .

وعلى الرغم من أننا قد أوضحنا فيما سبق الشك الكبير الذى يمكن إثارته عند الكلام عن العلاقة بين الصفات الظاهرية للإنسان وبين سماته الشخصية إلا أنه لا يمكن أن تنكر العلاقة والتفاعل بين الجسم والنفس . بين الجسم بما فيه من نشاط حيوى وإفرازات للغدد وحركية دائمة لأجهزته وبين النفس وما فيها من مفاهيم ومدركات وتوقعات بل وانفعالات أيضا .

وأبرز مظهر من مظاهر هذه العلاقة بين النفس والجسم التفاعل بين الانفعال والعاطفة وبين النواحى الفسيولوجية وهـذا مانسميه « السيكوسوماتية » « Psychosomatics » . ولنأخذ مثلا على ذلك المرض المعروف بالقرحة المعدية أو قرحة الأمعاء حيث نجد أن نسبة كبيرة جدا ممن يعانون هذا المرض يميلون إلى إظهار سمات القلق الزائد مع نحافة واضحة وقد وجد أيضا أن تكوين القرحة ينشأ غالبا بعد عدة مرات من الإحباط والفشل يعانيه هؤلاء المرضى .

كذلك وجد أن بعض أنواع الربو وأمراض ضيق التنفس لها أصول نفسية أكيدة .

والواقع أن الكيمياء الحيوية ــ وخاصة البحوث الحديثة فيها ــ أعطت حلولا واضحة لتأثير سيكلوجية الفرد بإفرازات الغدد الصماء . وعلاقة ذلك بمظاهر النمو المختلفة .

ونوع آخر من الدراسات قام به بعض علماء النفس وأهمهم لانديس لمحاولة الحكم على شخصية الفرد من صورته الفوتوغرافية دون أن يكون للحكم أى معرفة سابقة بالفرد .

ففى بعض التجارب قام فريق من الحكام بترتيب مجموعة من صور بعض الأفراد بالنسبة للذكاء وبعض السمات الشخصية الأخرى ولكن لم تكن هناك أى دلالة موجبة ذات قيمة على صدق هذه الأحكام على الرغم من تأكيدات تشارلس

داروِن — صاحب نظرية التطور — بأن هناك انضباط عضلى معين بالنسبة لكل انفعال خاص عند الإنسان .

فقد وجد أن معاملات الارتباط بين ترتيب الحكام للصور الفوتوغرافية على أساس الذكاء وبين درجات الذكاء المشتقة من الاختبارات المقننة لايزيد عن ١ر٠ ولكن من الطريف فى هذه التجربة أنه كان هناك معامل ارتباط عال وموجب بين ترتيب الحكام مع بعضهم البعض أو بمعنى آخر كان هناك شبه اتفاق على ملامح الذكاء وملامح الغباء ولكن هذا الاتفاق لم يرتبط بدرجات الاختبار الموضوعية . وعندما سئل الحكام بعد إجراء التجربة عن المعايير التى اتخذوها أساساً لتقدير ذكاء الأفراد أصحاب الصور الفوتوغرافية كانت كما يلى :

١ — العينين اللامعتين .

٢ — النظرة النفاذة .

٣ — ليس نظارة طبية .

٤ — شبه قائم بين صاحب الصورة وبين شخص ذكى يعرفه الحكم .

وأما بالنسبة للسمات الشخصية الأخرى مثل القدرة الاجتماعية والميل إلى الفكاهة وتحمل المسئولية والانفعالية العالية ... الخ فقد يكون الأمر أقل صعوبة نظراً لما تعكسه هذه السمات من تعبيرات عاطفية على وجه الإنسان وحتى فى هذه الحالة لم يزد معامل الارتباط فى المتوسط عن ١٣ر. وفى هذا الصدد أجرى رايس Rice تجربة مشهورة فى سنة ١٩٢٦ . فقد أحضر تسع صور منها صور رئيس وزراء وعضو فى الكونجرس الأمريكى وصانع أحذية وروسى بملابسه الوطنية وعرضت هذه الصور على مجموعة من الحكام لوضع كل فرد فى منصبه حسب صورته . وكانت النتيجة لاعلاقة لها على الإطلاق بالواقع .

٢ — طريقة الحركات المعبرة :

لعله من المتوقع — وخاصة بعد استعراض الطريقة الأولى — أنه يمكن الحصول على نتائج أحسن لو أمكن ملاحظة المظهر الخارجى للإنسان أثناء حياته وحركته لا فى حالة السكون والتوقف كما يحدث فى صورة فوتوغرافية .

وفى هذه الطريقة اهتم الباحثون بالتمييز أولا بين السلوك المعبر وبين السلوك التكيفى . فهذا الأخير يعنى استجابة الفرد لمواقف خاصة وبعينها مثل أن يرفع الفرد يده ليمنع بها الشمس عن عينيه أو أن يمشى ببطء عندما تصاب قدمه وهكذا .

وأما السلوك المعبر الذى نقصده هنا هو ذلك السلوك الذى يأتى به الفرد عند استجابته لموقف من المواقف لا يتصل بهذا النمط من السلوك مثل حركات الأيدى الكثيرة أو الرأس عندما يتكلم الإنسان . أو نبرات الصوت وتعبيرات الوجه وطريقة الحديث فى مواقف أخرى .

وبطبيعة الحال فإن هذه التعبيرات أو السلوك التعبيرى إنما تتأثر إلى حد كبير بالعادات والتقاليد التى تسود البيئة التى نشأ فيها الفرد .

هذا وقد أجريت عدة تجارب لإيجاد دلالة حركات الأيدى أثناء الحديث وعلاقة ذلك بالسمات الشخصية للفرد ولكن لم تنجح تجربة واحدة فى إثبات هذه العلاقة أو نفيها .

ولكن بعد هذا حاول فريق من العلماء أن يثبت علاقة بين حركات الأيدى وبين سمات الشخصية للمصابين بالانفصام والمصابين بالاكتئاب وعلى الرغم من أن نتيجه مثل هذه الدراسة تعتبر نتيجة محلية جدا لأن تعميم هذه النتيجة بالنسبة للسويين أمر غير عملى إلا أن بعض البحوث التى أجريت فى هذا الميدان كانت مفيدة ولا شك .

فمن بحوث جيكوبسن التى تعتمد على نظرية العلاقة بين الانفعال وتقلص العضلات أمكنه تصميم جهاز لمعالجة المرضى العصابيين عن طريق إزالة التوتر والتقلص الذى تعانيه العضلات فى بعض مواقع الجسم .

وكما أنه صمم جهازا آخرا لقياس مقدار التوتر العصبى عند الفرد .

وفى بحوث أخرى للعالم الروسى (لورا) أمكنه إيجاد العلاقة بين الانفعال وحركة إحدى اليدين .

وتتلخص تجربة هذا العالم فى أن يجلس الشخص ويده اليسرى على سطح حساس يقيس أى تغيير فى الضغط وأى انقباض أو انبساط فى العضلات ويمسك بيده اليمنى أنبوبة من المطاط ، ويتعرض الشخص لاختبار فى التداعى الحر إذ كلما يذكر كلمة أو فكرة يضغط على الأنبوبة المطاطية التى تتصل بجهاز لقياس شدة ضغط الفرد فى كل مرة .

وقد وجد (لورا) أن أثناء تذكر الفرد لخبرات انفعالية حادة أو عندما يتذكر أسماء بعض الاشياء التى ترتبط فى ذهنه بمثل هذه الخبرات فإن ذلك يتضح فى اضطراب تقلص وانبساط العضلات فى اليد اليسرى بينما يزداد الضغط على الأنبوبة المطاطية من اليد اليمنى .

يأتى بعد ذلك دور صوت الإنسان أثناء الحديث كسلوك تعبيرى . فالصوت بلا أدنى شك يعتبر من أهم ما يلفت النظر إلى شخصية الفرد . وخاصة كسلوك يصدر من عضلات الحنجرة ويسمع بدل أن يرى ويختلف الصوت من فرد لآخر بالنسبة لتأكيد بعض مقاطع الكلمات ، وسرعة النطق بها ونغم الحديث واستمراره وطريقة النطق واختيار الكلمات وهكذا .

ففى تجارب بيير وجد أنه يمكن استنتاج الوظيفة والسن وكذلك طبيعة الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الفرد من خلال سماع الصوت فقط ولو أن ذلك نجح فى قليل من الحالات فقط .

وكذلك يقول كونز أن طبيعة الانفعال وعمقه يمكن قياسه عن طريق تقدير ذبذبات صوت الإنسان أثناء هذا الانفعال . كما يقول أيضا أن هذا التقدير يكون عاليا فى حالة مرض الانفصام والاكتئاب حيث يدل الصوت بوضوح على طبيعة الاضطراب الشخصى الذى يعانى منه الفرد .

هذا وقد قام ألبورت وكانتريل بتجربة مؤداها أنه أحضر ثلاثة مجموعات من

المتكلمين من خلف ستار أمام مجموعة من المستمعين . وأعطى الباحثان المستمعين قائمة بصفات وخصائص شخصية كل متكلم وطلبا منهم أن يوفقوا ما بين هذه السمات والخصائص وبين انطباعاتهم عن الأصوات التي يستمعون إليها .

وكانت النتائج تدل على أن معامل الارتباط بين واقع الوظيفة والاتجاه السياسي وبين ما تخيله المستمعون لا يزيد عن ٢ر. .

في حين أن دافع ميل الفرد إلى التسلط والسيطرة يرتبط بدرجة أعلى بما تخيله الأفراد والمستمعون فقد وصل معامل الارتباط إلى حوالى ٤ر. . بينما كان معامل الارتباط بين الوصف الكلى لشخصية المتكلم - كما تحـــدده الاختبارات الأخرى - وبين الوصف الذى أعطاه السامعون لشخصية كل متكلم بناء على الاستماع إلى صوته فقط يتراوح بين ٢٩ر. ، ٤١ر.

وبعد ذلك يأتى دور الخط (خط اليد في الكتابة) ومحاولة معرفة شخصية الكاتب عن طريق تحليل خطه .

بطبيعة الحال لا يمكن أن ننظر إلى هـذه الوسيلة كطريقة علمية وذلك لسبب أساسه واضح هو أن خط الفرد يتغير بصورة واضحة في مراحل نموه المختلفة واكتسابه للخبرات والتدريب .

ففي بعض التجارب التي أجراها كلاجز وسوديك لدراسة العلاقة بين سمات الشخصية وبين طبيعة الخط المكتوب من حركية وانتظام وتناسق كانت النتيجة لا تعنى شيئاً من الناحية العلمية .

كان ذلك استعراضا مبسطا لأهم مظاهر السلوك التعبيرى للفرد في المواقف الاجتماعية المختلفة .

وهناك مدخل آخر لملاحظة الحركات التعبيرية أو السلوك التعبيرى للفرد حيث يتم ذلك في أثناء اختبارات الأداء أو الاختبارات العملية التي يقوم بها الفرد لأى غرض من الأغراض .

فمن أولى الصعوبات التي تقابل من يطبق أى اختبار من اختبارات الأداء

وخاصة فى ميدان الشخصية هو أن المفحوص يفطن سريعاً إلى معنى الاختبار والمقصود من تطبيقه فيحاول أن يعدل من سلوكه وأدائه بحيث يعطى الانطباع الأحسن .

ولهذا فقد ابتدع بعض الباحثين اختبارا يبدو فى مظهره على أنه قياس للقدرات أياً كانت هذه القدرات ولكن فى واقع الأمر يقوم الإخصائى بملاحظة سلوك الفرد أثناء تأدية هذا الاختبار .

وعلى جميع الحالات فإنه ملاحظة سلوك الفرد أثناء تأدية العمل قد تكون فى غالب الأحيان ذاتية إذا قام بدور الملاحظة شخص واحد . ولذلك فإنه من الطبيعى أن يكون هناك ثلاثة على الأقل للقيام بدور الملاحظ مع ضرورة أن يكون مع كل منهم قائمة خاصة بالسلوك المطلوب ملاحظته وتسجيله . ونعرض فيما يلى قائمة مقترحة لهذا النوع من التسجيل .

اسم الملاحظ . . . . .

اسم الطفل . . . . التاريخ . . . . .

١ — النشاط العام :

مضطرب ـ غير مستقر ـ لا يهدأ — مندفع ـ هادىء ـ حذر ـ متخوف

سريع الحركة ـ مملوء بالحيوية

قضم أظافر اليد .

هرش الرأس ـ هرش أماكن أخرى من الجسم .

استخدام المنديل فى مسح العرق (الكفين) — الجبهة .

٢ — الحركة أثناء الأداء :

حركة متناسقة — قدرة على التحكم فى الحركة .

حركة دقيقة — قدرة على الانتقال من حركة إلى أخرى

حركة حذرة

حركة غير منسجمة

٣ ـ التكوين الطبيعي :

يعطي انطباعاً عالياً	ممتلىء بالصحة والحيوية
يعطي انطباعا متوسطا	يفتقر إلى الصحة والحيوية
لا يعطي أي انطباع	

قوى فى حركته ـ تبدو عليه الكفاءة والطاقة .

بطىء معتل الحركة .

٤ ـ التعبير الشخصي :

جذاب المظهر	متأنق
مظهر معتاد	مهمل
مظهر ردىء (قبيح المظهر)	
وجه معبر بصورة واضحة	صريح
وجد جامد	كتوم
ضحوك	مبتسم (مبتهج)
سريع البديهة	مكتئب
بطىء التفكير	متشائم
لايفهم النكتة	
ناضج جاد	حاد المزاج
طفلى	معتدل
	بارد الإحساس

٥ ـ العناية بالنفس :

متأنق للغاية

ذوق جيد (دقيق ونظيف)

عادى الملبس

إهمال فى الملبس

إهمال واضح فى المظهر العام

٦ — طريقة الحديث :

صوت عادى معبر	صوت واحد مستمر متميز
صوت خشن حاد	صوت متقطع وبه تمتمه
تعبير لغوى صحيح	
غير قادر على التعبير الصحيح	نوع اللهجة . . . . .
كثير الكلام (رغاى)	ذكى الحديث — لغته سهلة واضحة
معتدل الحديث	حديثه تافه
لايتكلم إلا نادرا	

٧ — الثقة بالنفس :

مملوء بالزهو والغرور	حاسم فى قراره
مملوء بالرضا عن النفس	متردد
واثق من نفسه	
مطمئن النفس	لايمكن استهواؤه
خجول - إحساس زائد بالنفس	يمكن استهواؤه
قلق - خضوع	

٨ — التعاون :

مستعد للتعاون مع كل شخص
يدخل فى الجماعة بسهولة
محافظ — يميل إلى الرسميات
يشك فى نوايا الآخرين
يقف موقفاً عدائيا من الآخرين
دقيق فى عمله ومنتظم فى تطبيقه

جاد ومجتهد

سلس التعامل مع الناس

كسول — غير منتظم — غير دقيق

٩ — الانتباه والتركيز :

حذر ومنتبه

يركز على ما بيده من عمل

سرحان

يمكن تشتيت انتباهه بسهولة

١٠ — رد الفعل للموقف :

تحليلي	يكرر نفس الأخطاء
جاد	يستفيد من الأخطاء السابقة
محاولة وخطأ	
غير منتظم	

١١ — الانفعال :

عاطفة مندفعة غير مهذبة	عاطفة معقولة
ردود فعل طفلية	اختيار ردود الأفعال
يفقد السيطرة على النفس	جاد وهادىء

١٢ — ملاحظات أخرى . . . .

. . . . .

. . . . .

ويقوم الملاحظ بوضع علامة مميزة أمام نوع السلوك الذى يظهره الفرد فى الموقف العملى أو الموقف الأدائى . والقائمة السابقة تحتوى على عديد من أنواع السلوك التى قد لا يقوم بها الفرد جميعاً ولكن قد يقوم ببعضها .

وبطبيعة الحالة يجب أن يقارن الباحث نتائج أكثر من ملاحظ واحد حتى يصل إلى فكرة عن شخصية الفرد عن طريق ملاحظة سلوكه الظاهرى .

٣ – طريقة المقابلة الشخصية :

تعتبر طريقة المقابلة الشخصية من أكثر الطرق شيوعا لتقدير شخصية الفرد – بصفة عامة – وخاصة فى المجالات التربوية والمهنية وكذلك فى مجالات تشخيص الاضطرابات عند الأطفال المنحرفين وغيرهم من المرضى النفسيين .

ويتم ذلك بواسطة عقد جلسة رسمية بين ناظر المدرسة مثلا أو أحد الأخصائيين وبين الطفل قد تستمر حوالى ساعة أو أقل وبعدها يعطى الأخصائى صورة عن شخصية الطفل .

ويحدث ذلك أيضا فى المجالات المهنية حيث يقوم رئيس العمل و بعض معاونيه بعقد اختبار شخصى – أو مقابلة شخصية – للمتقدمين لوظيفة ما وتستمر مقابلة كل فرد بضع دقائق بعدها يصدر رئيس العمل حكمه بقبول أو رفض بعض المتقدمين .

ولكن نتيجة للأهمية التى تتوقف غالبا على استخدام طريقة المقابلة الشخصية فى تقدير سمات شخصية الفرد حدث نوع من التطوير والدقه فى استخدامها .

فنجد أن الأخصائى النفسى الذى يريد أن يشخص اضطرابا نفسيا عند الفرد أو جنوحا عند طفل من الأطفال لا يكتفى بمقابلة واحدة أو اثنين ليعطى قراره ولكن بتكرار المقابلات يستطيع أن يرى نمط السلوك الذى يبدو واضحا فى كل مرة .

وكذلك المعلم الذى يريد أن يحصل على صورة واضحة لشخصية طفل من الأطفال لا يكتفى بمقابلته مرة واحدة ولكن يحرص على أن يكرر مقابلته الشخصية حتى يستطيع أن يتفهم طبيعة شخصية الطفل ولو أن ذلك يتم بصورة عامه .

وتعتبر المقابلة الشخصية طريقة شاملة أى يمكن أن يستخدم الأخصائى النفسى

أو المعلم عند إجراء المقابلة الشخصية جميع أنواع أساليب القياس دون تردد . فيستطيع أن يسجل المظهر الخارجي للفرد والسلوك المعبر كالصوت وحركات الأيدى وما إلى ذلك كما يستطيع تسجيل استجابات الفرد للمواقف المختلفة واقعية كانت أم افتراضية واستجاباته لعبارات استفتاء أو اختبار لتقدير الشخصية . وكذلك استجاباته لأى نوع من الاختبارات الإسقاطية . كما يستطيع الأخصائى تسجيل تاريخ الفرد ونشاطاته المختلفة وهواياته واتجاهاته وميوله وقيمه واهتماماته وكل ما يمكن جمعه عن سلوك الفرد وخصائصه .

ومثل ما أتيحت الفرصة بطريقة الاختبار الشخصى لأن تكون شاملة فإن أمامها صعوبة الموضوعية فى الحكم وهذا ما يقلل إلى حد كبير من دقة الأخصائى عند المقابلة الشخصية .

ولقد حاول كثير من الدارسين فى هذا الميدان وضع أسس موضوعية للمقابلة الشخصية حتى تتم بصورة مرضية أو أن يقوم بالمقابلة أكثر من أخصائى واحد حتى نضمن عدم التحيز أو التأثر بانطباع معين . أو أن يقوم الأخصائى بإجراء المقابلة عدة مرات متتالية .

كل ذلك لتقليل عنصر الذاتية فى الحكم الذى يصل إليه الأخصائى .

وأعتقد أنه من الأوفق أن نناقش أساسين هامين فى عملية المقابلة الشخصية — بغض النظر عن أسس إجراء المقابلة التى بلاشك يقوم الأخصائى الاجتماعى على دراستها بالدقة والتفصيل — هذان الأساسان هما : الصحة والثبات إذ أن لهما من الأهمية ما يوجب البحث عنهما فى كل طريقة للقياس . وقبل المناقشة يجب أن نفهم معنى الصحة والثبات فى ميدان قياس الشخصية .

فعندما نقول أن هذا اختبار صحيح فإنما نقصد ببساطة أن نتائج هذا الاختبار صحيحة ويمكن الاستفادة بها . وبمعنى أكثر دقة وتعقيدا أن هذه النتائج يمكن أن ترتبط إحصائياً بمعيار أو محك خارجى . وبمعنى ثالث يمكن أن نقول أن صحة الاختبار تعنى أن يقيس الاختبار ما هو مفروض أن يقيسه .

ويمكن أن نقدر صحة الاختبار أو محتوى المقابلة الشخصية عن طريق :

(ا) إيجاد معامل الارتباط بين نتائج الاختبار أو المقابلة الشخصية وبين دلائل السلوك الذى نرغب فى تقديره أو قياسه عن طريق الاختبار أو المقابلة الشخصية .

(ب) إيجاد معامل الارتباط بين نتائج الاختبار أو المقابلة الشخصية وبين مقياس سمة معينة أو عامل معين ثبتت صحته من قبل .

(حـ) قدرة الاختبار أو محتوى المقابلة الشخصية على التمييز بين مجموعتين من الأفراد يختلفان فى السمات الشخصية التى يقيسها هذا الاختبار .

(د) القدرة التنبؤية لنتائج الاختبار أو محتوى المقابلة الشخصية .

وأما ثبات الاختبار أو نتائج المقابلة الشخصية فإنه يعنى الحصول على نفس النتائج إذا أعيد الاختبار أو المقابلة الشخصية مرة أخرى . وهذا يدل على مدى الثقة فى الاختبار كمقياس .

وفى ميدان الشخصية وقياسها نجد عدة أنواع من الثبات تتبع نوع الاختبار ذاته :

١ ــ فالنوع الأول من الثبات هو تطابق حكم شخصين أو أكثر بالنسبة لتقدير سمات شخصية فرد أو أكثر فى موقف معين . وهذا يحدث فى حالات المقابلة الشخصية من الأخصائيين النفسيين أو الاجتماعيين وبين الحالات التى يطلب منهم فيها تشخيص نوع الاضطراب . فنى حالة تطابق حكم إخصائيين أو أكثر على نوع الاضطراب يكون ذلك بمثابة ثبات المقابلة الشخصية .

٢ ــ والنوع الثانى هو تطابق تسجيل شخصين أو أكثر لأنماط السلوك التى تبديها جماعة من الأفراد أو تطابق الدرجات أو الرتب التى يعطيها شخصين أو أكثر لأفراد جماعة ما بالنسبة لعدة سمات شخصية معينة .

٣ ــ والنوع الثالث هو تطابق الدرجات والرتب التى يحصل عليها الأفراد عند إعادة الاختبار أو المقابلة الشخصية مرة أخرى .

٤ ــ والنوع الرابع هو تطابق الدرجات المشتقة من النصف الأول من

الاختبار مع الدرجات المشتقة من النصف الثانى منه ، أو بمعنى آخر مقارنة نصفى الاختبار . وتعرف بطريقة كودر — ريتشاردسن .

ونناقش الآن ، ثبات المقابلة الشخصية Reliabilty of Interview ، كوسيلة لتقدير السمات الشخصية .

فقد قام هولنجورث بإجراء أول دراسة لتقدير ثبات المقابلة الشخصية . فقد كلف ١٢ مديرا من مديرى المبيعات فى أحد المتاجر الكبيرة بمقابلة ٥٧ فردا متقدمين لشغل بعض الوظائف . وكلفهم بترتيبهم حسب مناسبة كل فرد من المتقدمين لهذه الوظيفة .

وكانت نتيجة هذه الدراسة أنه لم يحدث تطابق كامل بين اثنين من المديرين بالنسبة لفرد من الأفراد المتقدمين .

ومثل هذه الدراسة قام بها هارتوج وودز حيث قام فريقان من الحكام بمقابلة ١٦ فردا متقدمين لوظيفة حكومية . وبعد أن استمرت المقابلة لمدة خمسة عشر دقيقة لكل فرد اجتمع الفريق ليعطى درجة للمتقدم بالنسبة للذكاء والانتباه ومناسبة شخصية الفرد المتقدم لطبيعة الوظيفة .

وكانت النتائج لا بأس بها بين أعضاء الفريق الواحد حيث كان هناك شبه اتفاق فى حين أن مقارنة درجات الفريقين أوضحت أن هناك اختلافا كبيرا بينهما فلم يزد معامل الارتباط عن ٤١ر.

وأما بالنسبة لصحة المقابلة الشخصية Validity فإن الأمر لا يختلف كثيراً عن ثباتها بل قد يكون أقل عند المقارنة .

ومن أهم الدراسات التى أجريت فى ميدان تقدير صحة المقابلة الشخصية دراسات فرتون وبارى فى الجيش البريطانى حيث تمكن الباحثان من الحصول على عدة نتائج مشجعة بالنسبة للقدرة التنبؤية للمقابلة الشخصية ، وكذلك دراسات ماكيلاند فى ميدان التربية والتعليم حيث حصل على نتائج أقل قيمـــة من التى وصل إليها فرتون وبارى .

مما سبق يمكن أن نستخلص بصورة قاطعة أن طريقة المقابلة الشخصية سواء أجراها إخصائى متدرب أو إخصائى قليل الخبرة فإنها لاتصلح لتقدير السمات الشخصية إلا بدرجة قليلة جداً .

وعلى الرغم من هذا فإن طريقة المقابلة الشخصية تعتبر ذات فائدة كبيرة فى بعض الأحيان وبطبيعة الحال لابد من إعداد الإخصائيين الذين يقومون بإجراء المقابلة وهذا يتطلب كثيراً من الجهد والدقة فى الإعداد .

فالمقابلة الشخصية تعتبر هى الوسيلة الأساسية للإخصائى الاجتماعى عند دراسة الحالة ولابد من أن يتمرن على إجرائها تمريناً كافياً قبل أن يزاولها لأنه قد يصل إلى تحقيق فروضه التشخيصية إذا كان أسلوب المقابلة الشخصية سليما وقد يكتسب عداء الحالة وعدم تعاونها إذا لم يكن أسلوب المقابلة الشخصية مناسباً من الناحية الفنية والمهنية .

والمقابلة الشخصية كذلك هى وسيلة الإخصائى النفسى لتشخيص الاضطراب الشخصى أو السلوكى والمقصود بالمقابلة الشخصية فى هذا المكان بالذات هو التكنيك أو الطريقة بمعنى أنه أثناء المقابلة الشخصية يقوم الإخصائى النفسى باستخدام الاختبارات الإسقاطية أو تحليل أحلام اليقظة أو الأحلام الليلة وهكذا .

والمقابلة الشخصية كذلك تعتبر وسيلة من الوسائل التى مازالت تستخدم حتى الآن لاختيارات الأفراد لوظائف أو أعمال أو مهن مختلفة . ولكن مازال عامل الذاتية Subjectivity يلعب دوراً هاماً فى هذه الطريقة .

٤ — طريقة المواقف الحقيقية :

فى كثير من الأحيان يكون الإخصائى النفسى مضطراً لأن ينشىء موقفاً ذا مواصفات معينة حتى يستطيع أن يحصل على أنماط محددة من سلوك الأفراد يمكن قياسها وتقديرها بصورة موضوعية .

ولذلك فإننا نجد الفرد لايستجيب لهذة المواقف بصورة طبيعية لعلمه أنه فى

موقف اختبار وقياس ولهذا السبب نجد أن معامل صحة اختبار الشخصية عند قياسها فى مثل هذا الموقف تختلف باختلاف التجربة أو البحث اعتماداً على طريقة الإجراء وعلى اتجاهات الأفراد نحو موقف التجربة .

وعلى الرغم من أن بعض اختبارات الشخصية يمكن أن تعطى نتائج مشجعة عند استخدامها فى بعض المواقف إلا أنه يشك كثيراً إذا كانت هذه الاختبارات يمكن أن تعطى نفس النتائج التى تعطيها اختبارات الذكاء أو القدرات الخاصة .

لذلك يلجأ الإخصائى كثيراً إلى استخدام مواقف الحياة الحقيقية فى تقدير شخصية الأفراد .

ومن أول الدراسات التى أجريت بالنسبة للمواقف المصممة أو المصطنعة دراسة قام بها فيرنالد فى سنة ١٩١٢ بهدف قياس قدرة الفرد على التحمل والمثابرة حيث قام بتسجيل الزمن الذى يقضيه الفرد واقفاً على أطراف أصابع القدمين رافعاً العقبين إلى أعلى. فوجد أن الزمن الذى يقضيه الفرد المتوسط (من طلبة الجامعة) ٣٦ دقيقة فى حين أن هذا الزمن كان ١٥ دقيقة فقط بين مجموعة من المساجين .

وقد استخدم مثل هذا الاختبار بصور مختلفة منها طول المدة التى يستطيع الفرد أن يكتم أنفاسه فيها أو الوقوف على قدم واحدة أو الجلوس مع مد أحد الساقين إلى الأمام وهكذا .

والواضح أن مثل هذا الاختبار يعتبر ضعيفاً من الناحية العلمية ولكن ثبت بدرجه معقولة أن المصابين بالهيستيريا أقل من غيرهم بالنسبة للمثابرة إذا قدرت بمثل هذا المقياس .

وقد قام هاولز فى ١٩٣٣ بتجارب مماثلة لاختبار قدرة الأشخاص على مقاومة الألم والتعب وتمكن من إيجـــاد بعض العلاقة بين مقاومة التعب والألم وبين التحصيل العلمى .

وبعد ذلك توالت الدراسات على هذا المنوال بهدف الكشف عن قدرة الفرد

على التحمل والمثابرة وجميعها كانت تتم فى مواقف مصطنعة أو مصممة بعيدة كل البعد عن المواقف الحقيقية التى يمر بها الفرد فى حياته اليومية .

وقد أجريت بعض التجارب الأخرى لاختبار الثبات العاطفى أو الانفعالى وكانت جميعها من نوع المواقف المصطنعة التى تهدف إلى استثارة الفرد (صناعياً) لمعرفة مدى مقاومته للمثيرات المختلفة .

ومثال ذلك جهاز ماكدوجال وشوستر الذى يعرض للفرد دوائر متحركة مختلفة الأقطار وبطريقة غير منتظمة ويطلب من الفرد أن يضع نقطة داخل كل دائرة . وتتحرك الدوائر ببطء فى أول الأمر ثم تزداد سرعتها بعد ذلك ويضطر الفرد إلى زيادة سرعته فى وضع النقط داخل الدوائر . ويلاحظ أن بعض الأفراد يأتون بحركات تدل على الإنفعالية العالية كإحداث أصوات غريبة أو تحريك الساقين والأيدى فى اتجاهات تدل على العصبية الظاهرة ، ويلاحظ أيضاً أن بعض الأفراد يكفون نهائياً عن المحاولة بمجرد أن تزداد سرعة حركة الدوائر مظهرين الضيق وعدم الرضا عن التجربة . كما يلاحظ أن البعض الآخر يستمر فى إكمال التجربة بأن يضع النقط داخل الدوائر كلما أمكن ذلك .

وفى إحدى التجارب التى قام بها سميث وفارمر على مجموعة من عمال التلغراف واستخدما فيها هذا الجهاز وجدا أن هناك معامل ارتباط موجب بين نتائج هذه التجربة وبين نتائج الإختبارات الشخصية الخاصة بالعصاب ويبلغ معامل الارتباط حوالى ٤٦ر

ومن الأمثلة الأخرى ماقام به كاتل سنة ١٩٤١ حيث كان يعرض للفرد بعض الخطوط المنقطة أو الأشكال الأخرى ويطلب منه إما شطبها بعلامة × أو وضع دائرة حولها وكانت هذه الأشكال تمر أمام الفرد بسرعة فائقة فإذا تمكن الفرد من السيطرة على أعصابه واختار الأشكال المناسبة إما ليضع حولها دائرة أو يشطب عليها بعلامة × فإنه يحصل على درجة عالية بالنسبة لاتزانه الانفعالى .

ويقول كانل (صاحب هذه الطريقة) أنه تمكن من التمييز بين المرضى النفسيين وبين الجانحين وبين العاديين من البالغين باستخدام هذه الطريقة .

ومثال ثالث ما قام به كير وفريمان سنة ١٩٤٥ عندما أجريا تجاربهما على بعض الأفراد بوضعهم فى مواقف مثيرة أما عملية ميكانيكية أو ذهنية ثم يقوم الباحث بتسجيل الزمن الذى يستغرقه الفرد موضع التجربة فى العودة إلى حالته الطبيعية بعد التعرض لموقف الإثارة . وبطبيعة الحال فإن طول هذا الزمن يتناسب عكسياً مع الاتزان الانفعالى للفرد .

واضح بلا أدنى شك أن مثل هذه الأجهزة والاختبارات والمواقف ليست هى الظروف الحقيقية التى يمر بها الإنسان فى حياته فليس الاتزان الانفعالى على سبيل المثال هو قدرة الفرد على وضع نقطة داخل دائرة أو وضع دائرة حول خط منقط وليس الصبر والمثابرة هو أن يقف الفرد على أطراف أصابع القدمين أو أن يكتم أنفاسه لفترة زمنية طويلة أو قصيرة .

وحتى لو سلمنا جدلا أن هذه الاختبارات والأجهزة والمواقف هى فعلا صالحة لقياس بعض سمات الشخصية الإنسانية فإننا لا نستطيع إلا أن نشك فى صحتها Validity شكا لا يجعل لها من المكانة العلمية إلا محاولة تصميمها فقط من ناحية الشكل وكذلك الجهد الذى بذله المصمم فى إخراجها إلى حيز الاستعمال ..

ولابد إذن أن نبحث عن الموقف الحقيقى فى حياة الفرد فإنه خير مقياس لشخصيته سواء من ناحية السمات أو ناحية أنماط السلوك التى يبديها الفرد فى مثل هذا الموقف .

والموقف الحقيقى فى حياة الإنسان موقف أصيل أى أنه لا يتكرر ولا يعاد . حتى لو مرت نفس الظروف أو الملابسات على الفرد مرة أخرى فإنه ولابد وأن تختلف عناصر الموقف عن ذى قبل وذلك لسببين :

١ ـــ أن حياة الفرد لا تتوقف طالما هو حى فكل يوم أو حتى ساعة تمر إنما تضيف إليه شيئا جديدا وتجعله يختلف عن الساعة التى سبقتها أو اليوم الذى سبقه وبذلك تصبح طريقة استجابته لنفس المثيرات مختلفة عن ذى قبل .

٢ — أن حياة الأفراد الذين يعيشون فى نفس الحيز الذى يعيش فيه الفرد تخضع لنفس الحقيقة السابقة ويحدث التغير فى الأفراد بنسب مختلفة ومتفاوتة فما تضيفه نفس الخبرة إلى شخص ما قد لا تضيفه إلى شخص آخر .

ولهذا نقول أن الموقف الحقيقى فى حياة الإنسان ،وقف أصيل أى لا يتكرر ولا يعاد ولكى يتم تقدير شخصية الفرد وسلوكه لابد وأن يقدر فى هذا الموقف الحقيقى بجميع مواصفاته وملابساته .

والطريقة المثلى لذلك هى طريقة ملاحظة الفرد أثناء تفاعله مع عناصر الموقف وتسجيل هذا التفاعل ثم تحليله وتفسير دلالاته . وهذا ما نتناوله بالمناقشة الآن .

فقد أوضح أولسن وجود إنف وتوماس أنه يمكن قياس الشخصية فى الموقف الحقيقى بصورة أكثر سهولة وأكثر دقة من المواقف المصطنعة أو المصممة . فيقوم أحد الملاحظين بملاحظة نمط معين من السلوك ويقوم آخر بملاحظة نمط آخر وهكذا .

فعلى سبيل المثال فى المدرسة الإبتدائية يمكن أن يقوم الملاحظ بملاحظة السلوك العدوانى (بعد الاتفاق على مفهومه وتعريفه) بين الأطفال ثم يقوم بتسجيل أسماء الأطفال الذين أبدوا مثل هذا السلوك وعدد المرات التى صدر منهم فيها . ويقوم ملاحظ آخر — على سبيل المثال بملاحظة السلوك الانفعالى مثل كثرة البكاء أو التصرف القلق وعدم الاستقرار ويقوم كذلك بتسجيل أسماء الأطفال الذين يصدرون مثل هذا السلوك وتكرار حدوثه . وهكذا بالنسبة لأنماط السلوك الأخرى مثل السلوك الزعامى أو الانطوائى أو الاجتماعى .

ولكن من الأنسب فى مثل هذه الحالات — حالة ملاحظة نمط معين من أنماط السلوك — أن يكون هناك تنظيم للوقت الذى تتم فيه الملاحظة أو بمعنى آخر أن يتم أخذ عينة من الوقت لإتمام الملاحظة .

ولتوضيح ذلك فإنه إذا أراد الباحث ملاحظة السلوك العدوانى فى المدرسة

الإبتدائية فلابد من أن يأخذ فى اعتباره توزيع الوقت مثل فترة ما بين الحصتين (أى الخمس دقائق) وفترة الفسحة وفترة الدراسة بحيث تكون هناك أوقات متناسبة بالنسبة لكل من هذه الفترات .

ومن الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان دراسة بارتن التى أجرتها على ٣٤ طفلا من أطفال دور الحضانة حيث اهتمت الباحثة بالقدرة الاجتماعية كسلوك يظهره هؤلاء الأطفال . فبدأت برصد قائمة من أنواع وأنماط السلوك المختلفة التى تتعلق بهذه القدرة ولاحظت كل طفل دقيقة واحدة يوميا لمدة ستين يوما . ثم ترجمت تكرار نمط السلوك وكيفيته إلى درجات على مقياس للقدرة الاجتماعية .

وقد وجد كذلك أن ثبات نتائج هذه الطريقة لا بأس به إذ أن معامل الارتباط بين أنماط النشاط أو السلوك الملاحظة فى الأيام الأحادية والأيام الزوجية (١، ٣، ٥٠٠٠٠٠ ٢، ٤، ٦٠٠٠٠٠) معامل موجب له دلالة إحصائية .

ويقول توماس أنه يمكن الحصول على نتائج جيدة عندما نقوم بمقارنة تسجيل ملاحظات أحد الملاحظين بتسجيل ملاحظ آخر إذا توفر أمرين :

١ — تحديد وتعريف مفاهيم أنماط السلوك المطلوب ملاحظتها .

٢ — تدريب الملاحظين تدريبا جيدا يسمح لهم بملاحظة هذا السلوك .

ومما يذكر أن هذه الطريقة تستخدم بنجاح أكثر فى حالة الأطفال الصغار لأنهم قد لا يشعرون بوجود الملاحظ الذى يسجل أنماط سلوكهم . ولكن يمكن أن تنجح بنفس القدر فى حالة الكبار إذا أخذت فى الاعتبار عدة تحفظات واحتياطات معينة أهمها :

١ — القيام بفترة ملاحظة تمهيدية يستطلع فيها الباحث أنماط السلوك المختلفة ويتعرف إلى الأفراد موضع الملاحظة ويقترب من بؤرة التفاعل الاجتماعى للجماعة .

٢ — عدم القيام بتسجيل أى معلومات أثناء إجراء الملاحظة حتى لا يلفت نظر الأفراد إلى طبيعة العملية التى يقوم بها .

٣ — عدم القيام بالملاحظة وهو على هامش المجموعة بل يجب أن يقوم بذلك أثناء اشتراكه فى نشاط الجماعة اشتراكا لا يبعده عن الملاحظة ذاتها .

٤ — بحث إمكانية استخدام المرآة المنفذة حتى لا يشعر الأفراد بوجود الملاحظ .

ويصف بيرث بحثا من بحوثه القديمة التى أجراها أثناء الحرب العالمية الأولى وهو بحث أخرى على ٥٣ شابا ثم تقدير بعض سماتهم الشخصية مثل الثبات الانفعالى والانبساط الاجتماعى والزعامة وذلك بواسطة أكثر من ملاحظ واحد ثم أوجدت العلاقة بين أحكامهم وبين أحكام أشخاص آخرين على قدر كبير من الدقة والموضوعية حيث تراوح معامل الارتباط بينهما بين ٤٤ر وأحيانا ٥٤ر

وأما دراسة فريزر سنة ١٩٤٧ فهى تتلخص فى قيام لجنة خاصة على مستوى عال من الكفاءة من ناحية الدراسات والتدريب بملاحظة مجموعة من المرشحين لوظائف مختلفة لمدة تتفاوت بين نصف يوم ويوم كامل حسب قائمة خاصة بأنماط السلوك المطلوب ملاحظتها. وقد وجد فريزر أن النتائج التى حصل عليها تؤكد إمكانية استخدام طريقة ملاحظة الفرد فى المواقف الحقيقية .

وعلى العموم فإن هذه الطريقة تعتبر ناجحة فى عمليات القياس والتقدير لأنها تتيح فرصة تسجيل سلوك الفرد ونشاطه فى المواقف الحقيقية ذات الصفة الطبيعية البعيدة عن الاصطناع .

وتعتبر هذه الطريقة ناجحة إذا توافرت فيها الشروط التالية :

١ — تحديد مفهوم كل نمط من أنماط السلوك المطلوب ملاحظتها مع إعطاء الأمثلة العديدة لمظاهر هذا السلوك . وذلك بمعنى تحديد الحركات التى تدل على القدرة الاجتماعية مثلا كالحركة والانتقال من شخص لآخر وإطلاق الفكاهات المرحة والدخول فى أكثر من جماعة والاشتراك فى أكثر من لعبة وهكذا .

٢ — تدريب الملاحظ تدريباً كافياً على عملية التسجيل وخاصة التمييز بين أنواع ومظاهر السلوك المختلفة ويجب أن يتضمن هذا التدريب الطريقة العلمية للملاحظة والموضوعية فى التسجيل .

٣ — مهارة الملاحظ فى مشاركة أعضاء الجماعة أنواع نشاطهم المختلفة دون أن يلحظوا هم قيامه بتسجيل أو تدوين ملاحظات عن أنواع نشاطهم .

٤ — الموضوعية فى تحليل محتوى التسجيلات وهذا يتطلب إعداد دليل للتحليل يكون شاملا ودقيقاً ويبنى على ملاحظة تمهيدية تسبق مرحلة الملاحظة الحقيقية للتعرف على أنواع ودقائق سلوك أعضاء الجماعة .

٥ — طريقة التدريج :

تعتمد هذه الطريقة على مدى معرفة زملاء الفرد ومخالطيه بخصائص سلوكه وتصرفاته ومفاهيمه وأحكامه . لأنهم فى هذه الحالة سوف يقومون مقام الحكم فى تقدير شخصية الفرد .

فعندما نلتقى بشخص ما فى المرة الأولى نحاول أن نصل إلى حكم بالنسبة لسلوكه وشخصيته فقد نفسر دلالات تقاطيع وجهه وحركات يديه ونظراته وطريقة حديثه بل ومظهره العام وملبسه كذلك .

ثم بعد أن تستمر اللقاءات مع هذا الشخص وتكون هناك الفرصة سانحة للمناقشة والملاحظة يحدث إما أن نضيف الجديد إلى الصورة التى تكونت منذ اللقاء الأول أو نعدل هذه الصورة .

فعندما نسأل على سبيل المثال أن نعطى هذا الشخص درجة ما بالنسبة لسمة معينة كالقدرة الاجتماعية أو ميله إلى التسلط والسيطرة فإننا لا نعطى هذه الدرجة (سواء كانت عالية أو قليلة) لأننا قمنا بملاحظة هذا الشخص بغرض تقييم سلوكه وشخصه ولكن نعطى هذه الدرجة بناء على الانطباع العام الذى نكونه عندما نتعامل مع هذا الشخص .

ولكن مما يجب قوله أن الانطباع يؤثر ولا شك بصورة أو أخرى على حكمنا بالنسبة لشخصية هذا الفرد أو ذاك .

وهذا يجرنا ولا شك إلى أن نقول — إذا افترضنا أن هناك تأثيراً واضحاً للانطباع الأول — أن هذه الطريقة تعتمد أيضا فى أساسها على مسلم ذاتى لأن الانطباع مهما كان فهو ذاتى فى طبيعته وتكوينه .

ويمكن تطبيق طريقة التدريج بعدة أساليب مختلفة تتعرض لها فيما يلى :

(ا) أسلوب الترتيب والمقارنة الإزدواجية :

يمكن للمعلم أو الأخصائى الاجتماعى أن يقوم بترتيب أطفال الفصل أو أطفال المؤسسة حسب الأفضلية فى سمة شخصية معينة إذا لم يزد عدد هؤلاء الأطفال عن عشرين أو حوالى ذلك .

ولكن إذا زاد العدد أصبح من الصعب جداً على المعلم أو الأخصائى أن يقوم بهذه المهمة لعدة اعتبارات مختلفة أهمها عدم قدرته على التمييز بين الأفراد الذين يقعون من هذه السمة حول المتوسط وإن كان يسهل عليه أن يفرق بين الطرفين تمييزا معقولا .

وللتوضيح لو كانت هذه السمة هى الثبات الانفعالى مثلا وعدد أطفال الفصل خمسون فإنه من السهل على المعلم أو الأخصائى الاجتماعى أن يرتب الخمسة الذين يتصفون بالاتزان الواضح والخمسة الذين يتصفون بعكس ذلك (أى قلة الثبات الانفعالى الواضحة) .

ولكن يصبح من الصعب عليه أن يرتب الأربعين الباقين حسب ثباتهم الانفعالى .

ومن المستحسن فى استخدام أسلوب الترتيب أن يكتب أسماء الجماعة على بطاقات مستقلة وتعطى لمن يقوم بعملية الترتيب لتصنيف أعضاء الجماعة حسب السمة المطلوبة .

وأما فى حالة المقارنة الازدواجية فإنه يعطى لمن يقوم بعملية المقارنة كل بطاقتين معاً ويطلب منه أن يقرر أيهما أكثر ميلا للسيطرة (على سبيل المثال) وتستمر هذه العملية حتى يمكن ترتيب أعضاء الجماعة نهائيا حسب سمة التسلط والسيطرة .

بعد ذلك يتم تحويل هذه الرتب إلى درجات اعتيادية باستخدام جداول (هل) والتى سبق شرح الطريقة المستخدمة فى أكثر من مكان .

بعد هذا التحويل يمكن أن نقارن وضع كل طفل من أطفال الفصل إذا قام بهذه العملية أكثر من فرد واحد وهو ما ينصح به دائما .

(ب) أسلوب التدريج الرقمى:

وهذا الأسلوب يعتمد على إعطاء درجة للفرد بالنسبة لسمة شخصية معينة على مقياس مدرج . ويجب ملاحظة أنه من الصعب أن نعين مكان الفرد على هذا المقياس إذا زاد عدد درجاته وأصبح عشرين درجة على سبيل المثال .

وذلك لأن تجارب سيموندز وآخرين أوضحت أن عدد الدرجات المناسب خمسة ويجب ألا يزيد عن سبعة بأى حال من الأحوال حتى يستطيع من يقوم بعملية التدريج (أى إعطاء الفرد درجة بالنسبة للسمة الشخصية) أن يؤدى هذه العملية بنجاح .

ويكون هذا التدريج إما :

١ ٢ ٣ ٤ ٥

أو

-٢ -١ صفر +١ +٢

أو

هـ د حـ ب ا

وهكذا .

فعلى سبيل المثال يمكن أن تكون التعليمات الخاصة بقياس الثبات العاطفى عند بعض الأفراد كما يلى :

اسم واضع الدرجة . . . . . اسم الفرد (المطلوب تقييمه) . . . .
التاريخ . . . . .

المطلوب منك أن تعين مكان الفرد على التدريج التالى لكل عبارة من العبارات: (بمعنى أنه إذا كان سلوك هذا الفرد يتفق تماما مع محتوى العبارة فيكون مكانه عند الرقم ٥ ولذلك ضع دائرة حول هذا الرقم وإذا كان سلوكه لا يتفق إطلاقا مع محتوى العبارة فيكون مكانه عند الرقم ١ ولذلك ضع دائرة حول هذا الرقم. وهكذا بالنسبة لبقية الأرقام ومدى اتفاق سلوكه مع محتوى كل عبارة) .

١ — كثير البكاء	١	٢	٣	٤	٥
٢ — مضطرب فى تصرفاته مع الآخرين	١	٢	٣	٤	٥
٣ — سريع التأثر	١	٢	٣	٤	٥
٤ — يغضب بسهولة	١	٢	٣	٤	٥
٥ — هادىء الأعصاب	١	٢	٣	٤	٥
٦ — متزن فى حديثه	١	٢	٣	٤	٥
٧ — لا ينفعل دائما	١	٢	٣	٤	٥
٨ — مطمئن فى علاقاته مع الآخرين	١	٢	٣	٤	٥

وهكذا .

وبطبيعة الحال يقوم واضع الدرجة أو من يقوم بعملية التدريج بإعادة هذا التدريج بالنسبة لكل فرد يطلب منه تقدير سلوكه بالنسبة لهذه السمة أو تلك وبمعنى آخر إذا كان المطلوب تقدير سلوك عشرة أفراد فإنه سوف يقوم بهذه العملية لكل فرد على حدة أى عشر مرات مختلفة .

ومن المستحسن فى مثل هذه الحالات أن يقوم أكثر من فرد بعملية التدريج

بالنسبة لنفس المجموعة حتى يمكن مقارنة الدرجة التى حصل عليها كل فرد بعد تحويلها إلى درجة معيارية .

فمن العيوب الواضحة فى هذا الأسلوب ميل واضع الدرجة إلى التحيز إلى فئة معينة من الدرجات أو بمعنى آخر عدم موضوعيته .

ويمكن التأكد من التوزيع الاعتـــدالى للتدريج إذا كان قريباً أو مطابقاً للتوزيع التالى :

١	٢	٣	٤	٥
٧ ٪	٢٤ ٪	٣٨ ٪	٢٤ ٪	٧ ٪

ويمكن كذلك أن يزود من يقوم بعملية التدريج بهذا التوزيع أثناء قيـامه بهذه العملية حيث يمكنه أن يستعين به ولا يتحيز بصورة واضحة لفئة من الدرجات.

(حـ) أسلوب التدريج النسبى :

وهذا الأسلوب يشابه إلى حد ما التعديل الذى أدخله المؤلف على طريقة جاردنر وتومسون فى القياس السوسيومترى والتى تعرضنا لها بالتفصيل فى الباب الأول من هذا الكتاب .

ويتلخص أسلوب التدريج النسبى فى أن تعطى التعليمات لمن يقوم بعملية التدريج كما يلى :

« سوف تقوم الآن بإعطاء درجة لعدد من الأفراد على مقياس مدرج من ١ إلى ٥ بالنسبة لسمة الثبات الانفعالى (مثلا) وعليك الآن أن تتذكر أكثر الناس ثباتا من الناحية الانفعالية ممن قابلتهم فى حياتك ـ وتضع إسمه أمام الرقم ٥ ثم عليك أن تتذكر أقل الناس ثباتاً من الناحية الانفعالية كذلك وضع اسمه أمام الرقم ١.

وبعد ذلك ضع اسم الفرد المطلوب تقـــدير ثباته الانفعالى فى المكان المناسب بين هذين الفردين وبالنسبة إليها » .

١ ٢ ٣ ٤ ٥

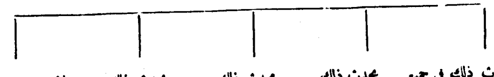
وواضح من هـذا أن من يقوم بعملية التدريج سوف يضع اسم الفرد المطلوب تقدير سلوكه بين هذين الفردين على أساس النسبة والمقارنة وواضح أيضاً أن هذه العملية يجب أن تكرر بالنسبة لكل فرد من الأفراد المطلوب تقدير ثباتهم الانفعالى بمعنى أن يقارن كل فرد منهم على حدة بالفردين الأساسين والذين يمثلان الإطار المرجعى Frame of Reference بالنسبة لمن يقوم بعملية التدريج .

(د) أسلوب التدريج البيانى :

وفى هذا الأسلوب نستعيض عن الدرجات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ بعبارات متدرجة وعلى من يقوم بعملية التدريج أن يضع علامة أمام العبارة التى تناسب درجة الفرد على السمة المطلوب تقدير سلوكه بالنسبة إليها .

ومثال ذلك :

هل يفقد (محمود) السيطرة على أعصابه :



أو يمكن أن يتم ذلك فى صورة أخرى :

أقرب الصفات إلى شخصية (محمود) هى :

(ا) ينهار أمام المواقف الشديدة .

(ب) يمكنه التدبر فى أمر المواقف الشديدة بعناية .

(ح) يتقبل المواقف الشديدة بشجاعة .

(د) يساعد الآخرين على تحمل المواقف الشديدة .

وهكذا يستطيع من يقوم بعملية التدريج أن يضع علامة أمام الصفة المناسبة من هذه الصفات الأربع .

(هـ) أسلوب التدريج التحليلى :

ونقصد بهذا الأسلوب تحليل السمات الشخصية إلى عناصر ومكونات ثم يتم التدريج بالنسبة لكل عنصر من هذه العناصر على حدة وبعد ذلك تحسب الدرجة الكلية بالنسبة لكل سمة .

والواقع أن استخدام مثل هذا الأسلوب يتطلب عدة شروط أهمها :

١ ــ إعطاء وزن لكل عنصر من عناصر السمة بحيث يتناسب مع أهمية العنصر فى تكوين السمة .

٢ ــ ملاحظة فصل هذه العناصر بعضها عن بعض حتى لا يحدث تداخل بينها وبذلك تقل صلاحية الأسلوب التحليلى .

٣ ــ ضرورة تحويل الرتب أو الدرجات إلى درجات معيارية بالنسبة لكل عنصر حتى يسهل تجميع الدرجات للحصول على الدرجة النهائية لكل سمة .

٤ ــ ضرورة التأكد من اقتراب توزيع الدرجات من التوزيع الاعتدالى حتى يمكن معاملتها إحصائياً دون الحاجة إلى احتياطات معينة .

(و) أسلوب التدريج المقنن :

وهذا الأسلوب من أساليب التدريج يتفادى بعض العيوب التى تظهر فى الأساليب الأخرى وأهمها افتراض تساوى المسافة بين وحدات مقياس التدريج مثل : هـ ء حـ ب ا .

فهنا نفترض أن المسافة بين ا ، ب تساوى المسافة بين ب ، حـ وأن المسافة بين ا ، ء تساوى ثلاث مرات المسافة بين ء ، هـ . وواضح أن مثل هذا الافتراض أقرب إلى الخطأ منه إلى الصواب .

وفى الأسلوب الحالى ــ أسلوب التدريج المقنن ــ نحاول ما أمكن إيجاد

درجة معيارية لكل درجة أو عبارة من وحدات التدريج على مقياس خاص فعلى سبيل المثال إذا كان التدريج كما يلي :

(بالنسبة لكفاءة عامل فى إحدى الوحدات الإنتاجية)

(ا) كفء بصورة غير طبيعية .
(ب) يبدو عالى الكفاءة فى كثير من الأحيان .
(ح) يتبع التعليمات بحرفيتها .
(ى) لايتفهم التعليمات جيداً .
(ه) قليل الكفاءة .

فإنه يمكن تقنين وضع هذه العبارات على مقياس عشرى بعد أن يجرى على مجموعة كبيرة من العاملين فى نفس الوحدة الإنتاجية وتحول رتبة كل عبارة من العبارات الخمس (أو غيرها) إلى درجة معيارية .

وبعد ذلك يصبح هذا التدريج مقننا أى تصبح درجة كل عبارة والمسافة التى بينها وبين العبارة التى تليها معروفة . وعند تطبيقه على أى مجموعة مماثلة بعد ذلك فإن الفرد يحصل على درجة العبارة التى تناسب نمط سلوكه .

ونوع آخر من التقنين يتضح فى مقياس ڤاينلاند للنضج الاجتماعى للطفل حيث قام بتقنين العبارات حسب العمر الزمنى ومثال ذلك :

يتعرف على الأب والأم والأخوة	٤	شهور
يجفف يديه بمفرده	٢½	سنة
يتعرف على وحدات النقود المختلفة ويستعملها	٥½	سنة
تستطيع استخدام التليفون	١٠½	سنة

وقد قام ڤاينلاند بتقنين هذا المقياس على مجموعة من الأطفال الأمريكيين حيث استنتج العمر الاجتماعى لكل طفل ثم معامل النضج الاجتماعى بنفس الطريقة التى استخدمها (بينيه) فى استخراج معامل الذكاء .

وقد ثبت فى بعض التجارب أن هذا التقنين على جانب كبير من الثبات

حيث أعطى معاملا يساوى ٩٢ر. تقريبا . وقد وجد أيضا أن هناك معامل ارتباط عالى (موجب) بين معامل ذكاء الطفل ومعامل نضجه الاجتماعى .

ونوع ثالث من التدريج المقنن يقدمه ماجرى وأولسن فى مقياس للأنماط السلوكية المختلفة حيث قام الباحثان بالاعتماد على الأحكام المتطرفة فى بناء المقياس. فقدما أكثر من أربعين عبارة متدرجة لقياس انحراف الشخصية عند الأطفال لعدد من المعلمين لتقدير شخصية كل طفل من هؤلاء الأطفال .

وبطبيعة الحال فإن طرفى المقياس يمثلان الصفات المتطرفة فى كلا الاتجاهين وبذلك قام الباحثان باستخلاص العبارات المناظرة لهذه الصفات المتطرفة واعتبرت مقياسا مقننا للشخصية العادية والمنحرفة .

وقدم (بينز) تدريجا مماثلا من ناحية التكنيك لقياس كفاءة موظفى الحكومة حيث ثبت قدرة هذا المقياس على التمييز بين الموظفين الأكفاء والموظفين غير القادرين على القيام بأعباء وظيفتهم .

(ز) أسلوب التدريج الانتخابى :

ونقصد بهذا الأسلوب أن يحدد نمط السلوك مقدما ثم يطلب ممن يقوم بعملية التدريج أن يحدد أسماء الأفراد الذين يقومون أكثر من غيرهم بإظهار ذلك النمط السلوكى المعين .

ويصلح هذا الأسلوب بين الأطفال فى الفصول المدرسية حيث لا يكون لديهم القدرة الكافية أو المران اللازم لتقدير السمات الشخصية لزملائهم .

ومثال ذلك :

(ا) هناك ثلاثة من زملائك فى الفصل يحبون المرح دائما ومن الصعب أن يضايقهم أحد ـ هؤلاء الثلاثة هم : (اكتب الأسماء حسب الترتيب) .

(١) . . . .

(٢) . . . .

(٣) . . . .

(ب) هناك ثلاثة من زملائك فى الفصل حساسيين جدا لكل كلمة تقال لهم ومن السهل جدا أن تجرح شعورهم .

هؤلاء الثلاثة هم : (اكتب الأسماء بالترتيب)

(١) . . . .

(٢) . . . .

(٣) . . . .

وهكذا بحيث يقوم الطفل بالحكم على سمة من سمات شخصية زميل له بهذا الأسلوب السهل .

(ح) أسلوب تدريج السمة :

ونقصد بهذا الأسلوب أن يقوم الفرد بترتيب السمات الشخصية أو الخصائص السلوكية عند فرد أو أفراد آخرين والتى تعتبر ذات دلالة ووضوح فى تصرفاتهم العامة ومثال ذلك :

« كل شخص له سمة معينة تميزه أو سلوك واضح يمكن ملاحظته مثل ميله إلى السيطرة أو هدوئه الزائد وهكذا . وله أيضا بعض الخصائص الأخرى التى يمكن أن نتعرف عليها عندما تتعامل معه وتعاشره .

وأمامك الآن بعض أسماء أصدقائك وزملائك والمطلوب منك أن ترتب صفاتهم الشخصية حسب درجة وضوحها فى سلوكهم العام وتصرفاتهم » .

(أ) سيد (ب) محمود (ح) حسن (ى) على

١ — حب الظهور

٢ — الكلام الكثير

٣ — السرحان المستمر

٤ — الإحساس الزائد

٥ — عدم الاشتراك فى الشلل

٦ — العاطفية الشديدة

٧ — . . .

٨ — . . .

٩ — . . .

١٠ — . . .

٦ — طريقة الاستفتاء (أو تقييم الذات) :

نقصد بهذه الطريقة أن يقوم الفرد بنفسه بتقدير شخصيته أى أن يحكم الفرد على أنواع سلوكه وتصرفاته من خلال استفتاء أو اختبار يصمم خصيصا لهذا الغرض .

فعندما يقوم الفرد بكتابة تقرير عن سلوكه وإحساساته ورغباته وما يعوق تحقيق هذه الرغبات من وجهة نظره فإنما يعطى بهذا مصدراً من مصادر فهم شخصيته وتقديرها .

ولهذا فإننا نجد أن ألبورت يؤكد أهمية المذكرات اليومية التى يكتبها الفرد وكذلك القصص أو المقالات الإنشائية كدلالة إكلينيكية لدراسة الشخصية الإنسانية .

وغالبا ما يطالب الأخصائى النفسى من عملائه (المرضى) أن يقوموا بكتابة مثل هذه الأشياء . ولكن الصعوبة فى الاستعانة بمثل هذه الكتابات تكمن فى عدم الموضوعية — أو الذاتية — التى لا يمكن للباحث أن يتجنبها عندما يقوم بتحليل هذه المذكرات أو المقالات المشابهة . لذلك فإن طريقة الاستفتاء جاءت بديلا لتلك الكتابات الذاتية حتى يتمكن الباحث من التحكم فى موضوعية هذه الطريقة. والاستفتاء يمكن أن يصاغ فى أكثر من صورة فقد يتكون من عدة أسئلة تكون إجابتها لا أو نعم أو قد يتكون من عدة عبارات تكون الإجابة عليها صحيح أو خطأ .

ويتراوح عدد الأسئلة أو العبارات فى الاستفتاء الواحد بين عشرة ومافوق

المائتين لتغطي بذلك مدى واسع من المظاهر السلوكية المتعلقـــة ببعض سمات وخصائص الشخصية الإنسانية . وتكون الدرجة التي يحصل عليها الفرد هي مجموع إجاباته على هذه الأسئلة أو العبارات .

وغالبا ما تكون الأسئلة والعبارات ذات طابع شخصي يتصل اتصالا عميقا بسلوك الفرد وتصرفاته في بعض المواقف مما يؤثر على استجاباته وبذا فإنه لابد من إعادة النظر في موضوعية الاستفتاء .

ويقول فرنون أن الاختبار أو الاستفتاء عندما يتكون من عدد صغير من العبارات أو الأسئلة فإنه ـــ حسب التجربة ـــ يعطي نتائج أكثر دقة من اختبار طويل يقيس نواح متعددة وذلك لأن الفرد يفضـل دائما الاختبار القصير الواضح .

وفي جميع الحالات على الباحث أن يقوم بتحليل عبارات الاستفتاء بإحدى الطرق الآتية :

(ا) إيجاد معامل الثبات الداخلي للاستفتاء .

وذلك يوضح مدى اتفاق درجة كل سؤال مع الدرجة النهائية للاختبار أي مدى التناسق والتوافق الداخلي للاستفتاء . أو بمعنى آخر هل تقيس جميع أسئلة الاستفتاء السمة الواحدة التي من المفروض أن يقيسها الاستفتاء .

(ب) التحليل العاملي لمعاملات الارتباطات بين أسئلة الاستفتاء .

وهذا يدل على قدرة الاستفتاء وأسئلته على قيـاس نفس المتغير الواحد وكذلك يدل على وحدة الاستفتاء بمعنى أنه إذا كان من المستحسن أن يستخدم كوحدة أو أن يقسم إلى عدد من الوحدات كما تدل التجمعات الناتجة من عملية التحليل العاملي .

(حـ) مقارنة وحدات الاستفتاء بمحك أو معيار خارجي .

وذلك بأن توجد معاملات الارتباط بين عبارات الاستفتاء أو أسئلته وبين

وحدات استفتاء آخر ثبتت قدرته على التمييز الواضح بين طرفى السمة التى يقيسها أو أن تستكشف قدرة السؤال أو العبارة على التمييز بين طرفى السمة بدراسة استجابات الأفراد الذين يمثلون فعلا هذين الطرفين مثل الأفراد شديدى القلق والأفراد ذوى الاستقرار الانفعالى الواضح .

(د) الإستعانة بآراء الخارجين لمعرفة مدى مناسبة وحدة الاستفتاء .

وذلك بأن يعرض الباحث وحدات الاستفتاء عبارات أو أسئلة على مجموعة من الحكام ليعطوا رأيهم عما إذا كانت هذه الوحدات صالحة للتمييز بين أنماط السلوك المختلفة التى تتعلق بالسمة المفروض قياسها .

ويمكن أن نعطى المثال التالى لتوضيح ذلك :

لنفترض أن الباحث قام بجمع عدد من العبارات (يستحسن أن يكون العدد كبيراً) يعتقد أنها صالحة لقياس الثبات العاطفى أو الانفعالى . ويريد أن يتأكد من صلاحية هذه العبارات لقياس تلك السمة فمن المتوقع أن يقوم الباحث بالخطوات التالية .

١ — يقوم بإعداد التعليمات الآتية : « أمامك عدد من العبارات يحتمل أنها تقيس ما يسمى بالثبات أو الاتزان الإنفعالى بمعنى قدرة الفرد على التحكم فى فى أعصابه وخلوه من التوتر والقلق الدائم ومحافظته على هدوئه أثناء العمل أو المناقشة .

وأمام كل عبارة تدريج من صفر إلى ١٠ فإذا كنت تعتقد أن هذه العبارة أو تلك تقيس فعلا وبكل تأكيد الاتزان الانفعالى ضع دائرة حول الرقم (١٠) سواء كان ذلك فى الاتجاه السالب أو الاتجاه الموجب . وإذا كنت تعتقد أن هذه العبارة أو تلك لا تقيس سمة الاتزان الانفعالى أبدا فضع دائرة حول (صفر) . وهكذا يمكن أن يتراوح حكمك على كل عبارة من صفر إلى ١٠ .

مثال ذلك :

أشعر دائما بالقلق الزائد صفر ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ (١٠)

أستطيع أن أنام فى هدوء مهما كانت المشاكل صفر ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ (١٠)

فكل من هاتين العبارتين تقيس الاتزان الانفعالى بدرجة ملحوظة ولذلك وضعت دائرة حول الرقم (١٠) على الرغم من أن الأولى اتجاهها سالب واتجاه الثانية موجب .

وإليك بقية العبارات :

. . . .

. . . .

. . . .

٢ — يقوم بإعطاء التعليمات والعبارات إلى مجموعة (لا يقل العدد عن ١٥) من الحكام المدربين على مثل هذه المواقف ويستحسن أن يكونوا من نفس المرحلة السنية التى يمر بها من سيجيب على هذا الاستفتاء فى المستقبل .

٣ — تحول درجات العبارات إلى درجات معيارية على مقياس عشرى ثم ينتق الباحث العبارات التى تقع فى الربع الأعلى للمقياس لاستخدامها كمقياس مستقل .

ويمكن أن نقسم اختبارات أو استفتاءات الشخصية إلى نوعين من حيث التركيب :

١ — اختبارات تقيس سمة واحدة .

٢ — اختبارات مركبة أى تقيس أكثر من سمة واحدة .

(١) اختبارات السمة الواحدة :

وهذه اختبارات أو استفتاءات تصمم بهدف قياس سمة سلوكية واحدة مثل الثبات الإنفعالى أو التسلط والسيطرة أو القدرة على تحمل المسئولية وهكذا :

ومن أمثلة هذه الاختبارات والاستفتاءات اختبار وود ورث للقلق النفسى والاضطراب الانفعالى . ويتكون هذا الاستفتاء من ١١٦ سؤالا اشتقت جميعها

من واقع خبرة الأخصائيين النفسين فى الميدان العلاجى . وهذه الأسئلة تمثل أعراض القلق النفسى عند المرضى العصابين ومن أمثلة ذلك ما يلى :

هل تشعر دائماً أنك فى صحة جيدة ؟	نعم	لا
هل حدث أن مشيت وأنت نائم ؟	نعم	لا
هل حدث أن عانيت زغللة فى البصر ؟	نعم	لا
هل تمتعت بطفولة سعيدة ؟	نعم	لا
هل تعتقد أن هناك من يحاول إيذاءك ؟	نعم	لا
هل يزعجك أن تعبر كوبرى فوق نهر ؟	نعم	لا
هل يخيفك أحيانا أن يصيبك الجنون ؟	نعم	لا
هل هناك أحد من أسرتك يدمن المخدرات؟	نعم	لا

وهذه الأسئلة بطبيعة الحال تعطى للمفحوص ليجيب بنعم أو لا على كل منها.

وهناك أيضا اختبار تايلور فى نفس الموضوع تقريبا وهو اختبار يقيس القلق النفسى والانفعالى وتهتم عباراته بالنواحى الظاهرة من القلق مثل برودة الكفين أو القدمين ، وعسر الهضم والإسهال والعرق البارد وسرعة نبضات القلب وتقلصات المعدة والإحساس الدائم بالجوع والمخاوف والوساوس وهكذا.

ويعتبر اختبار تايلور من اختبارات القلق النفسى الظاهرى التى يمكن الوثوق بنتائجها .

ومن الأمثلة الأخرى اختبار جوخ فى المسئولية الاجتماعية وهو اختبار يتناول أبعاد المسئولية الاجتماعية ويصورها فى مواقف بسيطة فى حدود إدراك الفرد مثل المحافظة على نظافة الشوارع أو اتباع تعليمات شرطة المرور أو مراعاة شعور الآخرين فى دور السينما وما إلى ذلك .

وهذا الاختبار مثله مثل اختبار تايلور واختبار وود ورث تتبع العبارات أو الأسئلة فيه كلمتا نعم ، لا ليختار المستجيب الإجابة المناسبة .

وأما (لارد) فإنه يستخدم فى اختباره أسلوب آخر فى عرض الأسئلة

وطريقة الإجابة عليها إذ أنه يضع أمام السؤال عدة استجابات وعلى المفحوص أن يختار إحداها . ومثال ذلك :

هل تخاف من تحمل المسئولية ؟ :

(أ) أحاول أن أتجنبها .

(ب) أقبلها إذا فرضت على .

(حـ) لا يهمنى أن أقبل المسئولية أو أرفضها .

(ء) أحب أن أقبل المسئولية .

(هـ) أرحب بحمل المسئولية .

ولهذا الأسلوب ميزة واضحة وهى وضع احتمالات الإجابة أمام المفحوص حتى تكون لديه الفرصة لأن يجد الاحتمال المناسب لنوع السلوك الذى يسلكه إذا وضع فى موقف السؤال .

وأما اختبار ثرستون للميول العصابية فإنه يحتوى على ٢٢٣ عبارة جمعها ثرستون من مصادر مختلفة لتقيس القلق والإنفعال ويمكن تطبيقها بنجاح على طلبة الكليات ومن فى مرحلتهم السنية .

وقام كذلك فرايد وهايد بريدو بتصميم إختبار لمقياس الإنطواء الاجتماعى حيث جمع الباحثان مجموعة كبيرة من الأنماط السلوكية التى تعبر عن الإنطواء وذلك من دراسات وكتابات يونج . وفيما يلى بعض الأمثلة لذلك :

١ — الإحساس بالخجل .

٢ — أحلام اليقظة .

٣ — تفضيل القراءة (الخبرة النظرية) على الخبرة العملية .

٤ — عدم القدرة على مواجهة المصاعب .

٥ — شدة الإحساس بالذات .

٦ — الإحساس بالإجهاد والتعب (بصورة دائمة) .

٧ — عدم القدرة على بدء الحديث .

٨ — الحركة البطيئة .

٩ — عدم الميل إلى الظهور فى المناسبات الاجتماعية .

وقد قام الباحثان بعد ذلك بتحويل هذه الأنماط إلى عبارات الاختبار . ويقوم المفحوص بوضع علامة + أمام العبارة التى يوافق عليها وعلامة — أمام العبارة التى لا تتفق مع نمط سلوكه .

وأما اختبار ألبورت فإنه يقيس التسلط والسيطرة حيث قام ببناء عبارات ومواقف توضح السلوك التسلطى أو الاستسلامى . ثم قام بتقنين هذه المواقف بمقارنة استجابات أعضاء العينة باستجابات بعض الأفراد الذين حكم عليهم زملاؤهم بأنهم على قدر عال من التسلط والسيطرة أو الاستسلام والخضوع . وفيما يلى بعض أمثلة :

الموقف	الإجابة	الدرجة التى تعطى للإجابة
١ — عندما يقوم البائع ببذل مجهود واضح عند عرض بعض البضائع عليك. وأنت لا تجد فى هذه البضائع ما تريد . هل تجد صعوبة فى أن تترك البائع وتمشى .؟	نعم	— ١
	أحيانا	صفر
	لا	+
٢ — إذا كان لك رأى يخالف ما يقوله محاضر تستمع إليه فهل تجهر بهذا الرأى . ؟	فى قاعة المحاضرة	+ ٣
	بعد المحاضرة	صفر
	لا أجهر به على الإطلاق	— ٣

والدرجة التى تعطى للإجابة سواء كانت سالبة أم موجبة فإنما هى الأوزان التى أعطاها ألبورت للإجابات المختلفة .

وهناك اختبار آخر صممته هايد بريدر لقياس « الإحساس بالنقص » حيث اعتمدت الباحثة على دراسات وكتابات أدلر .

وأما اختبار بيرنرويتر فإنه يقيس الاعتماد على النفس واختبار (ماسلو) يقيس الإحساس بالطمأنينة والأمن واختبار جاسبار يقيس الاكتئاب ومن ذلك :

إن كل شيء فى العالم يقف ضدى	نعم	لا
لا يمكن أن تتحسن الحياة بالنسبة لى	نعم	لا
لقد فقدت كل أمل فى أن أكون سعيدا	نعم	لا
أشعر أن حياتى مملوءة بالمتاعب	نعم	لا
أعتقد أننى أكثر الناس تعاسة وشقاء	نعم	لا

(٢) اختبارات مركبة « أى تقيس أكثر من سمة » :

وهذا النوع من الاختبارات أو الاستفتاءات يقيس أكثر من سمة شخصية واحدة وبذلك يتميز عن النوع الأول — اختبارات السمة الواحدة — فى أنه يعطى صورة أشمل لسلوك الفرد فى المواقف المتعددة . وهذا يسهل إلى حد كبير قياس شخصيته .

ومن أمثلة هذا النوع من الاختبارات اختبار كاتل الذى يقيس سبعة أبعاد أو خصائص هى النيراستانيا، القلق العصابى، القلق الهستيرى، الهستيريا التحويلية، الوساوس القهرية ، الصرع ، البارانويا . وهو اختبار تشخيصى يستخدم فى ميادين العلاج النفسى .

وهناك اختبار آخر استخدم كثيرا فى أغراض مختلفة وهو اختبار الشخصية المتعدد الأوجه (MMPI) وهو من تأليف هاثاواى وماكينلى .

ويحتوى هذا الاختبار على ٥٥٠ عبارة تغطى نواح سلوكية عديدة بالإضافة إلى الاهتمامات والاتجاهات الاجتماعية .

وعادة تعطى هذه العبارات متفرقة ومكتوبة على بطاقات مستقلة — أى كل عبارة على بطاقة خاصة — ويطلب من المفحوص أن يصنف البطاقات فى ثلاث مجموعات : مجموعة إجابتها (صحيح) ومجموعة إجابتها (خطأ) ومجموعة إجابتها لا أستطيع أن أقول (أو لا أدرى) .

وقد يستغرق تطبيق هذا الاختبار ثلاثين دقيقة وقد يمتد الزمن إلى عدة ساعات حسب إمكانية المفحوص .

وقد تم تقنين هذا الاختبار بعد تطبيقه على ٥٠٠ من العاديين (مدى العمر الزمنى بين ١٦ — ٥٥ سنة) وعلى ٨٠٠ من المرضى النفسيين .

ويقيس هذا الاختبار النواحى الآتية :

الهيبوكوندريا : أى هوس المرض أو الخوف من المرض العضوى مثل إحساس الفرد الدائم بأنه سيصيبه السرطان أو الشلل أو أى نوع آخر من الأمراض التى تفاجىء الفرد .

الاكتئاب : بمعنى إحساس الفرد بالحزن العميق الدائم والهم وأنه فى غاية البؤس والشقاء وأنه تعس وأن الجميع سعداء ما عدا هو .

الهيستريا: بمعنى السلوك غير الناضج والإحساسات الانفعالية القوية ذات الطابع المتردد غير المستقر والتمركز حول الذات وسطحية الإحساسات العاطفية .

الانحراف النفسى المرضى .

الذكورة والأنوثة .

البارانويا : بمعنى الإحساس بالعظمة أو الإحساس بالاضطهاد.

السيكاستانيا : بمعنى الهبوط النفسى أو الضعف النفسى .

الشيزوفرينيا : أو الانفصام بمعنى البعد عن الواقع والحياة فى عالم خيالى بعيد كل البعد عن الخبرات العملية التى تميز حياة الفرد .

وقد قام كثير من الباحثين باستخدام هذا الاختبار للكشف عن مدى صلاحيته وقدرته على التمييز بين الأفراد العاديين والأفراد غير العاديين ويستخدم هذا الاختبار حتى الآن فى كثير من المستشفيات وعيادات العلاج النفسى .

واختبار اخر له نفس الخصائص السابقة تقريبا هو اختبار وادزوورث حيث يقيس سبعة مركبات أو عناصر هى :

١ ــ العادية (السلوك العادى)
٢ ــ الهيستريا
٣ ــ الهوس
٤ ــ الاكتئاب
٥ ــ الانفصام
٦ ــ البارانويا
٧ ــ الصرع

وقد تم تقنين هذا الاختبار بعد تطبيقه على مجموعة من المرضى النفسيين ومعتادى الإجرام ومجموعة ضابطة من الأشخاص العاديين .

ويحتوى الاختبار على ٣١٨ عبارة يجيب عنها المفحوص بكلمة لا أو نعم . ويستغرق إجراؤه حوالى خمسة وخمسين دقيقة .

والاختبار الثالث هو اختبار بيرنرويتر ويقيس أربع سمات شخصية هى :

١ ــ الميول العصابية
٢ ــ الإنطواء
٣ ــ السيطرة أو التسلط
٤ ــ الاعتماد على النفس

ويتكون الاختبار من ١٢٥ عبارة تقيس كل منها السمات الأربعة والإجابة على كل عبارة إما لا أو نعم أو غير متأكد .

فعلى سبيل المثال :

هل تراودك أحلام اليقظة دائماً ؟

	ميول عصابية	الإنطواء	السيطرة	الاعتمادعلى النفس
نعم	+ ٥	+ ٣	− ١	+ ١
لا	− ٤	− ٤	+ ١	− ١
غير متأكد	− ٢	صفر	+ ٢	+ ٢

وقد وضعت هذه الأوزان بناء على مقارنة طرفى كل سمة (أعلى درجات وأقل درجات) بطرفى الأبعاد المماثلة فى اختبارات أخرى .

وقد أجريت عدة دراسات وتجارب على هذا الاختبار حيث اتضح أن عنصر الميول العصابية لا يختلف فى شىء عن عنصر الانطواء — بل ربما كانا نفس العنصر حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما حوالى ٩٣ر. واتضح أيضا أن عنصر السيطرة عكس العنصرين السابقين حيث أن معاملات الارتباط بين السيطرة وبين الميول العصابية والانطواء هى — ٨١ر. ، — ٦٧ر. على الترتيب .

وأما الاعتماد على النفس فيكاد يكون خاصة متميزة ولو أنها تتداخل بعض الشىء مع عنصر السيطرة حيث أن نجد معاملات الارتباط بين هذه السمة وبين الميول العصابية والانطواء والسيطرة هى على الترتيب — ٤١ر ، — ٣٢ر. ، + ٥٨ر.

وقد قام بلانجان بدراسة هذا الاختبار عن طريق التحليل العاملى فوجد أن الاختبار يقيس عنصرين فقط لا أربعة كما يزعم صاحب الاختبار وأن العنصرين هما :

(ا) مركب من العصابية والانطوائية والاستسلام وعـــدم الاعتماد على النفس .

(ب) القدرة الاجتماعية .

وهناك عديد من الاختبارات الأخرى مثل اختبار (بل) الذى يتكون من ١٦٠ عبارة تقيس انضباط الفرد فى محيط الأسرة والصحة والمجتمع والعاطفة .

واختبار (بويد) وهو يتكون من ١٢٠ سؤالا مقسمة إلى عشرين مجموعة كل مجموعة مكونة من ستة أسئلة ، ويجاب على كل عبارة إما بنعم أو لا أو تحذف هذه العبارة وقد قام فرنون بدراسات على هذا الاستفتاء حيث تمكن أن يضغط هذه العناصر العشرين إلى أربعة عناصر أساسية هى :

١ — الميول العصابية النفسية حيث يميل الفرد إلى الاكتئاب والقلق

والتوتر ونقص القدرة على ضبط النفس والتداعى أمام المسئولية وضعف الثقة فى النفس .

٢ ــ الإحساس باللامبالاة حيث تبدو فى تجنب المسئولية وعدم القدرة على التركيز وعدم وضوح الهدف أمام الفرد وقابليته الواضحة للإيحاء والاستهواء.

٣ ــ التدقيق الزائد فى الأمور البسيطة وهذه تبدو فى ميل الفرد نحو التفكير العاطفى أو الانفعالى الدائم والاهتمام بكل شىء وتأويل معانى الكلمات والضعف الظاهرى للذاكرة وعدم القدرة على التركيز .

٤ ــ الاختلاف الجنسى بمعنى خضوع استجابات الفرد لجنسه ذكر أو أنثى.

وأما اختبار جيلفورد ومارتن فإنه جاء نتيجة بحوث جيلفورد فى تحليل معاملات الارتباطات بين الاختبارات التى تقيس الانبساط والانطواء الاجتماعى حيث أوضح جيلفورد أنه يمكن تحليل هذه السمة (الانبساط ــ الانطواء الاجتماعى) إلى عدة عناصر وعوامل مختلفة هى :

(ا) الانكماش الاجتماعى .
(ب) التفكر الانطوائى .
(ج) الاكتئاب .
(د) اللامبالاة .
(ه) النشاط الاجتماعى .
(و) السيطرة والتسلط فى المواقف الاجتماعية .
(ز) الاتجاهات الذكرية
(ح) الإحساس بالنقص
(ط) التوتر العصبى .

وفى واقع الأمر فقد أثبتت الدراسات الأخرى العلاقة الموجبة من هذه العناصر المختلفة إلى درجة التأكد من أنها تقيس فعلا الانطواء الاجتماعى .

واختبار آخر من تصميم كاتل يقيس ١٦ عاملا من عوامل الشخصية يتكون من جزأين يحتوى كل منهما على ١٨٧ عبارة . ويصلح هذا الاختبار لطلبة الكليات ومن فى مرحلتهم السنية .

بهذا نكون قد استعرضنا بعض الأمثلة لاختبارات واستفتاءات الشخصية

سواء البسيط منها أى الذى يقيس سمة واحدة أو الذى يقيس عـددا من هذه السمات .

ولنا فيما يلى بعض الملاحظات على هذه الاستفتاءات :

(ا) فمن الناحية العامة نجد أن استعمال هذه الاختبارات لا يخرج عن بعض التجارب والبحوث العلمية ولم يخرج بعد وخاصة فى البيئة المصرية إلى الميادين العامة بالصورة التى تطمئن إلى وجود وعى استفتائى .

وما نريد أن نصل إليه من ذلك هو أن تصميم جميع الاستفتاءات السابقة أو التى ترجمت إلى العربية أو التى تم تأليفها فى البيئة المصرية إنما كان بهدف البحث والتجريب ولم يأخذ فى اعتباره تشويق الفرد العادى واستحسانه لمادة الاستفتاء .

لذلك يجب أن نأخذ هذا العامل فى اعتبارنا عند بناء أى اختبار للشخصية .

(ب) كثير من استفتاءات الشخصية التى تعرضنا لها أو التى ترجم منها إلى اللغة العربية يهتم بالمشاعر والإحساسات أكثر من اهتمامه بموضوعية أنماط السلوك الإنسانى وهذا يدعونا إلى أن نتوقع تغييراً فى استجابات الأفراد عند إعادة تطبيق الاستفتاء مرة أخرى .

ولهذا فإننا ننصح أن يهتم الباحث ببناء اختبار يكون قوامه وحدات تعتمد على أنماط موضوعية من السلوك البشرى حتى تكون نتائج الاختبار أقرب ما تكون إلى الثبات .

(ج) يمكن أن نلاحظ أيضاً ــ لو أننا استعرضنا عدداً أكبر من الاختبارات والاستفتاءات ــ أن هناك ظاهرة تدعو إلى القلق وعدم الاطمئنان عند تعميم نتائج أى من البحوث التى تستخدم فيها هذه الاستفتاءات .

ذلك لأن تحليل السمة الشخصية إلى عناصر ومكونات يختلف من اختبار إلى آخر وقد نجد أن مجموعة من العناصر يطلق عليها فى اختبار ما اسم « التسلط أو

السيطرة ، ونفس هذه المجموعة من العناصر والمكونات فى اختبار اخر يطلق عليها اسم « الثقة فى النفس » أو « الاعتماد على النفس » .

وتبدو هذه الظاهرة بوضوح فى اختبار بيرنرويتر حيث نجد أن العبارة الواحدة تقيس أربعة سمات شخصية فى وقت واحد هى العصابية والإنطواء والسيطرة والاعتماد على النفس .

(د) ونأتى أخيراً إلى أهم الملاحظات وهى تعالج العلاقة بين المفحوص وبين الاختبار نفسه .

فجميع الاختبارات التى تعرضنا لها نجد أنها إما تتكون من أسئلة الإجابة عليها نعم أو لا أو تتكون من عبارات يختار الفرد الموافقة عليها أو الرفض . وبذلك تكون أمام المفحوص الفرصة كاملة لأن يقدم ما يشاء من إجابة .

وفى هذا نستطيع أن نقول أن المفحوص إنما يتأثر بالمعايير الاجتماعية السائدة فيقدم الإجابة التى ترضى هذه المعايير وتتفق معها .

ونستطيع أن نقول كذلك أن المفحوص فى حالة إجابته على أسئلة الاستفتاء إنما يتأثر أيضا بصورة ذاته التى كونها عبر تفاعله مع عناصر بيئته الاجتماعية .

ولذلك فإن هناك عامل هام يجب أن نأخذه فى الاعتبار عند قياس الشخصية الإنسانية وهذا ما نسميه بعامل الميل نحو المعايير الاجتماعية أو الرغبة الاجتماعية Social desirability Variable وهذا العامل يؤثر تأثيراً واضحاً على إجابة الأفراد على أى من استفتاءات الشخصية عاصة وأنه سوف يقوم بكتابة استجاباته بخط يده فلو أن الفرد كان يجلس فى مقابلة شخصية يتحدث حديثاً غير رسمى أو تقليدى فإنه قد يصرح باستجابات لا يصرح بها كتابة إذا أعطى له اختبار يسأله نفس الأسئلة الشفهية التى سبق له الإجابة عليها أثناء المقابلة الشخصية .

وبطبيعة الحال فإن هذا الاتجاه يدفعنا إلى مناقشة أسلوب جديد فى قياس الشخصية هو أسلوب الاختيار القهرى Forced choice technique حيث يوضع المفحوص فى موقف يجبره على اختيار الاستجابة الصحيحة وليست الإستجابة التى تتفق مع المعايير الاجتماعية .

وقد بدأ إدواردز بحوثه فى سنة ١٩٥٧ لاكتشاف أثر هذا العامل على استجابات الأفراد عند تطبيق اختبار الشخصية المتعددة الأوجه .

وقد بذل إدواردز جهودا واضحة لتقدير هذا العامل من الناحية الرياضية أو الكمية .

وقد استفاد من ذلك كل من كاتل وجوردون فى بناء اختبارات تعتمد على أسلوب الاختيار القهرى . ويمكن فى هذا المجال أن نناقش طريقة بناء مثل هذا الاختبار بوصفه أنسب الأساليب المعروفة حاليا لقياس الشخصية الإنسانية عن طريق استفتاء يجيب عليه الفرد .

فقد قام المؤلف ببناء اختبار يقيس أربعة من أهم الخصائص الشخصية التى تؤثر على سلوك الفرد فى حياته اليومية والتى يكون لها أثر واضح على علاقات الفرد مع الآخرين .

هذه الخصائص الأربعة هى :

١ — الميل إلى التسلط والسيطرة .

بمعنى قيام الفرد بدور نشط وفعال فى المواقف الجماعية ، تأكده وثقته بنفسه ، اطمئنانه لعلاقاته مع الآخرين ، اتخاذه للقرارات دون معونة من أحد ، ميله إلى توجيه نشاط المجموعة وقيادتها .

٢ — القدرة على تحمل المسئولية :

ونعنى بذلك أن يأخذ الفرد الأمور بجدية مناسبة وأن يثابر على أداء العمل حتى نهايته ، وأن يضع لنفسه خطة منظمة أثناء أدائه لهذا العمل (أى تحديد مراحل العمل وتحديد موعد نهايته) .

٣ — الثبات العاطفى أو الانفعالى :

ونعنى به الاتزان العاطفى فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، ومجابهة المشاكل دون خوف أو تردد ، وخلو الفرد من مظاهر القلق والتوتر العصبى .

٤ — القدرة الاجتماعية :

ونقصد بها ميل الفرد لأن يكون دائما مع المجموعة وميله لأن يعمل

فى جماعته وقدرته على تكوين أصدقاء جدد ، وعلى اجتذاب انتباه الآخرين .

وقد كانت من أولى المشاكل التى واجهت المؤلف مشكلة تقدير صحة عبارات الاختبار أى قياس هذه العبارات لما هو مفروض أن تقيسه وتقدره .

ولذلك قام المؤلف بطرح جميع العبارات على عدد من الحكام (خمسين شخصا تتراوح أعمارهم بين ٢٥ — ٣٥ سنة) حيث كان عدد العبارات المقترحة كما يلى :

السيطرة ٣٢ عبارة
المسئولية ٢٨ عبارة
الثبات الانفعالى ٥٠ عبارة
القدرة الاجتماعية ٢٥ عبارة .

وكانت التعليمات إلى الحكام تقضى بأن يقوم كل منهم بقراءة العبارة فإذا وجد أنها تقيس الثبات الانفعالى مثلا وبدرجة عالية فإنه يضع دائرة حول الرقم (١٠) أمام العبارة . وإذا لم تكن تقيس هذه السمة على الإطلاق فإنه يضع دائرة حول (صفر) أمام العبارة أيضا .

بعد تحويل درجات العبارات إلى درجات معيارية تم اختيار أعلى خمسة عشرة عبارة فى كل سمة أى تم تصفية الـ١٣٥ عبارة الأصلية إلى ستين عبارة فقط .

بعد ذلك طرحت هذه العبارات الستون (٦٠) مرة أخرى على نفس الحكام وكان الهدف من ذلك تقدير عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية . ولذلك كانت التعليمات فى هذه المرة كما يلى :

« فيما يلى بعض العبارات التى تصف سلوك الناس ومن هذه العبارات صفات يحب الناس أن يصفوا أنفسهم بها دائما ومنها صفات لا يحب أحد أن يصف نفسه بها على الإطلاق . كما أن هناك بطبيعة الحال بعض العبارات المحايدة التى لا يهتم أحد أن يصف بها نفسه أو العكس .

والمطلوب منك الآن أن تقرأ كل عبارة فإذا وجدت أنها غير مرغوبة إطلاقا ضع دائرة حول الرقم (١) وإذا وجدت أنها من الصفات المرغوبة جداً ضع دائرة حول الرقم (٩) وهكذا بحيث تتراوح الدرجة من (١) إلى (٩) حسب ميل الشخص لوصف نفسه بهذه العبارة وإليك بعض الأمثلة :

١ — يحب الخير للناس جميعاً ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ (٩)

فهذه صفة يرغب كل الناس أن يصفوا أنفسهم بها لذلك وضعت دائرة حول الرقم (٩) .

٢ — يكره الأطفال جداً (١) ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وهذه صفة أخرى لا يرغب أحد على الإطلاق أن يصف نفسه بها لذلك وضعت دائرة حول الرقم (١)

٣ — يتناول غذاءه الساعة الثانية بعد الظهر ١ ٢ ٣ ٤ (٥) ٦ ٧ ٨ ٩

وهذه صفة ثالثة محايدة أي أن الفرد لا يهتم أن يصف نفسه بها أو العكس لذلك وضعت دائرة حول الرقم (٥)

اقرأ العبارات التالية ثم حدد موقف كل منها على المقياس من (١) إلى (٩).

١ — شخص يحب يخدم الناس ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

٢ — شخص مش متأكد من نفسه ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

٣ — شخص دقيق متغتوش حاجة ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

٤ — شخص أعصابه تعبانة باستمرار ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وهكذا بالنسبة لبقية الستين عبارة .

والهدف من هذا الإجراء كما سبق الإشارة إليه هو تقدير عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية وذلك عن طريق حساب درجة كل عبارة على مقياس عشري يمثل مقياس الميل الاجتماعي أو الرغبة الاجتماعية .

فبعد جمع آراء الحكام الخمسين بالنسبة لكل عبارة استخدمت طريقة

ترستون وشيف للحصول على درجة العبارة على مقياس الرغبة الاجتماعية Sorial desirability Scale . وتتلخص هذه الطريقة فى الاستفـــادة من دلالة الوسيط وسعة الفئة الإحصائية ونسبة آراء الحكام تحت كل فئة ثم تطبيق معادلة رياضية خاصة للحصول على هذه الدرجة .

وقد تراوحت درجات العبارات الستين من ١ر١ إلى ٧ر٨ بمتوسط قدره ٣ر٤ .

ثم جاء بعد ذلك دور تجميع هذه العبارات الستين . فقد تكون الاختبار من خمسة عشر رباعية كل واحدة منها تحتوى على أربع عبارات وكل عبارة تمثل سمة من السمات الأربعة المطلوب قياسها .

فعند تجميع هذه العبارات روعى أن تكون فى كل رباعية عبارتان فى الاتجاه السالب أى غير مرغوبتين اجتماعيا وذات درجة متقاربة على المقياس وعبارتان فى الاتجاه الموجب أى مرغوبتين اجتماعيا وذات درجة متقاربة على المقياس (مقياس الرغبة الاجتماعية) .

مثال ذلك :

العبارة	الدرجة على مقياس الرغبة الاجتماعية
شخص ميحبش يتعرف على حد	٧ر١
دايما أعصابه هادية ومرتاحة	٣ر٧
راجل كلمة توديه وكلمة تجيبه	٦ر١
راجل كلمته مسموعة	١ر٧

ويلاحظ أيضاً أن العبارة الأولى تمثل القدرة الاجتماعية والثانية الاتزان الانفعالى والثالثة القدرة على تحمل المسئولية والرابعة التسلط والسيطرة .

وأما تعليمات الإجابة على هذا الاختبار فإنها تتضمن سؤال المفحوص أن يقرأ العبارات الأربعة جيداً ثم يختار منها العبارة التى تتفق تماما مع شخصيته

أو أقرب ما تكون إليها والعبارة التى لا تتفق أبداً مع شخصيته أو أبعد ما تكون عنها .

مثال ذلك :

	(تتفق)	(لا تتفق)
	ا	ب
١ ــ شخص عصبى المزاج	. . . .	. . . .
٢ ــ شخص يحب يبقى الكل فى الكل	×	. . . .
٣ ــ شخص يحب يقعد دايما لوحده	. . . .	×
٤ ــ شخص صبور ويستحمل	. . . .	. . . .

واضح من هذا المثال أن المفحوص قام بعملية مفاضلة بين عبارتين :

أما أن يوصف بأنه (يحب أن يبقى الكل فى الكل) ويؤكد ميله إلى السيطرة أو أن يوصف بأنه (صبور وله قدرة على التحمل) ويؤكد قدرته على حمل المسئولية . وكلا الصفتين مرغوب اجتماعيا وكان عليه أن يفاضل بينهما فيختار الواقع فعلا وبذلك وضع علامة × أمام العبارة الثانية تحت العمود (ا) أى أن هذه الصفة تتفق مع شخصيته .

ثم عاد مرة أخرى ليفاضل بين عبارتين فى الاتجاه السالب فإما أن يبعد عن نفسه أنه (شخص عصبى المزاج) وبذلك ينفى عن شخصيته الاضطراب الانفعالى أو أن يبعد عن نفسه أنه (شخص يحب يقعد دايما لوحده) وبذلك ينفى عن نفسه الانطواء الاجتماعى .

وكان على المفحوص أن يصل إلى قرار وبذلك آثر أن ينفى عن نفسه العجز الاجتماعى أو عدم القدرة الاجتماعية فوضع علامة × أمام العبارة الثالثة تحت العمود (ب) أى أن هذه الصفة لا تتفق مع شخصيته أبداً .

وفى واقع الأمر أن موقف الاختيار أو المفاضلة بين العبارات التى تكون

قد جمعت على أساس تقارب درجة مقياس الرغبة الاجتماعية لكل منها سواء فى الاتجاه السالب أو الموجب ــ هذا الموقف يساعد كثيرا فى الحصول على الاستجابة الصحيحة للمفحوص دون التأثر الواضح بميل المفحوص إلى إرضاء المعايير الاجتماعية السائدة .

٧ ــ الطرق الإسقاطية :

عندما تكلم فرويد عن الإسقاط كان يقصد الحيلة الدفاعية التى عن طريقها تستطيع « الأنا » حماية نفسها من الرغبات المكبوتة أو الأفكار والخبرات غير السارة وذلك بأن تلصقها بالآخرين أو أن تسقطها على البيئة الخارجية . فعلى سبيل المثال نجد أن مرضى بارانويا العدوان يعتقدون أن جميع الناس يتآمرون عليهم ويهاجمونهم دون ما سبب .

وأما الطرق الإسقاطية أو الاختبارات الإسقاطية فهى تلك الطرق والاختبارات التى تبنى أساسا على حيلة الإسقاط أو التى تعطى الفرصة للمفحوص لأن يعبر عما فى نفسه وخبرته بحيث يساعد ذلك على فهم شخصيته .

وفى حقيقة الأمر لا يتوفر هذا الشرط فى معظم الطرق التى نسميها إسقاطية لأن قليل منها هو الذى يقوم فعلا على الإسقاط من وجهة نظر فرويد وكثير منها يقوم على الفكرة المتطورة لمعنى الإسقاط .

ففى رأى فرويد كما سبق أن أشرنا أن الإسقاط هو حيلة لا شعورية تخلع بها الأنا أخطاءها ورغباتها الشاذة على عنصر من عناصر البيئة الخارجية . وتكون هذه الرغبات فى حالة صعود من اللاشعور واتجاه إلى الأنا .

وأما فروم فإنا يرى الإسقاط ويشرحه على أنه العملية التى عن طريقها يفترض الفرد تشابها بين خصائص شخصيته وسلوكه وبين خصائص شخصية وسلوك فرد آخر فى البيئة الخارجية بغض النظر عن سواء أو شذوذ هذه الخصائص وهذا السلوك .

وبناء على فكرة فروم عن الإسقاط قامت عدة اختبارات لقياس الشخصية وتقديرها .

أو بمعنى آخر فإن هذه الاختبارات تعطى فكرة عن الشخصية الإنسانية عن طريق تأثير خصائص الشخص على :

١ — إدراك الفرد للمثيرات الخارجية فى البيئة .

٢ — الارتباطات العقلية .

٣ — الأنشطة الذهنية الابداعية والتخيلية .

٤ — محتوى الموقف وطريقة التعبير عن عناصره .

ويقول فرانك وهو أحد المهتمين بقياس الشخصية عن طريق الوسائل الإسقاطية أن هذه الأساليب إنما ترجع فى أصلها إلى مبدأين هما :

١ — مبدأ تطبيق منهج التحليل النفسى على الأحلام حيث أن الحلم هو الطريق المفتوح إلى اللا شعور وهو أساس التداعى الحر فى استجابات الفرد .

٢ — مبدأ الجشطلت فى علم النفس من أن الكل أكبر من مجموع أجزائه . فإن ماينتجه الأدباء والفنانون كان دائما طريق المدرسة التحليلية فى تحليل مايخبؤه هؤلاء من صراعات واتجاهات . وكذلك فإنه لا يمكن أن يتصور أن هناك خاصة شخصية أو سلوكية — إن وجدت — يمكن أن تعمل بمفردها دون اتصال وتوافق مع الخصائص الأخرى مؤثرة عليها ومتأثرة بها .

وما يقال عن الخاصة أو النمط السلوكى ينسحب على ملامح أوهام الفرد وتخيلاته ومن ثم استجاباته للموقف الإسقاطى .

وهذا يدعونا إلى أن نقول أن نشأة الاختبارات الإسقاطية إنما جاءت كرد فعل لمحاولة إيجاد اختبارات ومقاييس لقياس سمة واحدة فقط من سمات الشخصية الإنسانية وهى محاولة تحمل فى طياتها معنى تجزأة وتفتيت استجابة الفرد فى المواقف المختلفة .

ولكن هناك ما يقال عن هذه الاختبارات الإسقاطية إذ أنها على الرغم من

أنها تتعامل مع الشخصية ككل إلا أن ذاتية الأخصائى النفسى فى التفسير والتحليل تعطل موضوعية هذا النوع من الاختبارات .

ويقابل ذلك ميزة : هى أن الاختبارات الإسقاطية تختلف عن الاختبارات الأخرى فى أن الموقف الاختبارى فى الحالة الأولى موقف طبيعى من ناحية المثير ومن ناحية استجابة الفرد أى أن الموقف يسمح للفرد أن يبرز قدراته الفردية التى يتميز بها وبذلك تتاح الفرصة للفروق الفردية أن تبدو وتتضح .

وميزة أخرى هى أن الموقف الإسقاطى يقلل بطريقة ملحوظة إحساس الفرد أنه تحت ظروف اختبارية تجعله يحرص على إظهار ذاته (الأنا) أو تدفعه إلى إرضاء معايير اجتماعية قائمة الأمر الذى يوجد وبصورة واضحة فى استفتاءات الشخصية التى وصفناها سابقا .

وميزة ثالثة هى أن الفرد فى الموقف الإسقاطى لا يشعر بضغط من أى نوع لاختيار إجابة دون أخرى يفرضها عليه مصمم الاختبار كما يحدث عادة فى معظم اختبارات واستفتاءات الشخصية .

ونعرض فيما يلى أهم الطرق والاختبارات الإسقاطية التى يمكن استخدامها بنجاح فى محاولات تقدير الشخصية من خلال هذا الأسلوب .

(أ) اختبار التداعى الحر للكلمات Free word association :

وتعتبر هذه الطريقة تاريخية فقد وصفها جالتون فى سنة ١٨٧٩ على أساس أنها وسيلة للكشف عن القدرة العقلية وليس كاختبار إسقاطى .

وفى العادة تتكون قائمة الكلمات من حوالى مائة كلمة تقرأ على الفرد المفحوص ويقوم الفاحص بتسجيل الكلمة الأولى التى تطرأ على ذهن المفحوص بمجرد سماعه للكلمة التى تتلى عليه . وغالبا ما يلاحظ أن استجابات الفرد سطحية غير عميقة فهى لا تخرج عن مرادفات للكلمات أو عكسها أو كلمات متشابهة المقاطع أو النغمة اللفظية .

وأحيانا تكون استجابات الفرد ذات دلالة نفسية فعلا عندما يصحب

الـكلمة نوع من الارتباك أو الخجل أو اللجلجة أو أى مظهر من مظاهر الانفعال الأخرى .

ويتميز هذا النوع من الاستجابات بطول زمن الرجع reaction time وهو الوقت الذى يمضى بين قراءة الـكلمة و بين استجابة الفرد .

وأحيانا يصمت المفحوص نهائياً و يرفض الاستجابة لهذه الـكلمة أو تلك وذلك يعتبر دليلا على الأثر النفسى لهذه الـكلمة .

وقد يقوم الفاحص بقراءة قائمة الـكلمات مرة أخرى و يطلب من المفحوص أن يستعيد استجاباته مرة أخرى .

وفى حالة عجز المفحوص عن استعادة نفس الاستجابات لبعض الـكلمات يسجل هذا كدلالة نفسية للـكلمة التى لم يتمكن من استعادة استجابتها .

وكان يونج فى سنة ١٩١٨ أول من درس الخصائص التشخيصية لهذا الاختبار بين عدد من المرضى العصابين . كما حاول أيضاً هذه الدارسة باستخدام بعض الأجهزة الـكهربائية التى تسجل التغير فى حالة المفحوص .

ومحاولة أخرى ذات أسلوب معقول قام بها لورا (أخصائى نفس روسى) حيث أمكن تسجيل ردود فعل اليد اليمنى واليد اليسرى منفصلتين للمفحوص عندما يجرى عليه اختبار التداعى الحر للـكلمات . وأمكن كذلك تسجيل زمن الرجع لـكل كلمة واستخدم لذلك جهازاً خاصا للـكشف عن حركات العضلات الإرادية والعضلات اللاإرادية المصاحبة لـكل كلمة ويسمى جهاز لورا .

ونرى فى الشـكل (١) هذه التسجيلات للشخص العادى :

ردود فعل اليد اليسرى ←

ردود فعل اليد اليمنى ←

زمن الرجع

(٢)

وأما الشكل (ب) فإنه يوضح نفس التسجيلات لشخص عصابي .

ردود فعل اليد اليسرى
ردود فعل اليد اليمنى
رسم الرجيع

(ب)

فيتضح على سبيل المثال فى الشكل ا الانتظام فى الاستجابات الإرادية واللا إرادية للفرد المفحوص بينما يلاحظ عكس ذلك فى الشكل (ب) .

وغالباً ما تستخدم قائمة يونج للكلمات وبها ١٠٠ كلمة أو قائمة روزانوف أو قائمة كاتل .

وهناك محاولة يجب أن تذكر وهى محاولة بعض المشتغلين بهذه الطريقة لتقنينها تقنينا يقربها بعض الشىء إلى الموضوعية . فقد جمعت استجابات ١٠٠٠ فرد عادى بالنسبة للقائمة ذات المائة كلمة ثم صنفت هذه الاستجابات حسب شيوعها وتكرار استخدامها . وعندما يطبق هذا الاختبار (القائمة) على مفحوص جديد فإنه يمكن بذلك معرفة مكان استجاباته عن طريق تصنيفها ونسبتها إلى التصنيف الأساسى .

(ب) اختبار بريسى للكلمات المتناظرة Pressey test

تستخدم هذه الطريقة للكشف عن أنواع المثيرات التى تسبب الاستجابات الانفعالية للأفراد .

ويتكون هذا الاختبار (Pressey X-O) من جزأين : الأول منهما خاص بالكبار أو البالغين ويحتوى على أربعة أبواب يتكون كل منها من ٢٥ صفا وكل صف يحتوى على خمس كلمات .

ففى الباب الأول يقوم المفحوص بشطب الكلمات التى يسبب معناها ضيقا له

ثم يضع دائرة حول الكلمات التي يسبب — معناها — أعلى درجة من الضيق والحرج له .

وفي الباب الثاني تسبق الكلمات الخمس في كل صف كلمة أخرى ويطلب من المفحوص أن يشطب الكلمات التي ترتبط في المعنى بهذه الكلمة الأخرى ثم يضع دائرة حول الكلمة الأكثر ارتباطا بها .

وفي الباب الثالث يقوم المفحوص بشطب الكلمات التي ترتبط في ذهنه بأحداث أو أعمال خاطئة .

وفي الباب الرابع يقوم بشطب الكلمات التي يسبب معناها له الخوف أو القلق أو العصبية .

والجزء الثاني للأطفال ويحتوي على ثلاثة أبواب تختص باكتشاف استجابات الطفل في حالة العمل الخطأ — القلق — الخوف — الاهتمام .

ويمكن تفسير استجابات المفحوص — بالطريقة التي اقترحها بريسي Pressy — باعتبار أن عدد الكلمات المشطوبة مقياس للارتباطات الانفعالية أو العاطفية للفرد .

وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه لم يؤيد بالتجريب إلا أنه قد وجد أن درجات الأفراد العصابيين والجانحين في حالة القلق والإحساس بالضيق والشعور بالندم أعلى من درجات العاديين في هذه النواحي .

وعلى سبيل المثال فإننا نجد في الباب الأول من الجزء الأول من هذا الاختبار خمسة كلمات في كل صف تشير جميعها إلى الإحساس بالضيق مثل :

مخمور — مختنق — ظالم — أبيض — يميل إلى الجنس الآخر .

ونجد كذلك في الباب الرابع من هذا الجزء ما يلي :

الظلم — الضوضاء — الضمير — تثبيط الهمة — الجرائم .

(ح) اختبار ارتباط الكلمات Word-Connection :

وهذه الطريقة اقترحها مولر ومالمود ثم قام كراون بتعديلها :

ويتكون الاختبار من قائمة تحتوى على خمسين كلمة يتبع كل منها كلمتان وعلى المفحوص أن يختار منهما ما يتفق مع الكلمة الأساسية . ومثال ذلك :

حوض : يغسل

يغرق

وقد وجد أن العصابيين يعطون استجابات معينة تميزهم عن الأفراد العاديين .

(د) اختبار الجمل الناقصة :

ويتفادى هذا الاختبار الصعوبة القائمة فى اختبارات التداعى الحر للكلمات وهى أن الكلمة الواحدة التى يستجيب بها المفحوص ليس من السهل تحليلها وإيجاد دلالة نفسية لها . وقد سبق أن أشرنا فعلا إلى ضحالة الاستجابات فى مثل هذه الاختبارات . لذلك اقترح باين أن يعطى للمفحوص جملة ناقصة ويقوم هو بإكمالها بالطريقة التى يراها .

ومثال ذلك :

١ — كل الناس . . . .

٢ — لو أننى . . . .

٣ — لقد فشلت فى . . . .

٤ — إن أبى و . . . .

ويقوم المفحوص بكتابة ما يعن له من أفكار إكمالا لهذه الجملة الناقصة .

وميزة هذا الاختبار أنه يمكن استخدامه بصورة جماعية . وعلى الرغم من أن المفحوصين كثيرا ما تكون استجاباتهم ضحلة أو سطحية لأنه من الممكن

ألا يأخذوا الاختبار بصورة جدية إلا أنه من المحتمل دائما أن نحصل على استجابات كثيرة لها دلالات نفسية معقولة .

ويتراوح عدد الجمل الناقصة فى الاختبار الواحد بين ٢٠ جملة و ١٠٠ جملة ومن أحسن الاختبارات التى أعدت من هذا النوع اختبار رود وهيلدرث .

وأما تفسير استجابات الأفراد فإنه يخضع بطبيعة الحال للأسس الإكلينيكية فى علم النفس إلا أنه كانت هناك عدة محاولات لوضع أسس موضوعية لتفسير وتحليل هذه الاستجابات . وأبسط هذه المحاولات ما يعتمد على النسبة بين عدد الاستجابات السارة وعدد الاستجابات الحزينة التى يعطيها الفرد .

وأما روتر فإنه يقسم الاستجابات إلى ثلاثة أقسام :

١ ـــ استجابات صراعية : أى توضح وجود صراع من أى نوع بين الفرد وبين عناصر بيئته الاجتماعية أو المادية أو النفسية .

٢ ـــ استجابات محايدة : أى عادية ليس فيها ما يلفت النظر باحتمال أن يكون المفحوص لم يكن على عمق كاف أثناء إعطاء هذه الاستجابة .

٣ ـــ استجابات موجبة أو صحية : وهى الاستجابات التى تدل على قدرة صاحبها على التكيف السوى مع عناصر بيئته بأنواعها المختلفة .

ويقول روتر أنه بهذا التقسيم قد حصل على معامل ارتباط قدره ٧ر٠ بين الاستجابات الصراعية وبين الانحراف العاطفى .

(هـ) اختبار القصص Story telling test :

وهذا اختبار يصلح للأطفال ابتداء من سن ست سنوات كما يصلح للبالغين أيضاً . ويتلخص إجراء الاختبار كما يقول داﻟﻦ فى أن يقوم المفحوص برسم تلقائى وفى أثناء ذلك يقوم الفاحص بحكاية قصة تدور حوادثها حول شخص يماثل المفحوص من ناحية الظروف المحيطة به ثم يتوقف الفاحص ويطلب من المفحوص أن يكمل القصة موجهاً إليه أسئلة واستفسارات إذا توقف عن الإكمال .

ويقول وافن أن هذا العمل الثنائي (سماع القصة ورسم الصورة) يعطي استجابات تلقائية ناتجة عن عملية التقمص بين المفحوص وبطل القصة . ولو أن هذا الافتراض لم يقم عليه أي دليل تجريبي حتى الآن .

(و) اختبار الصور Picture test :

قام مورجان وموراى بإعداد اختبار يتضمن مجموعة من الصور تمثل مواقف مختلفة . وتعرض هذه المجموعة من الصور على المفحوص ويطلب منه أن يحكى قصة تعبر عن الموقف الذى يراه فى الصورة . ويسمى هذا الاختبار (اختبار تفهم الموضوع) Thematic apperception test . ويقوم الفاحص بتسجيل الاستجابات اللفظية وغير اللفظية للمفحوص كأنواع التعبيرات التى تبدو عليه أو ما يبديه من حركات غير مقصودة .

ثم يعود الفاحص مرة أخرى ليناقش المفحوص فى استجاباته وقد يطلب منه تعليله وتفسيره لهذه الاستجابة .

وقد وجد بالتجربة أن عشرة صور كافية لإجراء الاختبار بشرط أن تكون كل صورة منها على قدر من الإبهام والغموض بحيث تسمح للمفحوص أن يتخيل ويعبر عن تخيله بقصة كاملة .

كما يشترط أيضاً فى الصورة أن تضم عناصر مشابهة للمفحوص من ناحية الجنس والسن وذلك حتى يمكن لعملية التقمص أن تحدث بين المفحوص وعنصر الصورة وبالتالى تحدث عملية الاسقاط وهى المطلوبة للتعبير عن شخصية الفرد .

كما يشترط أيضاً أن توضح الصور مواقف مختلفة أو متشابهة حتى يتمكن الفاحص من الإلمام بنواح مختلفة من شخصية الفرد .

ومن المستحسن أن تستخدم مجموعة ثابتة (مقننة) من الصور حتى يمكن المقارنة بين نتائج دراسة وأخرى وكذلك المقارنة بين استجابات فرد وفرد آخر .

وأما من ناحية تفسير الاستجابات فإنها تختلف من أخصائي نفسي إلى آخر وذلك يرجع إلى مفهوم كل منهم عن أصل الاسقاط عند الفرد .

وقد قام المؤلف بإعداد مجموعة من أحد عشر صورة تتصل جميعها بمواقف مختلفة من الحياة الأسرية بعضها يتكون من العناصر الثلاثة للأسرة : الأم والأب والطفل وبعضها يمثل الأم والطفل فقط وبعضها يمثل الأم والأب .

وقد عرضت هذه الصور على مجموعة من الذكور والإناث من ذوى المشاكل الأسرية فوجدت عدة نتائج يمكن اعتبارها نتائج تمهيدية وذلك لقلة عدد الأفراد حتى الآن ومن هذه النتائج أن الاستجابات الصراعية أو الاستجابات المرضية تكون أكثر وضوحا فى الحالات التالية :

(ا) صور الأم والأب فقط : يفسرها باستجابة شاذة أو مرضية الذكور والإناث الذين تقوم مشاكلهم الأسرية أساساً على مسائل جنسية تتصل إما مباشرة بحياة الزوجين أو تتصل بشك أحدهما فى سلوك الآخر .

(ب) صور الأم والأب والطفل : يفسرها باستجابة شاذة أو مرضية الذكور والإناث ذوى المشاكل الأسرية التى تقوم على أساس اقتصادى أو تدخل أحد أقارب الزوجين فى شئون الأسرة .

(حـ) صور الأم والطفل فقط : يفسرها باستجابة شاذة أو مرضية الذكور والإناث ذوى المشاكل الأسرية التى تقوم أساساً على انفصال فى الأسرة أو السلوك الشاذ الأب .

وفى جميع الحالات فإن هذه نتائج أولية وتحتاج إلى إعادة نظر وتجريب على عينة أكبر ومتباينة من ناحية المستوى الاقتصادى والاجتماعى .

وفى الصفحة التالية بعض الصور من المجموعة التى أعدها المؤلف :

(ز) اختبار بقع الحبر « رورشاخ » :

يعتبر هذا الاختبار من أكثر الاختبارات الإسقاطية شيوعا واستخداما



تمثل هاتان الصورتان بعض وحدات اختبار الصور للمؤلف وذلك فى محيط مشاكل الأسرة .

ومعظم الاستجابات للصورة العليا تدور حول : امرأة مطرودة من منزل الزوجية أو امرأة تتسول نتيجة ظروف قاسية .

وبعض الاستجابات الصحية تدور حول زوجة تنتظر عودة زوجها .

وأما الصورة الجانبية فتدور استجاباتها حول : امرأة تبحث عن مكان لتلقى فيه وليدها أو امرأة خطفت طفلا .

وبعض الاستجابات الصحية تقول : زوجة تحمل طفلها لإرضاعه أو لتهدئة روعه .

فى أغراض البحث والدراسة وفى المستشفيات العقلية وعيادات العلاج النفسى من أجل التشخيص .

ويعتبر هذا الاختبار أيضاً من أكثر الاختبارات التى تعرضت لعمليات التقنين والدراسة العلمية وقد قسمت استجابات الأفراد حسب ثلاثة أنماط عامة :

١ ــ منوال الإدراك والتقدير :

ونعنى بهذا إدراك الفرد للبقعة ككل أو إدراك التفاصيل العادية الواضحة أو التفاصيل الدقيقة الشاذة . أو أن يكون الإدراك مبنى على مساحة بيضاء داخل البقعة .

٢ ــ محدد الإدراك :

ونقصد بذلك الشكل الخارجى للبقعة أو اللون أو الظل أو الحركة وكذلك نسبة كل من العوامل السابقة إلى الآخر . وشدة كل من هذه العوامل .

٣ ــ محتوى الإدراك :

ونعنى به أصالة إدراك المحتوى أو عادية هذا الإدراك . سواء كان المحتوى إنسان أو حيوان أو شىء آخر أو إدراك تشريحى أو جغرافى أو نباتات أو مناظر طبيعية .

وقد أجريت بحوث عديدة لتقدير ثبات وصحة اختبار رور شاخ ولكن معظم النتائج لم تكن مشجعة .

وأما عن القدرة التشخيصية لهذا الاختبار فهى ليست عالية بالقدر الذى نظنه لأول وهلة ولكن هناك بعض الحالات التى يصلح فيها اختبار رور شاخ للتشخيص مثـــل حالات القلق الزائد أو الاكتئاب أو الهيبوكوندريا (هوس المرض) .

(ح) اختبار تقدير الفكاهة Sense of humour test :

من الواضح أن عملية الإسقاط تدخل فى عملية تقديرنا للفكاهة والنكتة .

ولذلك كانت هناك عدة محاولات لقياس الشخصية الإنسانية عن طريق تصنيف الفكاهات التى يتذوقها الفرد .

وكان أول من أثار ذلك هو آيزنك فى بحث له عن تذوق مجموعة من الناس لمختلف أنواع الفكاهة والنكتة حيث وجد أن هناك بعض أعضاء المجموعة يتذوقون فكاهات الجنس والبعض الآخر يتذوق الفكاهة التى تحتاج إلى ذكاء ومهارة فى الإلقاء أو المحتوى .

ثم وجد إيزنك فى بحث مكمل أن المصابين بالهيستريا يميلون أكثر من غيرهم إلى تذوق فكاهات الجنس بينما وجد أن هناك معامل ارتباط بين تذوق الفكاهة التى تحتاج إلى ذكاء وبين الانطواء أو الانبساط الاجتماعى .

وفى بحث آخر أكثر دقة وتنظيما قام كاتل ولابورسكى بتصنيف ١٠٠ نكتة وفكاهة مستخدمين فى ذلك أسلوب التحليل العاملى حيث تم تصنيفها إلى أحد عشر زوجا من الأنواع المختلفة مثل :

لامبالاة ــ جنس عكس لاذع ــ غير اجتماعى أو مكتئب
السخرية من الغباء « الرضا المستمر أو الاستسلام

ويقول الباحثان أن الدرجات التى يحصل عليها الفرد فى أحد هذه الأبعاد إنما هى صادرة عن رغبة شخصية مكبوتة ، كما وجدا معاملات ارتباطات بين هذه الدرجات وبين درجات الأفراد المشتقة من استفتاءات الشخصية التى تقيس بعض الخصائص والسمات .

وعلى جميع الاحتمالات لا نستطيع أن نزعم أن إحدى هذه الطرق الإسقاطية أو غير الإسقاطية تصلح لأن تكون طريقة جامعة مانعة لقياس الشخصية الإنسانية .

الفصل السادس

قياس ظاهرة القيادة أو الزعامة

لم يعرف علم النفس الاجتماعى ظاهرة تتابعت عليها الدراسات والبحوث بعمق وغزارة مثل ظاهرة القيادة . ولذلك فإنه أصبح من الصعب العسير أن يقوم الإنسان ببحث يضيف به جديدا إلى المعرفة فى هذا الميدان أو أن يكتب عن هذه الظاهرة كتابة تستلفت نظر الدارس فى علم النفس الاجتماعى .

إلا أنه يمكن القول أن ميدان القياس بالنسبة لهذه الظاهرة ما زال بكراً وإن ارتاده الكثيرون فمعظم البحوث السابقة كانت تهتم بفلسفة القيادة أكثر من محتواها وتهتم بعلاقتها بغيرها أكثر منها ذاتها .

وبمعنى أوضح اهتمت البحوث والمؤلفات بدراسة الزعامة كظاهرة اجتماعية من ناحية التعريف بها والعمليات والديناميات المتعلقة بها ولكنها ربما لم تهتم كثيرا بمحتوى عملية القيادة فى حد ذاتها كعملية سيكلوجية يحدث فيها تغيير فى قيم واتجاهات أفراد المجموعة ، وفى توقعاتهم وفى معدل التفاعل بينهم .

وكذلك اهتمت البحوث السابقة فى هذا الميدان بدراسة العلاقة بين الزعامة — كظاهرة اجتماعية — وبين المتغيرات الأخرى مثل خصائص الشخصية كالنواحى المعرفية أو المزاجية المختلفة . ولكنها ربما لم تهتم كثيرا بدراسة العلاقة بين هذه المتغيرات بعضها ببعض فى المواقف الزعامية أو القيادية فى حياة الجماعة .

ومن ثم فأعتقد أن ما أرمى إليه فى هذا الفصل هو مناقشة طرق القياس والتقدير التى يمكن الاستعانة بها عند محاولة اكتشاف القادة أو تدريبهم . كما أحاول

أيضاً أن أربط بين النظرية أو العمل النظرى الذى أجرى فى هذا الميدان وبين التطبيق والاستعمال .

فلقد وضعت عدة تعريفات لتحديد معنى كلمة الزعامة ومن الطريف أن كل باحث كان يضع أو يختار التعريف الذى يناسب البحث الذى يقوم به ولذلك فقد أصبح من الصعب أن نحصل على نتائج يمكن تعميمها من أى من هذه الدراسات أو البحوث .

فيرى جيننكنز الزعامة « ذلك العمل الذى عن طريقه يمكن توجيه سلوك فرد أو أكثر » ولكنه يرى أيضاً أن هذا التعريف غير متكامل فيقول « إننا ما زلنا بحاجة إلى تعريف إجرائى أكثر قدرة على مواجهة ظروف البحث والدراسة » .

وأما هورروكس فيقول أن الزعيم هو ذلك الفرد الذى يستطيع أن يحدث أثراً فى الآخرين ويختلف عنهم فى درجة التأثير التى يحدثها ، وعدد الأفراد الذين يتأثرون به . وعدد المواقف التى يسيطر فيها ، والمدة التى تستمر فيها سيطرته .

ويقول بيجورس أن الزعامة مفهوم يطلق على الشخصية الإنسانية فى البيئة الاجتماعية ليصف الموقف عندما تكون هذه الشخصية لها من العزيمة والإحساس والبصيرة ما يمكنها من توجيه الآخرين .

وأما بارتريدج فيعرف الزعيم على أنه الفرد الذى له من القدرة والإمكانيات ما يمكنه من أن يوحى للآخرين بالثقة فيتصرفون ويفكرون بالطريقة التى يراها هو .

من هذه التعريفات يتضح شيئان :

(ا) جميع هذه الدراسات والدراسات المشابهة لها واعتمدت على مثل هذه التعاريف أكدت أن الزعيم فرد يؤثر ويوجه ويتحكم فى بقية أعضاء المجموعة وذلك واضح من محتوى التعاريف السابقة .

(ب) جميع هذه التعاريف والتعاريف المشابهة لها تجاهلت عملية التفاعل التى تتم بين أعضاء الجماعة أو على الأقل لم تتعرض لها وهذا يعنى بطبيعة الحال ثنائية تركيب الجماعة أى فرد قائد وجماعة من التابعين.

ونعرض الآن بعض التعاريف من نوع آخر.

يقول تيــــد أن الزعامة هى نشاط يؤثر فى الآخرين ليجعلهم يتعاونون من أجل تحقيق هدف يرغبون فى تحقيقه.

وأما ستوجويل فيرى الزعامة على أنها عملية التأثير فى نشاط جماعة منظمة من أجل تحديد الهدف والوصول إليه.

وكذلك فإن بيل وهول يصفان الزعيم بأنه الفرد الذى يمتلك بصيرة اجتماعية تمكنه من توقع حاجات الجماعة ومن إشباع أكبر قدر ممكن من هذه الحاجات.

ويتضح من هذا اللون من التعريفات أنه على الرغم من أن عملية « التأثير والتحكم » ما زالت ذات وزن إلا أنها — هذه التعريفات — أخذت فى اعتبارها حاجات الجماعة وأهدافها عند مناقشتها لفكرة الزعامة.

وعلى أى الحالات فإن هذا النوع من التعاريف ما زال قاصرا ولا يعتبر بداية حسنة لدراسة تستهدف توضيح طبيعة عملية الزعامة ومحتواها كنمط سلوكى يصدره الفرد فى مواقف معينة أو يستهدف توضيح دور الزعيم كفرد فى المجموعة.

ونأتى للنوع الثالث والأخير من هذه التعاريف:

يقول يونج أن الزعامة وجه من أوجه التنظيم الكلى للشخصية الإنسانية كوحدة متكاملة وليست سمة أو قدرة خاصة.

ويقول جيب أن الزعامة ليست خاصة فردية ولكنها:

(ا) صفة من صفات دور الفرد فى جهاز اجتماعى محدد يتمثل فى مواقف المعاناة التى تمر بها الجماعة.

(ب) عملية مؤداها التأثير والتأثر أى التفاعل الاجتماعى الذى يتم من خلاله تكوين الاتجاهات والمثل والقيم والمبادىء التى تحدد تفاعل أفراد الجماعة واستجاباتهم لموقف المعاناة .

ويقول ستوجديل أن الزعامة علاقة حية دائمة بين أعضاء جماعة يبرز أحد أفرادها كقائد نتيجة اشتراكه الفعال وتعاونه الواضح فى نشاط الجماعة .

ويصف زيليني القائد أو الزعيم على أنه الفرد الذى ينتزع الاتجاهات الموجبة نحوه من أعضاء الجماعة نتيجة تفوقه عليهم فى تحقيق أهداف الجماعة وإشباع حاجات أفرادها .

ويعرف ريدل الزعيم بأنه الفرد الذى تتبلور حوله المجموعة .

وهكذا فإنه يمكن أن نستدل من هذه التعريفات على نواح مختلفة أهمها أن هناك اعتراف واضح وأكيد بعملية التفاعل الاجتماعى التى تتم بين أفراد الجماعة أو بمعنى آخر عملية القوى الاجتماعية وفروق الجهد المختلفة التى تبلور الموقف الزعامى .

وناحية أخرى يمكن استنتاجها من التعريفات السابقة . وهى تأكيد الموقف الاجتماعى كوسط يبرز قيمة الزعيم وتتكون فيه ظاهرة الزعامة .

وأخيراً فإن هذه التعريفات جميعها تتفق على تعريف الزعيم بمقاييس القدرة على التأثير والضبط والتوجيه ثم التفوق فى الموقف الاجتماعى .

وهذا يتفق مع النظرية التى تؤمن بثنائية تكوين الجماعة أى قائد يقود وتابعون يتبعون .

وواقع الأمر أن القيادة أو الزعامة تختلف حقيقة عن التبعية ولكنها ليست عكسها . بمعنى أنه إذا توفر مقياس لقياس الزعامة فإنه بالضرورة يبدأ من صفر إلى أعلى ولكنه لا يجرى فى الاتجاه السالب .

فلو أردنا أن نعرف الزعيم أو القائد فإنما نعرفه على أنه عضو الجماعة الذى

يعرض أنماطاً محددة من السلوك ناتجة عن خصائصه الشخصية وقدراته وعوامل الجماعة والموقف .

ذلك فيما يختص بالتعريف . وأما عن الدراسات السابقة فهى أشمل من أن توجز فى فصل واحد من كتاب ولكن سوف أنتقى من هذه الدراسات مايوضح الطريق أمام الدارس ليتفهم طبيعة نظرية الزعامة والأسس الضرورية لعملية قياسها وتقديرها كظاهرة اجتماعية .

فى سنة ١٩٤٧ قسم جينكنز دراسات الزعامة إلى خمسة أنواع هى :

١ ـ الدراسات التى تختص باختيار القادة الإداريين والمنفذين والمشرفين والرؤساء فى ميدان الصناعات والوظائف الحكومية .

٢ ـ الدراسات التى تختص بانتقاء القادة الفنيين والمهنيين .

٣ ـ الدراسات التى تجرى فى ميدان نشاط أطفال ما قبل المدرسة أو خارج المواقف المدرسية .

٤ ـ الدراسات التى تجرى فى مواقف مدرسية .

٥ ـ الدراسات التى تجرى فى ميدان الزعامة الحربية أو العسكرية .

كما أوضح جينكنز فى دراسته كذلك ناحيتين هما :

أولا : أهم الطرق التى استخدمت فى دراسات الزعامة كانت كما يلى :

١ ـ طريقة الملاحظة الشاملة حيث يسجل نشاط الفرد ثم يصنف هذا النشاط استناداً إلى نظام معين فى التصنيف .

٢ ـ طريقة الانتخاب حيث يقوم أفراد الجماعة بطريقة أو بأخرى بانتخاب زعيم أو قائد للجماعة .

٣ ـ طريقة إجراء الاختبارات الخاصة والموقفية للكشف عن القادة والزعماء .

فالطريقة الأولى ـ طريقة الملاحظة والتسجيل يمكن استخدامها بنجاح

فى الجماعات الصغيرة التى لا يزيد عدد أفرادها عن سبعة حتى تكون مهمة الملاحظة والتسجيل أقرب ما تكون إلى الحقيقة . وفى هذه الطريقة استخدمت « نظم » عديدة لتصنيف نشاط الأفراد وربما كانت نتيجة الملاحظة والتسجيل والتحليل تعتمد بشكل واضح على دليل التصنيف المستخدم .

وبمعنى آخر أنه كلما كان دليل التصنيف دقيقا وممثلا لأنماط السلوك المختلفة التى يبرزها الفرد فى المواقف المتعددة من حياة الجماعة كلما كانت نتيجة الملاحظة أقرب ما تكون إلى الحقيقة .

وأما الطريقة الثانية — طريقة الانتخاب — يمكن أن تستخدم فى الجماعات الكبيرة نوعاً أى إذا كان العدد حوالى ٤٠ فردا لأنه إذا زاد العدد عن ذلك حدثت انقسامات داخلية عديدة فى المجموعة مما يضعف المعيار الذى يختار على أساسه الأفراد .

وتتم هذه الطريقة باستخدام الاختبار السوسيومترى الذى ناقشناه فى الباب الأول من هذا الكتاب .

وتعتبر هذه الطريقة من أسهل الطرق لاكتشاف القادة ومن أقل الطرق حاجة إلى مجهود من ناحية الباحث .

وأما الطريقة الثالثة وهى طريقة إجراء اختبارات خاصة أو موقفية لاكتشاف الزعماء تعنى أن يكون هناك اختبار خاص للزعامة الأمر الذى يحتاج إلى مناقشة وتدقيق لأن صلاحية مثل هذا الاختبار تحتمل كثيرا من الشك .

فاختبارات الزعامة — إن وجدت — لا يمكن أن تحل بأى حال من الأحوال محل طريقة الملاحظة والتسجيل أو طريقة الانتخاب .

ثانياً : يرى جينكنز أن بعض البحوث التى قام بدارستها تجمع على أن القادة أو الزعماء يتفوقون على بقية أفراد المجموعة فى الطول والوزن والذكاء والعمر الزمنى وما إلى ذلك .

وبعض البحوث الأخرى تجمع على أن القادة يتفوقون على بقية أفراد المجموعة في الذكاء ــ المنظر الجذاب ــ الملبس النظيف ــ الأفق المتسع ــ الاتزان العاطفى ــ القدرة على التعبير ــ الجرأة والمركز الاجتماعى للأسرة .

وفى سنة ١٩٤٨ قام ستوجديل بمناقشة ١٢٤ بحثاً ودراسة فى ميدان الزعامة فاهتم فقط بالعوامل التى بحثها ثلاثة دارسين أو أكثر وأخذ فى اعتباره أساسين عند تقييم أى دراسة من هذه الدراسات :

(ا) وضوح النتائج النهائية للدراسة بصورة قاطعة وإحصائية .

(ب) فنية الطريقة المستخدمة فى تصميم التجربة أو البحث ومطابقتها لشروط الطريقة العلمية فى البحث والاستقصاء .

وبناء على ذلك صنف ستوجديل نتائج هذه الدراسات الـ١٢٤ كما يلى :

(ا) نتائج يؤيدها خمسة عشر بحثاً أو أكثر وتتلخص فى :

١ ــ يتميز الزعيم عن بقية أفراد الجماعة بتفوقه فى الذكاء ــ التحصيل المدرسى ــ القدرة على تحمل المسئولية ــ النشاط والمشاركة الاجتماعية ــ المكانة الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ــ الخصائص والمقومات والمهارات اللازمة للزعيم تحددها متطلبات الموقف .

(ب) نتائج يؤيدها عشرة بحوث أو أكثر وتتلخص فى :

يتميز الزعيم عن بقية أفراد الجماعة بتفوقه فى القدرة الاجتماعية ــ المبادأة المثابرة ــ معرفة كيفية الوصول إلى الهدف ــ الثقة فى النفس ــ الحذر والبصيرة فى المواقف الاجتماعية ــ التعاون ــ الشعبية ــ القدرة على التكيف والطلاقة اللفظية .

(حـ) بالإضافة إلى ما سبق هناك عدة عوامل نوعية وجدها بعض الباحثين وهى على سبيل المثال القدرة العضلية والكفاءة الجسمية فى حالة شلل المراهقين .

(د) هناك معامل ارتباط عالى وموجب بين الزعامة وبين الخصائص التالية: الأصالة والإبداع ــ الشعبية ــ التعاون ــ الحيوية ــ الكفاءة الجسمية.

(هـ) هناك معامل ارتباط ضئيل بين الزعامة وبين الخصائص التالية :
العمر الزمنى — الطول — المظهر الخارجى — الميل إلى التسلط — الاتزان الانفعالى .

(و) بعض الدليل يؤكد أن الزعامة فى المدرسة الثانوية يمكن أن تمتد إلى حياة الجامعة وفى مهنة الفرد بعد تخرجه . علما بأنه لا توجد دراسات مستقلة لدراسة ظاهرة انتقال القيادة .

(ز) كانت أنجح الدراسات فى ميدان الزعامة الدراسات التى استخدمت أسلوب الملاحظة والتسجيل ثم تحليل محتوى أنماط السلوك والتفاعل بناء على دليل متفق عليه .

وبهذا يمكن أن نلخص العوامل التى ترتبط إيجابياً بظاهرة الزعامة كما يلى :
(وذلك من وجهة نظر الدراسات التى ناقشها ستوجديل) :

١ — القدرة «الإمكانية» وتشمل : الذكاء — الحذر والبصيرة — الطلاقة التعبيرية — الأصالة والإبداع — الحزم .

٢ — التحصيل وتشمل التحصيل المدرسى — المعرفة والمعلومات العامة — البطولات الرياضية .

٣ — المسئولية وتشمل : الاستقلالية والمبادأة — المثابرة — العدوانية — الثقة بالنفس — الرغبة فى التفوق .

٤ — المشاركة وتشمل : النشاط — القدرة الاجتماعية — التعاون — التكيف حاسة الفكاهة .

٥ - المكانة وتشمل : الموضع الاقتصادى والاجتماعى للفرد — الشعبية .

وفى سنة ١٩٥٩ قام مان بمجهود مماثل لمجهود ستوجديل فى مناقشة جميع الدراسات والبحوث السابقة وخاصة فى ميدان الشخصية والأداء فى الجماعات الصغيرة .

وأفرد مان فى دراسته هذه جزءاً كبيراً من أجل العلاقة بين عوامل الشخصية وبين الزعامة . حيث قسم الطرق التى قيست بها هذه الظاهرة إلى :

١ — طريقة الملاحظة والتسجيل ثم التحليل .
٢ — طريقة الانتخاب عن طريق أعضاء الجماعة .
٣ — الاعتماد على اختيار الفرد لمنصب رياسى كمعيار لزعامته .
٤ — أن يقوم الفرد بإعطاء نفسه درجة على مقياس خاص للزعامة .

ولسنا بصدد مناقشة هذه الطرق الآن بل يجب التعليق على الطريقتين الأخيرتين بأنهما لا يتوفر فيهما الدقة الكاملة لاكتشاف أو معرفة القائد أو الزعيم .

وقد قام مان بعد ذلك بدراسة العلاقة بين بعض العوامل الشخصية وبين ظاهرة القيادة أو الزعامة ونلخص ذلك فيما يلى :

(ا) الذكاء :

قام بدراسة العلاقة بين الذكاء وبين الزعامة ٢٨ باحثاً وذلك فى مجموعة أو أكثر حيث أعطت هذه الدراسات ١٩٦ نتيجة ، ١٧٣ منها أى ٨٨ ٪ يثبت علاقة موجبة بين الذكاء وبين الزعامة . ولكن معامل الارتباط بين الإثنين لم يزد عن ٥ر٠ .

كما أن هناك بعض الدليل على أن « الذكاء اللغوى » أكثر ارتباطاً بالزعامة من « الذكاء غير اللغوى » كالذاكرة والقدرة العددية .

(ب) الانضباط Adjustment :

قام ٢٢ باحثاً بدراسة العلاقة بين الانضباط والزعامة وكان الاتجاه الواضح فى هذه الدراسات العلاقة الموجبة بين الإثنين .

فقد كان هناك ٩٦ ٪ من النتائج يؤيد ذلك . كما أن كل دراسة بمفردها تؤيد هذا الاتجاه الموجب ولو أن معامل الارتباط لم يزد عن ٣٥ر٠ .

٣ — الإنطواء والانبساط :

وجد ٢٢ باحثاً فى العلاقة بين الانبساط الاجتماعى وبين القيادة علاقة موجبة

بين الإثنين إذ أن ٨٥ ٪ من هذه الدراسات أكدت ذلك بصورة إحصائية واضحة . كما أن معامل الارتباط بينهما لم يزد عن ٢٤ر. .

٤ — الميل إلى التسلط والسيطرة :

أخذ هذا العامل فى اعتباره عند الدراسة ١٢ باحثاً حيث تم قياس هذا الميل إلى التسلط عن طريق اختبارات الشخصية المعروفة وقد وجد أن ٧٣ ٪ من النتائج تؤيد الاتجاه الموجب فى العلاقة بين التسلط وبين الزعامة علما بأن معامل الارتباط لم يزد أيضاً عن ٢٤ر. .

٥ — الذكورة والأنوثة :

هناك دليل طفيف على وجود علاقة موجبة بين الذكورة وبين الزعامة وفى الدراسات التسع (٩) التى أجريت كانت معاملات الارتباطات إما بسيطة أو غير واضحة إحصائياً .

٦ — الميل إلى المحافظة Conservatism :

أثبتت ١٧ دراسة وجود ارتباط سالب بين الميل إلى المحافظة وبين الزعامة

٧ — الحساسية الاجتماعية :

الاتجاه العام لخمسة عشر (١٥) دراسة يؤكد العلاقة الموجبة بين الحساسية الاجتماعية وبين الزعامة ففى ٧٤ ٪ من الحالات المدروسة وجد أن القادة أكثر دقة فى تقدير النواحى المختلفة فى آراء واتجاهات أعضاء الجماعة . وبمعنى آخر أكثر حساسية لأنواع التفاعل الاجتماعى الحادث فى الجماعة .

ولإكمال الصورة لابد وأن نتعرض لتصنيف هذه الدراسات الكثيرة باعتبار مدخل كل منها لدراسة هذه الظاهرة .

فهناك الكثير من الدراسات والبحوث اتخذ مدخل الخاصة أو السمة الشخصية بمعنى أن الزعامة حدث فردى أى أن هناك فرد واحد يمتلك من الزعامة كمية يمكن قياسها عن طريق قياس السمات الشخصية المحددة التى تكون الفرد الزعيم .

ومعنى ذلك بطبيعة الحال أنه طالما أن الفرد يمتلك كمية محددة من الشخصية الزعامية فإنه يستطيع أن يكون زعيما بغض النظر عن الموقف الاجتماعي الذى يوجد فيه .

ولهذا فقد أصبح هذا المدخل عاجزا عن تفسير ظاهرة القيادة تفسيرا حقيقياً.

وهناك بعض الدراسات أيضاً قامت بتعديل هذا المدخل بحيث يناسب الاتجاه القوى فى علم النفس الاجتماعى بأن الزعامة ظاهرة موقفية تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعى بين الأفراد وأن استمرارها يتوقف على طبيعة عمل وتكوين الجماعة والنسيج الحضارى لها .

ولكن هذا المدخل قد لا يفسر جزءاً من ظاهرة الزعامة وهو انتقالها مع الفرد من موقف إلى آخر . فقد وجد بعض الدارسين أن هناك فرصة لانتقال الزعامة مع الفرد فى المواقف المتشابهة .

ولذلك فإنه يجب القول بأن الزعامة أو القيادة ظاهرة تعتمد على أساسين مرتبطين هما تركيب شخصية الفرد ونوع الموقف الاجتماعى الذى يوجد فيه .

كما أن لنا بعض الملاحظات على دراسات الزعامة عموماً نوردها فيما بعد والهدف من ذلك هو — كما سبق أن أشرت — توضيح الطريق أمام الدارس ليفهم نظرية الزعامة وكيفية قياسها .

١ — الملاحظة الأولى : هناك نقص واضح فى دقة استخدام المصطلحات العلمية فى بعض هذه البحوث فما يسمى قدرة اجتماعية فى إحدى الدراسات قد يسمى شيئاً آخر فى دراسة أخرى وما تعتبره أحد الدراسات نوعاً من السلوك يطلق عليه الاتزان الانفعالى تعتبره دراسات أخرى غير ذلك . وهكذا .

وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى :

(ا) نتائج خاطئة تولدت من جمع أنماط مختلفة من السلوك تحت مصطلح واحد واستخدام هذا المصطلح فى أكثر من بحث .

(ب) أن العلاقة بين الزعامة كظاهرة و بين سمات الشخصية الإنسانية أصبحت تعتمد أكثر ما تعتمد على تصميم التجربة وطريقة القياس .

ولذلك فإننا نتفق مع (آرچايل) فى أنه من الضرورى قبل الوصول إلى قرار حاسم بالنسبة لتفسير ظاهرة الزعامة لابد من إجراء دراسة واسعة على مجموعات مختلفة من الأفراد مستخدمين فى ذلك أسساً معيارية واحدة لانتقاء القادة واختبارات الشخصية موحدة للكشف عن سماتها وخصائصها .

٢ ـ والملاحظة الثانية هى أن معظم البحوث التى أجريت فى ميدان الزعامة كانت تسير دائماً على خطوط متوازية وليس على خطوط متتابعة بمعنى أن معظم هذه الدراسات كانت تبدأ دائماً من نقطة واحدة وتنتهى إلى إيجاد نوع من العلاقة بين بعض المتغيرات وبين ظاهرة الزعامة .

وربما ذلك يفسر لماذا بقيت هذه المشكلة مفتوحة للبحث حتى الآن رغم كثرة الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان .

٣ ـ نلاحظ أيضاً أن دراسات الزعامة اتفقت على وجود علاقة موجبة بين بعض السمات الشخصية وبين ظاهرة القيادة على الرغم من أن هذه الدراسات كان لها أكثر من مدخل لدراسة هذه العلاقة الأمر الذى يدعو إلى إعادة النظر فى تصميم التجربة فى أى دراسة من هذه الدراسات .

٤ ـ ونلاحظ أخيراً أن هذه الدراسات جميعها كانت تحاول إيجاد العلاقة بين بعض المتغيرات مثل الذكاء والثبات الانفعالى من ناحية وبين الزعامة من ناحية أخرى ولكنها لم تحاول أن توجد العلاقة بين هذه المتغيرات بعضها ببعض فى موقف من مواقف القيادة أو الزعامة لأن هذا بلا أدنى شك سوف يوضح خصائص التفاعل الاجتماعى فى الموقف الزعامى . أو بمعنى آخر كان يجب أن يكون من أهداف بعض هذه الدراسات اختبار وتوضيح العلاقة بين الخصائص الشخصية والعوامل الموقفية فى حالة ظهور القادة أو الزعماء أو على الأصح كيف

يتم التفاعل بين الخصائص الشخصية للأفراد وبين العوامل الموقفية التى تحددها ظروف الجماعة حتى يبرز القائد ويتمايز عن غيره .

طرق قياس الزعامة :

لا نقصد بهذا العنوان أننا سوف نصف المقاييس المختلفة — إن وجدت — التى عن طريقها يمكن أن نقول بصراحة أن الفرد (ا) يمتلك عددا معيناً من وحدات الزعامة وأن الفرد (ب) يقل أو يزيد عنه بعدد ما من الوحدات .

ولكن نقصد أن نصف الوسائل الممكنة التى عن طريقها تستطيع قياس الزعامة كظاهرة أى نميزها عن غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى . والتى عن طريقها — أى هذه الوسائل — يمكن تقدير أو قياس تمايز الأفراد بعضهم عن بعض فى المواقف الزعامية المختلفة .

ولذلك فيصبح من الضرورى أن تتوفر فى مثل هذه الوسائل عدة شروط أهمها ما يلى :

١ — أن تكون من الشمول بحيث تتسع لكل دقائق السلوك الإنسانى سواء من ناحية الوصف أو ناحية القياس .

٢ — أن تكون من الدقة بحيث تميز بين مختلف الأنماط السلوكية التى يبديها الأفراد فى المواقف الاجتماعية المختلفة .

٣ — أن تكون ممكنة التطبيق فى أكبر عدد ممكن من المواقف أى لا تكون نوعية بحيث لا يمكن استخدامها إلا فى مواقف معينة فقط .

٤ — أن تكون سهلة التطبيق بمعنى أن الجهد الذى يبذل فى استخدامها لا يكون كبيراً حتى لا يختفى الهدف وراء الجهد المبذول فى استخدام الطريقة .

٥ — أن تأخذ فى اعتبارها العوامل الفردية والجماعية أى المهارات الاجتماعية للأفراد والطاقة المعنوية للجماعات .

٦ ــ أن تكون نتائجها قابلة للتحليل والتفسير بصورة كمية حتى لا يتغلب العنصر الذاتى للباحث على موضوعية الطريقة .

(ا) طريقة الانتخاب (الاختيار) Selection :

تعتبر طريقة الانتخاب أو الاختيار من الطرق السهلة الميسورة التى عن طريقها يمكن للباحث اكتشاف القادة فى أى جماعة من الجماعات .

وهناك أسلوبان لممارسة طريقة الانتخاب :

أولهما أن يكلف أعضاء الجماعة مباشرة باختيار أى فرد من بينهم ــ دون تسمية سابقة ــ ليشغل مركزاً قيادياً فى الجماعة كأن يتكلم باسمهم فى اجتماع من الاجتماعات أو يعرض وجهة نظرهم بخصوص مشكلة من المشاكل .

بعد ذلك يتم اكتشاف القادة اعتماداً على عدد الأصوات التى يحصل عليها كل منهم ويعتبر ذلك معياراً فى مفاضلة الأفراد تبعاً لتمايز جهدهم القيادى معبرا عنه باستجابة أعضاء الجماعة لكل منهم .

والواقع أن هذا الأسلوب فى التطبيق هو الصورة غير الكاملة لطريقة الاختبار السوسيومترى التى سبق مناقشتها . ولكن فى هذا المجال يحسن أن نصف استخدام الاختبار السوسيومترى فى اكتشاف القادة .

فكما سبق أن علمنا أن الاختبار السوسيومترى يتكون من عدة مواقف سوسيومترية كل موقف له عدة شروط ومواصفات يجب أن تتوفر فيه .

وفى حالة تطبيق مثل هذا الاختبار لاكتشاف الزعماء يؤخذ فى الاعتبار الخطوات التالية :

١ ــ يصنف الباحث أنواع النشاطات المختلفة التى تقوم بها الجماعة فى حياتها اليومية . فإذا كانت جماعة مدرسية على سبيل المثال يأخذ المعلم فى حسابه أنواع النشاط المدرسى سواء داخل الفصل أو خارجه كمواقف المناقشة والتعبير والاشتراك

الفعال فى النشاط العلمى داخل الفصل . كذلك أنواع الأنشطة الأخرى مثل ممارسة الهوايات علمية كانت أو فنية أو رياضية وهكذا .

٢ — يقوم الباحث بعرض هذه الأنشطة على أعضاء الجماعة ويطلب منهم ترتيب هذه الأنشطة حسب أهميتها فى حياة الجماعة (وليس حسب تفضيلهم إياها) فعلى سبيل المثال قد يكون أحد أعضاء الجماعة المدرسية مشتركا فى هواية التحنيط ولكنه يرى أن هواية اللاسلكى أهم وأكثر فاعلية فى حياة الجماعة كجماعة مدرسية .

ثم يقوم الباحث بتحويل رتبة كل نوع من أنواع النشاط إلى درجة معيارية بحيث نعطى أعلى درجة لنوع النشاط ذى المرتبة الأولى .

٣ — بعد ذلك يقوم الباحث بتصفية هذه الأنشطة والمواقف بحيث يبقى على العشرة أنشطة الأهم على الأكثر (وعلى الأقل خمسة أنشطة) ويقوم بتصميم اختبار سوسيومترى بحيث يحتوى على عدد من المواقف يناظر هذه الأنشطة المختلفة .

٤ — يطبق الاختبار السوسيومترى على أعضاء الجماعة وتحسب بعد ذلك الدرجة السوسيومترية لكل فرد — كما سبق أن أوضحنا فى الباب الأول — بالنسبة لكل موقف سوسيومترى .

٥ — بعد ذلك نحسب درجة الانتخاب Selection Score بأن نضرب الدرجة المعيارية لكل نشاط (موقف سوسيومترى) × الدرجة السوسيومترية الحاصل عليها الفرد فى الموقف السوسيومترى .

ولتوضيح ذلك نأخذ المثال التالى :

انفرض أن جماعة مدرسية قامت بترتيب أنواع الأنشطة كما يلى :

هواية اللاسلكى — التمثيل — النحت — القراءة فى المكتبة — الموسيقى — التحنيط — الرسم — مجلس الجمعية التعاونية .

يأتي بعد ذلك أن نعطى مرتبة لكل نوع من أنواع النشاط السابقة بأن تكون الرتبة الأكبر للتفضيل الأول بأن تكون :

اللاسلكى	٨
التمثيل	٧
النحت	٦
القراءة	٥
الموسيقى	٤
التحنيط	٣
الرسم	٢
الجمعية التعاونية	١

ثم بعد ذلك تحول هذه الرتب إلى درجات معيارية كما سبق أن وصفنا ذلك فى مكان سابق .

يصمم بعد ذلك اختبار سوسيومترى يحتوى على ٨ مواقف سوسيومترية كل موقف يناظر نوعاً من أنواع النشاط الثمانية السابقة ويطبق هذا الاختبار على الجماعة ثم تحسب الدرجة السوسيومترية لكل فرد فى كل سؤال على حدة .

فإذا كان أحد أفراد المجموعة قد حصل فى الموقف السوسيومترى الذى يمثل نشاط « الموسيقى » درجة سوسيومتريه تساوى ٧ فإن هذا يعنى أن درجة الانتخاب بالنسبة إليه تساوى ٧ × الدرجة المعيارية المناظرة لـ ٤

وإذا كانت درجته السوسيومتريه فى « اللاسلكى » ٢ فإن درجة الانتخاب بالنسبة إليه تصبح مساوية لـ ٢ × الدرجة المعيارية المناظرية لـ ٨ وهكذا .

والواقع أن تكنيك درجات الترتيب والدرجات المعيارية وسيلة اقترحها المؤلف وقام بتجربتها والهدف منها إعطاء أوزان للمواقف السوسيومترية تكون مشتقة من اهتمام الجماعة بهذه المواقف .

٦ — تحسب درجة الانتخاب العامة لكل فرد وهى مجموع درجات الانتخاب فى المواقف السوسيومترية المختلفة وعلى أساسها تتم المقارنة أو المفاضلة بين أعضاء الجماعة من ناحية الجهد الزعامى الذى يبذله كل منهم .

وأما الأسلوب الثانى فى ممارسة عملية الانتخاب فهو أسلوب « اختبارى » أى يستخدم للتأكد من نتائج سابقة فى اكتشاف القادة عن أى طريق آخر ولو طريق « الالتقاط » أى عندما يتوسم المعلم أو الأخصائى الاجتماعى فى عدد من الأفراد ، القدرة على قيادة المجموعة .

وبذلك يقوم بعرض هذه الأسماء على الجماعة — كمرشحين للانتخاب — ويعرض بجانبهم أنواع النشاط المختلفة التى يمكن أن يقوم بها كل منهم . ويقوم بعد ذلك بمقارنتهم على أساس عدد الأصوات التى حصل عليها كل منهم .

ويعتبر هذا الأسلوب فى واقع الأمر نوعا من اختبار دقة المعلم أو الأخصائى فى « التقاط » القادة .

(ب) طريقة الاختبارات الخاصة :

يمكن أن نعتبر هذه الطريقة فى قياس ظاهرة الزعامة نوعا من إيجاد علاقة معينة بين مكونات هذه الظاهرة كما يتصورها الباحث أو كما يراها . إذ أن هذه الطريقة تقوم على افتراض أن القيادة دالة التفاعل بين عدة عناصر شخصية وموقفية .

وبمعنى آخر تعتمد الزعامة على التفاعل بين السمات الشخصية والعوامل الموقفية التى تحددها الجماعة .

وبطبيعة الحال يقوم الباحث بقياس عدة سمات وخصائص وعوامل وعلى أساسها يقرر أى أفراد الجماعة يستطيع أن يتولى موقع القيادة فيها بناء على نظرية سابقة يلتزم بها .

إلا أنه فى واقع الأمر لا يمكن أن ننتظر من هذه الطريقة أى نتيجة عملية لأنه على الرغم من صحة الأساس النظرى الذى قامت عليه إلا أنه لا يمكن قياس ظاهرة عملية بمجرد افتراض نظرى لا يمكن إخراجه إلى التطبيق العملى لأن الظاهرة تقاس أساساً بالمشاهدة والتجريب .

هذا إذا اعتمدنا تماما على هذه الطريقة فى قياس الزعامة . ولكن يمكن

الاستفادة من هذه الطريقة كمرحلة سابقة أو لاحقة لمرحلة أخرى من الملاحظة أو الانتخاب . وفى هذه الحالة تكون طريقة الاختبارات الخاصة طريقة مكملة لأساليب أخرى فى اكتشاف القادة أو الزعماء .

وتكون وظيفة هذه الطريقة هى مقارنة الزعماء وغيرهم بالنسبة لهذه السمات والعوامل الشخصية والموقفية .

وواضح أنه لابد من أن نلفت النظر هنا إلى الدقة المطلوبة فى تصميم أو اختيار هذه الاختبارات فلابد وأن تكون هذه الاختبارات صادقة وصحيحة وإذا كانت اختبارات خاصة بسمات الشخصية فلابد وأن يراعى أن تكون خالية تماماً من عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية حتى نتأكد من دقة نتائجها .

(حـ) طريقة الملاحظة :

طريقة الملاحظة العلمية المنظمة مع تسجيل التفاعل الإنسانى ثم تحليله وتفسيره تعتبر أفضل الطرق فى قياس وتقدير ظاهرة الزعامة .

وقد بذلت محاولات عديدة لتطوير أسلوب الملاحظة والتسجيل وكذلك لإيجاد أفضل الطرق الإحصائية لتحليل نتائجها ومحتواها .

والملاحظة هى المشاهدة المقصودة التى تعتمد على عدة افتراضات سابقة ويمكن أن يقوم بها الإنسان فى أى موقف من المواقف ليجمع فى تسجيل شامل دقائق ذلك الموقف ومكوناته .

والتسجيل فى أحسن صوره هو ما اتخذ صورة « النقل » أى يتم تدوين كل نوع من أنواع النشاط له صلة بظاهرة الزعامة سواء كان هذا النشاط نشاط عملى أى حركات يقوم بها الفرد أو نشاط لفظى أى حديث يتحدث به الفرد .

وفى هذا المجال أعرض بالتفصيل نوعين أساسيين من المواقف تحدث فيهما ملاحظة النشاط الزعامى . هذان النوعان هما المواقف العملية ومواقف المناقشة .

وعندما أتعرض لهذين النوعين يجب أن أصف أولا طريقة الملاحظة السليمة وثانيا كيفية تحليل نتائج الملاحظة .

فهناك عدة شروط يجب أن تتوفر فى عملية ملاحظة النشاط الزعامى فى الجماعة نلخصها فيما يلى :

١ — يجب أن يكون الملاحظ من الشخصيات المعروفة لأعضاء الجماعة أى يكون من المشتركين معهم فى حياتهم اليومية حتى يألف إليه أعضاء الجماعة ولايقومون بما يخفى سلوكهم الحقيق وانفعالاتهم المختلفة . مثل المعلم بالنسبة لتلاميذه أو الأخصائى الاجتماعى فى المؤسسة .

٢ — يجب أن يقوم الملاحظ بفترة من الملاحظة التمهيدية قبل إجراء الملاحظه الحقيقية وذلك ليتعرف عن قرب أنواع السلوك الدقيقة التى يبديها كل عضو من أعضاء الجماعة ليأخذ ذلك فى حسابه عند القيام بالملاحظة الحقيقية .

٣ — عندما يقوم الملاحظ بتدوين ملاحظاته يجب ألا يلفت إليه نظر أعضاء الجماعة حتى لا يتحرجوا من تسجيل أفعال أو أقوال تصدر عنهم فى هذه المواقف .

٤ — يجب أن تكون الملاحظة منتظمة بمعنى استمرارها فترة من الزمن تكون كافية لأن يتمكن الملاحظ من الإلمام بأنواع السلوك المختلفة التى تصدرها الجماعة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ليتأكد من تكرار بعض هذه الأنماط من السلوك .

٥ — يمكن للملاحظ أن يشترك مع الجماعة فى نشاطهم كأن يقوم المعلم بالاشتراك مع تلاميذه فى رياضة من الرياضات أو يقوم الأخصائى الاجتماعى بمرافقة الجماعة أثناء رحلة أو زيارة ويشترك معهم فيما يبدونه من ملاحظات . ولكن هناك بعض أنواع النشاط التى لا يجب أن يشترك فيها الملاحظ مثل أن تكون الجماعة فى سبيلها (للسطو) على خيمة جماعة أخرى كما يحدث كثيرا فى المعسكرات أو لدخول مخزن الأغذية للحصول منه على أكثر من الكميات المفروضة .

٦ — على الملاحظ أن يقوم بتدوين ملاحظاته بترتيب زمنى يوضح تسلسل الحوادث بحيث لايبذل مجهوداً كبيراً بعد ذلك عندإعادة قراءة التسجيل وتحليل محتوياته .

هذه هى الشروط الأساسية الواجب توافرها فى عمليـة الملاحظة من ناحية الشـكل . أما من ناحية الموضوع فلا بد لنا من أن نتعرض بالدراسة لـكيفية تحليل محتويات تسجيل الملاحظة .

وهنا كما سبق أن أوضحت يجب أن نتذكر أن هناك نوعين من المواقف يمكن ملاحظتها وتسجيلها ثم تحليل هذا التسجيل من أجل معرفة القادة أو اكتشافهم.

أول هذين النوعين هى المواقف العملية أو مواقف الأداء
Work Task Situations

وثانيهما مواقف المناقشة أو الحوار Discussion Situations .

وفى النوع الأول يكون التركيز واضحاً على التفاعل الأدائى Performance interaction بما يحتويه من عناصر ومكونات . وفى النوع الثانى يكون التركيز واضحاً على قنية أسلوب المناقشة والحوار .

وبطبيعة الحال لابد وأن يوجد لـكل من هذين النوعين من المواقف دليل لتحليل محتويات التسجيل .

المواقف العملية Work Task Situations :

حاول كارتر ونيكسون فى سنة ١٩٤٩ وضع دليل لتحليل محتوى الملاحظة فى المواقف العملية لاكتشاف القادة فى الحالات المختلفة .

وقد قام الباحثان بملاحظة أفراد الجماعات فى ثلاثة أنواع من المواقف هى : مواقف حل المشاكل العقلية أى التى تحتاج إلى مهارة عقلية معينة ومواقف الإدارة أى احتكاك أفراد الجماعة فى الأعمال الكتابية والإدارية .

وأخيراً المواقف الميكانيكية أى المواقف التى تحتاج إلى قدرة ميكانيكية وخاصة فى الحل والتركيب .

وقام الباحثان بتسجيل التفاعل العملى والتفاعل اللفظى بين أعضاء الجماعة ثم تم التحليل بناء على الدليل التالى :

عمل هام	٢ درجة
عمل مساعد	١ درجة
اقتراح هام	٢ درجة
اقتراح عادى	١ درجة

ثم جمعت أوزان كل نوع من الأنواع الأربعة على حدة كنسب مئوية من مجموع التفاعل الكلى وحولت بعد ذلك إلى مقياس مئوى يبدأ من الصفر وينتهى عند مائة .

ومما يجب أن نذكره أيضاً الاستنتاج الذى وصل إليه الباحثان بعد هذه التجربة وهو «أن الزعامة أو القيادة فى مواقف المشاكل العقلية والإدارية تتشابه أو تتقارب فى حين أن القيادة فى المواقف الميكانيكية تبدو بعيدة عن النوعين السابقين فى عناصرها ومقوماتها» .

ولنا ملاحظتان على طريقة القياس فى هذه التجربة هما .

١ — إن هذه الأنواع الأربعة التى استعان بها كارتر ونيكسون لتصنيف السلوك الإنسانى فى هذه المواقف من أجل قياس ظاهرة القيادة لا تغطى جميع أنماط السلوك والتفاعل فى مثل هذه المواقف فليست جميع دقائق السلوك البشرى هى عمل هام أو عمل مساعد وليست كذلك اقتراح هام أو اقتراح عادى .

ولذلك فإنه من المعتقد أن مثل هذه التجربة لم تصل إلى ما كانت يجب أن تصل إليه لأن أداة القياس التى استخدمت فيها أداة قاصرة .

٣ — لو افترضنا جدلا أن هذه الأنواع الأربعة يمكن استخدامها فى مثل هذه التجارب فإن إعطاء الأوزان أو الدرجات لهذه الأنواع بالصورة التى أعطاها كارتر ونيكسون تعتبر مغالطة علمية واضحة ، لأنه على سبيل المثال إذا كان الوزن الذى أعطى للعمل الهام هو ٢ . والعمل المساعد هو ١ فإن هذا يعنى أن كل

عملين مساعدين يساويان عملا هاماً . وذلك يقود بلا شك إلى نتائج غير صحيحة عند إجراء عملية التحليل .

وبناء على هاتين الملاحظتين قام المؤلف فى سنة ١٩٦١ باقتراح دليل لتحليل محتوى تسجيل تفاعل الجماعة أثناء المواقف العملية حيث تم تجريبه فى أكثر من موقف وثبت نجاح هذا الدليل .

ويمكن تلخيصه فيما يلى :

(ا) يظهر القائد أو الزعيم نشاطا ملحوظا — أى يفوق النشاط العادى — فى محاولة حل المشاكل التى يتضمنها الموقف . وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية :

١ — الأداء الابتكارى Original Performance :

وهو الأداء الأصيل الذى يقود مباشرة إلى حل المشكلة الموقفية بدرجة تشبع توقع بقية أفراد الجماعة.وذلك مثل إعادة تنظيم الموقف أو ترتيب عناصر مجال التفاعل أو إنشاء تركيب جديد يؤدى إلى الوصول إلى حل للمشكلة التى تعترض عمل المجموعة .

ومثال ذلك إعادة تركيب ماكينة أو آلة يصعب على الآخرين فهم وظيفتها أو استنتاج طريقة تشغيلها وذلك لأن تعمل . أو إزالة عقبة تقف فى سبيل إنتاج الجماعة بصورة تشبع توقع الآخرين .

٢ — الاقتراح الابتكارى Original Suggestion :

وهو الفكرة الأصيلة التى تقود بالضرورة إلى تغيير الأوضاع النسبية لعناصر الموقف كتقريب بعض أفراد الجماعة إلى مركز التفاعل أو إبعادهم عنه. وكذلك هو الفكرة التى تقود إلى إدخال عناصر جديدة إلى الموقف لتمثل حلا لايتوقعه أعضاء الجماعة ولكن يقبلونه كأحسن فكرة أو اقتراح .

ومثال ذلك اقتراح بتعديل روتين التفاعل وانتظامه داخل الجماعة لرفع إنتاجيتها وتحقيقها لأهدافها أو فكرة مبدعة تؤدى إلى تغيير واضح فى معدل التفاعل الاجتماعى بين أفراد المجموعة .

٣ — تنظيم الجماعة Organising the Group :

أى تقسيم العمل بين أفرادها بما يتفق وإمكانيات كل منهم . وهذا يتضح عندما يقوم الفرد بدور توزيع العمل وتقسيمه كأن يقول لأحد زملائه ، أنت تعمل كذا وهو سوف يقوم بعمل كذا ، ومثل هذه الملاحظات التى تعنى فهم الفرد لقدرات وطاقات الآخرين وتقديره لعناصر الموقف ومتطلباته .

٤ — إرشاد أعضاء الجماعة Group Guidance :

وهذا يعنى إرشاد الآخرين إلى كيفية القيام بعمل معين فى الموقف الأدائى . ويكون هذا الإرشاد أو التوجيه إما عمليا عن طريق التوضيح الفعلى أو لغويا عن طريق الشرح .

ومفروض بطبيعة الحال أن عضو الجماعة الذى يقوم بإرشاد عضو آخر أو بقية أعضاء الجماعة مفروض أنه أكثر تمرنا وأعلى فى قدرته الفنية ممن يقوم على إرشادهم وتوجيههم .

٥ — مراجعة تقدم الجماعة على الخطة الموضوعة

Checking Group Progress

ويقصد بهذا أن يقوم عضو الجماعة بمطابقة معدل إنتاج الجماعة فى لحظة معينة على خطة العمل الموضوعة وبذا يمكنه أن يحدد سرعة الجماعة فى الحركة نحو هدفها .

وهذا دليل على أن العضو الذى يقوم بهذا النوع من النشاط حريص بطبيعة سلوكه على أن تحقق الجماعة الهدف الذى تكونت من أجله .

(ب) يحاول القائد أو الزعيم أن يقوم بأداء الجزء الأكبر من محاولة حل المشاكل التى يتضمنها الموقف وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية :

١ — الأداء الفعال Major Performance :

وهو الأداء الذى تنقصه الفكرة الإبداعية الأصيلة ولكنه ضرورى لحل

المشكلة التى تعترض الموقف. كما يحتاج فى نفس الوقت إلى مهارة فنية معينة تكون على مستوى المشكلة وذلك مثل قدرة تشغيل آلة ميكانيكية دقيقة . وهذا يتطلب ولا شك التمرين الكافى على الموقف وفهمه والإلمام بعناصره .

٢ ــ الاقتراح الفعال Major Suggestion :

وهو الاقتراح الذى يقوم أساساً على الجرأة والإقدام وتنقصه أيضاً الفكرة الإبداعية أو الأصـــالة . ولكن تقديمه يساعد على تغير الأوضاع النسبية لعناصر الموقف .

وبمعنى آخر فإن الأداء الفعال والاقتراح الفعال نوعان من السلوك ينقصهما الإبداع والأصالة ولكن يميزهما الجرأة والإقدام .

٣ ــ المحاولة الهادفة Purposeful Attempt :

وهى المحاولة التى تهدف إلى غرض قد يؤدى إلى حل المشكلة الأساسية . وذلك مثل محاولة التغيير أو الإضافة فى المجال العام للموقف بهدف اختبار أثر هذا التغيير أو الإضافة على محتوى المشكلة .

٤ ــ الأفكار الجديدة Offering New Ideas :

وهى كل أداء أو اقتراح غير النوع الابتكارى الأصيل أو النوع الفعال . فالأسئلة العديدة أو الأعمال المساعدة الجانبية أو تسهيل حركة أعضاء الجماعة كل هذه يمكن اعتبارها فكرة جديدة .

(حـ) يحاول القائد أو الزعيم أن يجعل بقية أعضاء الجماعة يعملون كما يرغب هو أن يعملوا وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية :

١ ــ أن يوضح للجماعة عمليا أن فكرته أو اقتراحه هو الأحسن والأنسب وذلك بأن يقوم (بعرض مقارن) أمام أعضاء الجماعة لتوضيح ذلك .

٢ ــ أن يقنع أفراد الجماعة نظرياً أن فكرته أو اقتراحه هو الأحسن والأنسب وذلك بأن يقوم بمناقشة الاقتراحات المختلفة موضحا أهمية اقتراحه وفكرته وضرورة ذلك لحل المشكلة .

٣ — أن يقوم بإعادة أعمال الأعضاء الآخرين موضحاً نوعاً خاصاً من التخصص والمهارة وبذلك يلفت أنظار الآخرين إلى تفوقه عليهم فى دقته ومهارته .

٤ — أن يوجه النقد إلى المقترحات التى يقدمها الآخرون بهدف تعديلها أو رفضها .

٥ — أن يوجه التشجيع والتقدير إلى الأعضاء الذين يتفقون معه فى الرأى أو يتبعونه فى الأداء العملى وهذه دلالة على وجود حاسة تكوين الأتباع عند عضو الجماعة .

٦ — إعطاء الأوامر أو المعلومات .

مما سبق يتضح أن السلوك الزعامى فى أى موقف من المواقف العملية يمكن تحليله إلى ثلاثة أبعاد :

(ا) إظهار معدل من النشاط يفوق المعدل العادى بشكل ملحوظ وبدرجة أنه يمكن إعادة تحليله إلى مكونات وعناصر أخرى .

(ب) القيام بأداء أكبر قدر ممكن من النشاط الذى تبذله الجماعة نحو تحقيق هدفها وذلك يعتمد على قدرة الفرد ومهارته .

(حـ) محاولة (دفع) الآخرين لأن يتفاعلوا فى اتجاه رغبة الفرد الذى يسعى إلى مكان الزعامة فى الجماعة .

هذا بالنسبة لمواقف الأداء العملية ويبقى الآن النوع الثانى من المواقف وهو كما سبق أن أوضحنا مواقف المناقشة .

مواقف المناقشة Discussion Situations :

تعتبر مواقف الحوار أو المناقشة من المواقف الهامة فى اكتشاف القادة والزعماء لأن المهارة اللفظية بما فيها من عناصر عقلية ومنطقية وقدرة على المناورة والإقناع وتوضيح الفكرة وصياغة الاقتراح أو القرار يمكن أن تكون معياراً لا بأس به فى الكشف عن القادة .

ومن أهم الدراسات التى أجريت لبناء دليل لمحتوى تسجيل مواقف المناقشة دراسة (باس) فى سنة ١٩٥٤ حيث اقترح سبع نقاط يعتمد عليها فى مثل هذا التحليل وهى : [١]

١ ـ المبادأة .

٢ ـ القدرة التعبيرية المؤثرة .

٣ ـ القدرة على تحديد المشكلة .

٤ ـ إثارة الآخرين للاشتراك فى المناقشة .

٥ ـ التأثير على آراء الآخرين .

٦ ـ تقديم حلول جيدة للمشكلة .

٧ ـ قيادة المناقشة .

ثم عاد (باس) وأعطى لكل نوع من أنواع السلوك السبعة خمسة أوزان أو درجات حسب ما يقدره الملاحظ وذلك كما يلى :

قدر واضح	(من أى نوع من أنواع السلوك)			=	٤ درجات
قدر كبير	«	«	«	=	٣ درجات
إلى حد ما	«	«	«	=	٢ درجتان
إلى حد قليل	«	«	«	=	١ درجة واحدة
لاشىء على الإطلاق	«	«	«	=	صفر

وهنا لنا أيضاً ملاحظتان على الطريقة التى اقترحها باس سنة ١٩٥٤ هما :

١ ـ الملاحظة الأولى أن هذه النقاط السبعة يمكن أن تعتبر رءوس موضوعات وتحتاج بلا أدنى شك أو تفكير إلى كثير من التوضيح والتحليل حتى يستطيع من يقوم بالملاحظة أن يجد السبيل سهلا لعملية التقدير والتحليل فيما بعد . فعلى سبيل المثال كيف يثير عضو الجماعة الآخرين للاشتراك فى المناقشة؟ إذ يمكن أن تتعدد وتختلف الإجابات عن هذا السؤال وخاصة فى نوعيتها فقد تأتى هذه الإثارة

عن طريق التحريض أو فتح باب المناقشة أو التشجيع أو غير ذلك مما قد لايعتبر سلوكا زعاميا من الناحية الكيفية .

أو كيف يؤثر على آراء الآخرين ؟ أيضاً الإجابة تختلف من حالة إلى حالة فقد يكون التأثير عن طريق الإقناع وقد يكون التأثير عن طريق القهر وقد يكون التأثير عن طريق الاستعطاف . ولهذا فإننا لا نستطيع أن نضع جميع هذه الإجابات لسؤال واحد يبحث عن سلوك زعامى .

وهذه النقاط السبع أيضاً لا تمثل جميع أنماط سلوك الفرد أثناء موقف الحوار أو المناقشة ولذلك فإنه عندما تستخدم للتحليل سوف تترك كثيراً من نشاط الفرد الأمر الذى يقلل من الوثوق فى نتيجة مثل هذا التحليل .

٢ - الملاحظة الثانية أن الأوزان التى أعطيت لهذه الأنماط من السلوك اللفظى أو السلوك أثناء مواقف المناقشة تعود بالضرورة إلى نفس الحالة التى ذكرناها سابقاً عندما قام كارتر ونيكسون بنفس العمل . وهى أن هذه الأوزان لا تعنى شيئاً وبمعنى آخر كيف يمكن الباحث (باس) أن يفسر حصول أحد الأفراد على درجة تساوى ٥ فى أحد أنماط السلوك وحصول فرد آخر على درجة تساوى ٢٥ فى نفس النمط .

لو أراد باس أن يفسر ذلك على أن الفرد الأول يبذل نشاطاً يساوى ضعف ما يبذله الفرد الثانى لكان الخطأ واضحاً لأنه لايمكن أن نفترض استمرار هذه الأوزان من الناحية الإحصائية .

ولذلك فإن المؤلف اقترح دليلا لتحليل محتوى تسجيل مواقف المناقشة وقام بتجربته وثبتت كفاءته .

ويمكن وصف هذا الدليل فيما يلى :

(ا) يؤثر القائد أو الزعيم على الاتجاه العام للمناقشة وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية :

١ - فتح باب المناقشة . أى المبادأة فى الحديث وتهيئة الجو للآخرين

للبدء فى مناقشة الموضوع المطروح للمناقشة وذلك عن طريق الدعوة الضمنية من جانب الفرد .

٢ — تقديم الاقتراحات التى تغير من بعض بنود المناقشة بصورة واضحة . بمعنى أن يتغير اتجاه المناقشة بعد تقديم أى اقتراح من هذا النوع .

٣ — الموافقة أو عدم الموافقة تغير بنود المناقشة . ونعنى بهذا أن موافقة الفرد أو عدمها تؤثر على اتجاه المناقشة وهذا دلالة على المكانة الاجتماعية التى يتمتع بها الفرد بين أعضاء الجماعة ومدى تقديرهم لرأيه وقراراته .

(ب) يؤثر القائد أو الزعيم على القرار النهائى للجموعة وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية :

١ — تقديم اقتراح ينهى جزءا من المناقشة . ونعنى بذلك كل اقتراح يقدم وتتفق عليه آراء المجموعة فى مراحل المناقشة .

٢ — تقديم القرار فى صورة اقتراح . وذلك يدل على المهارة التى يتمتع بها عضو الجماعة فى إدارة وتوجيه المناقشة إذ أن الاقتراح الذى يتحول إلى قرار نهائى يدل على أن مقدم هذا الاقتراح ملم تمام الإلمام بدقائق واتجاهات المناقشة منذ بدايتها .

٣ — الموافقة أو الرفض تؤثر على الوصول إلى القرار النهائى . أى أن موافقة عضو الجماعة أو رفضه لقرار معين تؤثر إلى حد كبير على الوصول إلى القرار النهائى للجموعة وذلك يدل بوضوح على المكانة الزعامية التى يحتلها العضو بين أعضاء الجماعة .

(ح) يأخذ القائد أو الزعيم دورا فعالا فى المناقشة وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية :

١ — تقديم أفكار ومقترحات جديدة . وبمعنى آخر أن يكون لدى العضو اهتمام غير عادى بالاشتراك بالمناقشة والإسهام فيها .

٢ ــ الموافقة الإيجابية أو الرفض الإيجابي لمقترحات الاخرين. ونعني بذلك أن يكون للفرد القدرة على أن يلتحم بآرائه مع آراء الاخرين سواء بالقبول أو الرفض .

٣ ــ التعليق على آراء الآخرين . لأن التعليق بالمناقشة والتحليل يعنى اتصال الفرد بمجال التفاعل اللفظى بين أعضاء الجماعة .

يتضح مما سبق أن دليل تحليل محتويات تسجيل التفاعل اللفظى اعتمد فى أساسه على أبعاد ثلاثة هى :

(ا) توجيه الاتجاه العام للمناقشة .
(ب) التأثير على القرار النهائى للجماعة .
(حـ) الاشتراك بفاعلية فى المناقشة .

بهذا نلاحظ أن منهجى التحليل فى المواقف العملية ومواقف المناقشة يمكن الاستعانة بهما فى انتقاء القادة أو اكتشافهم دون إعطاء أوزان دقيقة لكل نوع من أنواع السلوك بحيث نفترض استمرار ظاهرة التفاعل من الناحية الإحصائية وهذا ما لا يمكن تأكيده بطبيعة الحال .

ولكن يمكن الاستعانة بفكرة تكرار نمط معين السلوك فعلى سبيل المثال تحسب لكل فرد ــ عند إجراء عملية التحليل ــ عدد وأنواع السلوك التى قام بها فى الموقف المحدد ثم يقارن الأفراد بعضهم ببعض باعتبار تكرار نمط السلوك (بأنواعه المختلفة) هو المميز بين كل منهم .

وكذلك أن كل من يشترك فى الموقف عملياً كان أم موقف مناقشة يدل ذلك على أنه قام بجهد زعامى .

وفى واقع الأمر أن النظرية التى يعتمد عليها كل من هذين المنهجين فى التحليل تعتبر أن عملية الزعامة هى كل جهد يبذل من أعضاء الجماعة لإضافة أو تعديل أو إبدال فى عناصر المجال الاجتماعى لها فى طريق حركتها نحو الهدف العام .

ولذلك لم يفترض كل من هذين الدليلين أو المنهجين أن هناك زعيما يدفع

لجماعة أمامه أو يجذبها وراءه ولكن جميع أفراد الجماعة يشتركون فى عملية الزعامة وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل فى مكان آخر .

وأخيراً فإنه كما سبق أن قدمت فإن عملية الملاحظة العلمية إذا توفر لها أسباب الدقة فى التسجيل والتحليل فإنها تصبح ولا شك أفضل الطرق لاكتشاف القادة فى المواقف المختلفة .

ونعرض فيما يلى تجربة قام بها المؤلف (١٩٥٩) لاكتشاف القادة والتعرف على العلاقة بين الخصائص الشخصية لهم وبين العناصر الموقفية التى تتحكم فى التفاعل الإنسانى إلى حد كبير .

تجربة المؤلف :

قام المؤلف بهذه التجربة كمحاولة لإيجاد علاقة من نوع ما بين الخصائص الشخصية للقادة وبين عناصر الموقف الذى يتم فيه التفاعل فتبدو ظاهرة القيادة .

وكانت الوسيلة الأساسية فى هذه التجربة هى أسلوب الملاحظة الذى سبق وصفه وكذلك تم الإستعانة بالدليلين السابقين فى عملية تحليل محتوى التسجيل فى المواقف العملية ومواقف المناقشة .

وفى واقع الأمر أن الأساس النظرى لهذه التجربة يحدد موقفها من دراسات كثيرة سابقة . فقد تبنى المؤلف النظرية التى تعترف بظاهرة الزعامة أو القيادة كظاهرة سلوكية تعنى أنها تفاعل بين أفراد الجماعة ــ بقصد إعادة ترتيب عناصر المجال الاجتماعى تأكيدا لحركة الجماعة نحو الهدف الذى أقيمت من أجله .

وهذا يعنى أن كل فرد يمكن أن يقود أو يشترك فى عملية القيادة بقدر ما تؤهله له قدراته وإمكانياته .

وقام المؤلف بقياس تسع متغيرات بعضها شخصى وبعضها موقفى وكانت كما يلى :

١ ــ الذكاء أو القدرة الفطرية العامة حيث تم قياسه بواسطة اختبار لفظى مقنن .

٢ ــ القدرة اللغوية وخاصة السيولة اللفظية وقد قيس هذا العامل باختبار مقنن.

٣ ــ الثبات العاطفى وقد تم قياسه باختبار صمم خصيصاً لهذا الغرض .

٤ ــ الميل إلى التسلط والسيطرة « « « « « «

٥ ــ القدرة على التحبب الآخرين وقد تم قياس ذلك بواسطة الاختبار السوسيومترى (الدرجة السوسيومترية) .

٦ ــ القدرة على تحمل المسئولية وقيست بواسطة اختبار صمم خصيصاً لهذا الغرض .

٧ ــ القدرة الاجتماعية وقيست بواسطة اختبار صمم خصيصاً لهذا الغرض.

٨ ــ القدرة على التعاون مع الآخرين وقيست بواسطة اختبار صمم خصيصاً لهذا الغرض .

٩ ــ القدرة الفنية (التكنيكية) وقيست بواسطة اختبار صمم خصيصاً لهذا الغرض .

بعد إتمام عملية القياس أجريت الملاحظة المنظمة بشروطها السابقة حيث قام المؤلف بإجراء ملاحظة تمهيدية على حوالى (٤٠) أربعين مجموعة فى مواقف عملية وفى مواقف مناقشة واستمرت هذه الملاحظة التمهيدية حوالى أسبوعين .

بعد ذلك بدأت مرحلة الملاحظة الأساسية والتى استمرت أكثر من عشرة أسابيع حيث تم تسجيل نشاط كل جماعة من الجماعات فى أكثر من لقاء .

وقد كانت المواقف العملية هى : أعمال النجارة ــ الحدادة ــ الطباعة ــ تجليد الكتب ــ السمكرة ــ فن تنسيق الحدائق .

وجميع هذه المواقف أو الأنشطة تحتاج إلى عمل جماعى .

وأما مواقف المناقشة فهى الاجتماعات الأسبوعية التى يعقدها كل فصل دراسى لمناقشة مشاكله والاستماع إلى بعض التقارير .

وفى كلا النوعين تم تطبيق دليل التحليل المناظر وبناء على ذلك تم تعيين القادة.

بعد ذلك قورن القادة — أو الذين أحرزوا درجات متفوقة فى أنماط السلوك الزعامى — مع بقية أفراد الجماعة .

وقد حصل المؤلف على النتائج التالية :

١ — مقارنة القادة بغيرهم من حيث أنماط السلوك :

نوع السلوك	متوسط القادة	متوسط بقية أفراد الجماعة	قيمة دلالة الفرق
إعطاء الأوامر	٢ر٣	ر ٨	٣ر٥٦
الانتقادات	١ر١	ر ٣	٢ر—
الأداء الفعال	ر٧	ر ١	٣ر٥٣
تنظيم الجماعة	ر٤	ر٠٧	٢ر٣٥
إرشاد الجماعة	ر٣	ر٠٧	١ر٦٤
أفكار جديدة	ر٣	ر ٢	ر٥٩
أداء ابتكارى	ر٢	—	٢ر—
مراجعة النتائج مع الخطة	ر٢	—	٢ر—
اقتراح فعال	ر٢	ر ٧	ر ٩٣
إعطاء معلومات	ر٢	ر٢	—
محاولة هادفة	ر١	—	١ر—
إعادة أعمال الآخرين	ر١	—	١ر—

بذلك يتضح أن القادة تفوقوا على غيرهم فى أنماط السلوك التالية :

١ — إعطاء الأوامر .

٢ — الأداء الابتكارى .

٣ — الأداء الفعال .

٤ — مراجعة النتائج على الخطة .

٥ — تنظيم المجموعة وتوزيع العمل .

٦ — نقد أعمال الآخرين .

٧ — إرشاد أعضاء الجماعة .

ذلك فيما يخص المواقف العملية وأما عن مواقف المناقشة فقد وجد أن القادة يتفوقون على أعضاء الجماعة فى الأنماط الآتية :

١ — تقديم القرارات فى صورة اقتراحات .

٢ — فتح باب المناقشة .

٣ — تقديم مقترحات جديدة .

٤ — تقديم الاقتراح الذى ينهى المناقشة .

٥ — تقديم الاقتراح الذى يغير من اتجاه المناقشة .

٢ — مقارنة القادة بغيرهم من حيث الخصائص التسعة :

الخاصـــة	متوسط القادة	متوسط الآخرين	دلالة الفرق
الذكاء العام	٩٩ر٣٣	٩٤ر٠٥	٢ر٠٢ ← ر٠٥
القدرة اللغوية	٩٥ر٠٠	٩٣ر٣٥	— غير واضحة
الميل إلى التسلط والسيطرة	٥ر٣	٦ر٠٢	— غير واضحة
الثبات الانفعالى	١٥ر٦	١٧ر٥٥	— غير واضحة
القدرة على التعاون	٩ر٥	٦ر٦	٤ر٧٤ ← ر٠١
القدرة على تحمل المسئولية	١٢ر٠٦	٨ر٥٦	٤ر٤١ ← ر٠١
القدرة الاجتماعية	١٠ر٥٥	٧ر٣٨	٣ر٤٦ ← ر٠١
القدرة على اجتذاب الآخرين	٦١ر٥	٤٢ر —	٢ر١١ ← ر٠٥
القدرة التكنيكية	٧١ر٢	٥٩ر٠٣	٤ر٠٤ ← ر٠١

من هذا الجدول يتضح أن القادة أو الزعماء قد تفوقوا على غيرهم من بقية أعضاء المجموعة فى ست نواح هى :

١ — الذكاء العام .

٢ ــ القدرة على التعاون مع الآخرين .

٣ ــ القدرة على تحمل المسئولية .

٤ ــ القدرة الاجتماعية .

٥ ــ القدرة على اجتذاب حب الآخرين .

٦ ــ القدرة التكنيكية .

وأما الخصائص الثلاث الأخرى فلم يوجد فرق واضح إحصائيا بين بين القادة وغيرهم .

٣ ــ إيجاد العلاقة بين عناصر الموقف الزعامى :

من النتائج السابقة نجد أن هناك ست خصائص أو عناصر تميز بين القادة وغيرهم من أعضاء الجماعة . وقد اعتبر الباحث أن هذه الخصائص الستة تمثل عناصر الموقف الزعامى أو بمعنى آخر أن التفاعل الذى يتم بين هذه العناصر يؤدى إلى وضوح ظاهرة الزعامة فى الموقف .

ولذلك فقد تمت مقارنة القادة بغيرهم ممن حصلوا على نفس الدرجة فى أحد هذه العناصر وذلك بالنسبة للخصائص الخمسة الأخرى .

ولتوضيح ذلك فقد قورن القادة بغيرهم الذين حصلوا على نفس درجات الذكاء (أى الفرد بين متوسط القادة ومتوسط الآخرين = صفر) من حيث القدرة على التعاون والقدرة على تحمل المسئولية والقدرة الاجتماعية والقدرة على اجتذاب حب الآخرين والقدرة التكنيكية .

أو بمعنى آخر تم تثبيت درجة الذكاء ودرست العلاقة بينها وبين الخصائص الخمسة الأخرى .

ثم تم تثبيت القدرة على التعاون ودرست العلاقة بينها وبين الخصائص الخمسة الأخرى كذلك .

وهكذا بالنسبة للخصائص الستة التى ميزت بين القادة وغيرهم .

ويمكن تلخيص النتائج فى الجدول التالى :

العناصر الثابتة

العناصر المتغيرة

	الذكاء	التعاون	القدرة الاجتماعية	القدرة التكنيكية	إجتذاب حب الآخرين	تحمل المسئولية
الذكاء	—	صفر ×	٢٩ر ×	١ر٠٨ ×	٦١ر ×	١١ر ×
التعاون	٤ر٤٢ (٠١ر)	—	٢ر٨٧ (٠١ر)	٤ر٠٥ (٠١ر)	٢ر٦٣ (٠١ر)	١ر٩٧ ×
القدرة الاجتماعية	٣ر٥٤ (٠١ر)	٩٥ر ×	—	٣ر٥٠ (٠١ر)	٢ر٨١ (٠١ر)	١ر٨٢ ×
القدرة التكنيكية	٣ر١٤ (٠١ر)	٢ر٧٣ (٠١ر)	٣ر٨٧ (٠١ر)	—	٢ر٨١ (٠١ر)	٢ر٣١ (٠٥ر)
إجتذاب حب الآخرين	٢ر٩٧ (٠١ر)	١ر٨٤ ×	١ر٧٨ ×	٢ر٧٩ (٠١ر)	—	٢ر٥٤ (٠٥ر)
تحمل المسئولية	٣ر٢٩ (٠١ر)	٢ر٤٧ (٠٥ر)	٣ر١٠ (٠١ر)	٣ر٢٥ (٠١ر)	٤ر٠٨ (٠١ر)	—

توضيح : الأرقام الموجودة داخل الجدول تمثل قيمة دلالة الفرق بين متوسط القادة وغيرهم عند تثبيت العنصر المناظر . وتدل (٠١ر أو ٠٥ر أو ×) على وضوح هذه الدلالة إحصائياً . (٠١ر ، ٠٥ر واضحة ، × غير واضحة) .

فعلى سبيل المثال عند تثبيت درجة الذكاء نجد أن القدرة على التعاون والقدرة الاجتماعية والقدرة التكنيكية واجتذاب حب الآخرين وتحمل المسئولية مازالت قادرة على التمييز بين القادة وغيرهم .

فى حين أنه عند تثبيت التعاون لا يستطيع التمييز بين القادة وغيرهم سوى القدرة التكنيكية والقدرة على تحمل المسئولية .

وعلى أى حال يمكن تلخيص الجدول السابق كما يلى :

١ — عند تثبيت درجة الذكاء تستطيع العناصر الخمسة الأخرى التمييز بين القادة وغيرهم فى المواقف الاجتماعية بنوعيها .

٢ — عند تثبيت درجة القدرة على التعاون مع الآخرين نجد أن القدرة على تحمل المسئولية والقدرة التكنيكية هما الخاصتان الوحيدتان اللتان يمكن أن تميز بين القادة وغيرهم وأما الثلاثة الباقية فقد اختفى أثرها .

٣ — عند تثبيت القدرة الاجتماعية نجد أن العناصر الواضحة فى التمييز بين القادة وغيرهم هى : القدرة على التعاون — القدرة التكنيكية — القدرة على تحمل المسئولية .

٤ — عند تثبيت القدرة التكنيكية نجد أن العناصر الواضحة فى التمييز بين القادة وغيرهم هى : القدرة على التعاون مع الآخرين — القدرة الاجتماعية — القدرة على اجتذاب حب الآخرين — القدرة الاجتماعية .

٥ — عند تثبيت القدرة على اجتذاب حب الآخرين نجد أن العناصر الواضحة فى التمييز بين القادة وغيرهم هى : القدرة على التعاون — القدرة الاجتماعية — القدرة التكنيكية — القدرة على تحمل المسئولية .

٦ — عند تثبيت القدرة على تحمل المسئولية لم يظهر غير عنصرين فقط هما القدرة التكنيكية والقدرة على اجتذاب حب الآخرين .

وبذلك نستنتج ما يلى :

١ — القدرة على تحمل المسئولية والقدرة على التعاون مع الآخرين هما : أكثر العناصر قابلية للتفاعل مع مكونات الموقف الاجتماعى لإظهار القائد أو الزعيم ويمكن تسميتها العناصر المتفاعلة Reactant elements .

٢ — القدرة الاجتماعية والقدرة التكنيكية والقدرة على اجتذاب حب الآخرين تأتى فى المكان المتوسط بين العنصر المتفاعل والعامل المساعد .

٣ — يعتبر الذكاء بصورة قاطعة العامل المساعد الضرورى لإتمام تفاعل العناصر السابقة حتى يمكن الحصول على صورة ما من السلوك الزعامى فى الموقف الاجتماعى Catalytic element .

القيادة الجماعية :

مما لا شك فيه أن نظرية القيادة الجماعية تعتبر أهم نتاج للفكر الاشتراكى فى المجال الاجتماعى . وقبل أن نناقش هذه النظرية بالتفصيل ونتعرض للخصائص والعمليات التى يتعلق بها أحب أن أتعرض لنقطتين أساسيتين يجب الإشارة إليهما فى هذا المجال :

أولا : أن القيادة الديمقراطية التى ناقشتها جميع البحوث والمؤلفات حتى السنوات المتأخرة ليست هى القيادة الجماعية .

حقيقة أن القيادة الديمقراطية — من الوجهة النظرية — تفترض حرية حركة تفاعل أفراد الجماعة كما تفترض أيضاً وجود القائد أو الزعيم ، الذى يمتلك الشخصية التى تزكى الحماس فى نفوس التابعين وتؤكد الإقناع فى عقولهم وذلك لفترة معينة من الزمن وتحت ظروف معينة من التفاعل الاجتماعى حتى يتجهوا وجهة معينة من التفكير أو الأداء أو كليهما معاً .

وبذلك يتضح أن نظرية القيادة الديموقراطية تعترف بثنائية المجموعة أى أن هناك قائدا له من الصفات والخصائص ماليس لغيره من بقية أعضاء الجماعه وهذه الصفات والخصائص شخصية . وهناك تابعون أو أعضاء عاديون من بقية أفراد المجموعة .

كما تعترف نظرية القيادة الديمقراطية أيضاً بحرية تفاعل الأفراد من عمل أو مناقشة ولهم الحق فى اتخاذ القرار الذى يجدونه مناسباً لنشاطهم ولكن هذا يتم فى وجود الزعيم الذى يقود المجموعة إلى هدفها العام .

أما القيادة الجماعية فلها نظرية تعترف بجميع الأفراد كقادة وزعماء وتعترف بهم أيضاً كتابعين وفى نفس الوقت . أى تعترف بثنائية الوظيفة وليس بثنائية الخصائص.

وفى واقع الأمر أن نظرية القيادة الجماعية — وهى كما قدمت من نتاج الفكر الاشتراكى — ما زالت داخل المحتوى السياسى ولم تحول أو تطوع بعد لتدخل ضمن إطار العلوم السلوكية .

وبذلك سوف أحاول فيما بعد أن أناقش هذه النظرية من وجهة نظر علم النفس حتى تبدو الصورة أوضح عندما نضع أسلوب القيادة الجماعية موضع المقارنة مع القيادة الأوتوقرطرية والقيادة الديموقراطية .

ثانياً : أن هناك خطأ شائعاً لايعادل فى نظرى إلا الخطأ الذى وقع فيه بعض العلماء عند حفر قناة السويس عندما تصوروا اختلافاً فى مستوى سطح الماء فى البحرين الأبيض والأحمر وبذلك لم ينتبهوا إلى قاعدة بسيطة يتعلمها الأطفال فى بداية عهدهم بالعلوم وهى قاعدة الأوانى المستطرقة .

وهذا الخطأ الشائع هو تقسيم أساليب القيادة إلى ثلاثه أنواع هى :

(أ) القيادة الأوتوقراطية .

(ب) القيادة الديمقراطية .

(ح) القيادة الفوضية أو المنطلقة Laissez Fair .

وبطبيعة الحال فإنه لاغبار على النوعين الأول والثانى ولكن الخطأ كل الخطأ فى النوع الثالث حيث أنه من أولى مبادىء علم النفس الاجتماعى أن القيادة لا تحدث إلا فى جماعة منظمة متعضية أى فيها تمايز فى الأوضاع الاجتماعية للأفراد وتهدف إلى غرض مرغوب فيه من جانب أعضائها .

ومن المنطق بطبيعة الحال أن أسلوب قيادة فوضوية لن يكون له وضع فى جماعة منظمة . كما وأنه لن تظهر قيادة على الإطلاق فى جماعة غير منظمة .

وقد يقول البعض أن القائد هو قائد منطلق بمعنى أنه يترك جميع أعضاء الجماعة يتفاعلون كما يشاءون دون أن يشترك فى هذا التفاعل أو يتدخل فيه علماً بأن الجماعة منظمة ومتعضية .

ولكن الرد على هذا بسيط — اعتماداً على أساسيات علم النفس الاجتماعى — فإن الفرد الذى لايشترك فى نشاط الجماعة وتفاعلها فهو ليس عضواً فيها فالجماعة ليست مجموعة أفراد بل هى علاقات وتفاعل بين هؤلاء الأفراد وبالتالى يصبح هذا « القائد المنطلق أو الفوضوى » ليس بفرد فى الجماعة وبالتالى ليس قائداً من أى نوع .

ويقول بعض المؤلفين (سنة ١٩٦٦) عند مناقشة تقسيم القيادة . وبالتالى يعترفون بهذا التقسيم « القادة المنطلقون Laissez Fair : هذا القائد لا يقود ، ويترك الجماعة لنفسها كلية ولا يشارك فيها » .

أولا : كيف لايقود ثم يسمى قائداً ؟

وثانياً : عندما لايشارك فى الجماعة فكيف يحسب عليها كعضو فيها؟ فما بالك بقائد لها ؟

واضح بلا أدنى شك أن هناك خطأ علمى ومغالطة منطقية فى كل دراسة أو بحث أخذ فى اعتباره مثل هذا النوع من « القيادة » .

إن الجماعة لا تحدها الحدود المكانية فقط بل لابد من نوع من التفاعل والعلاقة لإنشاء شبكة من من العلاقات البشرية تكون هى أساس نسيج الجماعة وتكوينها . ولذلك فإن الفرد الذى لا يسهم فى هذا التفاعل ولايدخل ضمن قوى الجذب أو التنافر فى هذه الشبكة رغم وجوده فى الحيز المكانى للجماعة فإنه يعيش على هامشها وبالتالى لا يمكن بأى منطق — غير منطق المغالطة — أن يكون قائدا للجماعة .

وبطبيعة الحال أيضاً فإن الجماعة المتفاعلة النشطة التى تترك لنفسها دون تدخل بما يسمى « بالقائد المنطلق » أو «الفوضوى» سوف يظهر فيها زعيم حقيقى يقودها إلى الهدف المطلوب تحقيقه .

بناء على ما سبق فلن أعترف بغير النوعين الأول والثانى أما النوع الثالث فلا وجود له إلا فى مخيلة من ابتدعه .

نعود الآن إلى موضوعنا الأصلى وهو مناقشة نظرية القيادة الجماعية . وكما سبق أن قدمنا أن هذه المناقشة تتم عندما نقوم بنوع من المقارنة أو الموازنة بين ما يسمى بالقيادة الأتوقراطية والقيادة الديموقراطية والقيادة الجماعية .

قلنا أن القيادة الجماعية ما زالت فى المحتوى السياسى وأنها لم تناقش بعد ضمن إطار العلوم السلوكية . وحقيقة الأمر أن البحوث والدراسات فى ميدان الزعامة أو القيادة عموماً يمكن مقارنتها بالنظم السياسية المختلفة التى عرفتها المجتمعات الإنسانية .

ففى مرحلة الفكر الإقطاعى عندما سادت فكرة الأمير المسيطر صاحب السلطة المطلقة والذى يملك الأرض وما عليها نجد أن هذه الآثار امتدت بصورة أو بأخرى إلى نوعيات الدراسات فى ميدان الزعامة .

فقيل أن الزعامة خاصة فردية أى أنه يمكن لفرد واحد فى موقف واحد أو فى مواقف متعددة أن يفرض نفسه كزعيم ويملى إرادته على مجموعة من الآخرين الذين يستلهمون قوتهم وقدرتهم على مجابهة الأحداث من شخصية هذا الزعيم الفرد

وقيل أيضاً أن الزعامة قدرة طبيعية يستطيع من خلالها الزعيم أن يؤثر على الآخرين فيقومون بما يرغب فيه من أعمال .

وبهذا فقد عرف الزعيم على أنه الشخصية التي يمكنها أن تؤثر على شخصيات الآخرين تأثيرا مبنيا على الإرادة والشعور والبصيرة والسيطرة والتوجيه .

ومن الطريف أن الدراسات التي اتخذت اتجاه هذا التعريف أو ماهو قريب منه نجدها تحدد صفات وخصائص الزعيم كما يلي :

الكفاءة البدنية الممتازة .

الذكاء الخارق .

المنظر الجذاب .

ارتداء الملابس الثمينة .

قراءة الكتب النادرة (غير المتبادلة) .

الاتزان العاطفي .

الجرأة المتصفة بالحدة .

الطلاقة في التعبير .

الإنتماء إلى أسرة عريقة .

ومن هذا يستطيع الدارس أن يتلمس مدى تأثر مثل هذه الدراسات بفكرة الأمير المسيطر .

حقيقية كان هناك تجريب ومقارنة ولكن المعيار أو المحك الذي على أساسه يختار الباحث عينته من القادة ليقارنهم بغيرهم كان بلا شك يتأثر بالنظام العام السائد .

هذا النوع من القيادة يسمى بالقيادة الأوتوقراطية أو الديكتاتورية .

وتطور بعد ذلك الإقطاع إلى النظام الرأسمالي بطريقة قد لا يكون المجال في هذا الكتاب متسعاً لشرحها ووصفها .

فلم يكن الأفراد — كما هو واضح — فى ظل نظام الإقطاع أى كيان أو وزن بالنسبة للأمير الذى يملك كل شىء ولكن فى ظل الرأسمالية تم الاعتراف بكيان الأفراد ولكن ليس كأفراد لهم حرية الإرادة والتوجيه (أقصد عامة الأفراد) بل كأدوات يمكن استغلالها والانتفاع بها وتوجيهها الوجهة المطلوبة سياسياً أو اقتصادياً أو كليهما معاً .

وبطبيعة الحال فإن هذا يتطلب أسلوباً سلساً ليناً فى عملية التوجيه حتى يختلف عن أسلوب التوجيه الذى تتبناه القيادة الأوتوقراطية .

ولذلك فقد وضح دور التابعين فى تبعية الزعيم أو القائد ولكن ليس فى عملية القيادة ذاتها .

فقيل أن الزعامة نشاط يؤثر على مجموعة الأفراد فيدفعهم إلى القيام بعمل يشعرون أنهم يرغبون فيه كاتخاذ القرارات مثلا أو الموافقة أو الرفض بالنسبة لموقف ما ولكن فى حقيقة الأمر هناك نشاط — من نوع ما — يؤثر على هذه المجموعة من الأفراد فيدفعهم إلى القيام بهذا النوع من العمل .

وقيل أيضاً أن الزعامة ضغط يبذله أحد أفراد المجموعة لإقناع بقية الأفراد وترغيبهم من أجل التعاون لتحقيق هدف معين .

وبذلك فقد عرف الزعيم على أنه الشخصية التى تمتلك القدرة لتزكى الحماس فى نفوس التابعين وتؤكد الإقناع فى عقولهم وذلك لفترة معينة من الزمن وتحت ظروف معينة من التفاعل الاجتماعى حتى يتجها وجهة معينة من التفكير أو الأداء أو كليهما معاً .

وكذلك فإننا نرى الدراسات التى اتخذت اتجاه هذا التعريف أو ما هو قريب منه تحدد خصائص الزعيم كما يلى :

الذكاء الاجتماعى .
الاعتماد على النفس .
القدرة الاجتماعية .

القدرة على انتهاز الفرصة .
الانتماء إلى طبقة اقتصادية عالية .
الحذر والحيطة فى المواقف المختلفة .
القدرة على التكيف وتعديل الأسلوب .
الطلاقة التعبيرية .

ومن هذه الصفات والخصائص يستطيع الدارس أن يدرك بسهولة مدى تأثر هذا النوع من الدراسات بسمات الفردية فى النظام الرأسمالى : فكرة رأس المال الذكى الذى يسعى إلى التوسع فى الحجم والكمية ولو على حساب الآخرين وإن كان الأمر دائماً كذلك .

هذا النوع من القيادة هو ما سمى ويسمى حتى الآن بالقيادة الديموقراطية : الأفراد الذين يقومون بدور التابعين دائما يناقشون الأمر بحرية مطلقة مع ضرورة وجود الزعيم الذى يزكى فيهم الحماس والرغبة للمناقشة واتخاذ القرارات وفى نفس الوقت يقوم بتوجيههم بما لديه من (شخصية مؤثرة) إلى القرار الذى يرغب هو نفسه فى اتخاذه .

شأن ذلك فى نظرى شأن عضو المجتمع فى ظل نظام رأسمالى له بطبيعة الحال حق الاختيار بين شراء سلعة أو أخرى كما له أن يفاضل بينهما ما شاء له الله أن يفاضل ولكن عندما يأتى لأن يتخذ قرار الشراء يتحكم فيه السعر الذى قرره من قبل صاحب رأس المال . فيدفع الفرد لأن يقرر ما يريده هو لا ما يريده الفرد.

وعلى أية حال فإن هناك من الناحية السلوكية مظهر مشترك بين النوعين السابقين من القيادة : الأوتوقراطية والديمقراطية . وهذا المظهر هو أن هناك ثنائية فى الجماعة بمعنى وجود قائد يصدر التعليمات أو يزكى الحماس ويؤكد الإقناع ووجود تابعين لتلقى هذه التعليمات أو لينزعوا إلى سلوك مطلوب نتيجة للحماس والإقناع .

وبمعنى آخر هناك ثنائية فى الخصائص يتبعها ثنائية فى الأداء والتفاعل .

بعد ذلك بدأ الفكر الاشتراكى ينمو ويتطور وراحت الفلسفة الاشتراكية تجتاح المجتمعات عموما وتنبه الفرد نتيجة لذلك إلى أهمية دوره فى صنع مقدرات المجتمع الذى يعيش فيه . ونبت مع الفكر الاشتراكى مجموعة من المبادىء والقيم والمفاهيم إلا أن أهم نتاج لهذا الفكر فى حقل الدراسات الإنسانية هو فكرة القيادة الجماعية أو اشتراكية القيادة .

فقيل أن الزعامة هى كل جهد يبذل لإضافة أو تعديل أو إبدال فى عناصر المجال الاجتماعى للجماعة أثناء حركتها نحو أهدافها .

وقيل كذلك أن القيادة خاصة سلوكية وليست خاصة شخصية وهذه الخاصة السلوكية يمكن أن تنتقل من فرد إلى آخر وفى نفس الموقف ولكنها تخضع فى ذلك لظروف الموقف نفسه والكفاءة الشخصية للفرد وقدرته على التعبير عن أنواع سلوكه المتعلقة بالموقف .

وعلى ذلك فقد عرف الزعيم على أنه ليس شخصا ذا قدرات شخصية خاصة من درجة معينة ولكنه ذلك الفرد من المجموعة الذى يستطيع أن يظهر سلوكا خاصاً يتناسب مع ما يظهره الأفراد الآخرون من ناحية الكم والكيف والمدى .

ونظرية القيادة الجماعية التى أحاول شرحها وتوضيحها ترى أن عملية القيادة تتم دائما على مستويين كل منهما يؤدى إلى الآخر ويتصل به اتصالا وثيقا :

هذان المستويان هما المستوى العام ومستوى الطليعة أو القمة (Base and Apex) وأى فرد يشترك فى أى من هذين المستويين لابد وأن يتوافر فى سلوكه أنماط معينة . وبذلك نستطيع أن نقول أن هناك أنواعاً محددة من السلوك البشرى عندما يؤديها الفرد أو يظهرها فى موقف بذاته نقول أنه يشترك فعلا فى عملية القيادة الجماعية وترى النظرية كذلك أن الجماعة تقود نفسها بنفسها أى أن الحركة الخارجية للجماعة ككل هى فى واقع الأمر نتيجة الحركة الداخلية لأفرادها أو بمعنى آخر يمكن أن يكون الفرد قائداً وتابعاً وفى هذا تفترض النظرية ثنائية

الوظيفة وليس ثنائية الخصائص . أى أن هناك وظيفة القيادة ووظيفة التبعية بغض النظر عمن يزاول هذه أو تلك حتى ولو زاولهما الفرد الواحد وفى نفس الموقف . وهذا ما نقصد به ثنائية الوظيفة .

أما ثنائية الخصائص فنقصد بها ما رمت إليه معظم الدراسات من أن هناك خصائص شخصية خاصة للزعماء والقادة لا يمتلكها التابعون .

وترى النظرية أن العلاقة بين المستويين : مستوى القاعدة ومستوى القمة تتلخص فى إحساس أفراد القاعدة بتوتر فى المجال العام للجماعة فيقومون على دراسته بطريقة علمية صحيحة ويضعون الحلول المحتملة لإزالة أسباب هذا التوتر ثم يعملون على توصيل ذلك إلى أفراد مستوى القمة .

وعلى أفراد مستوى القمة (وهم غالباً المتخصصون) ترجمة هذه الحلول إلى أنماط سلوكية فعلية ثم المفاضلة بين هذه الحلول بعضها البعض واختيار أفضل هذه الحلول للتطبيق .

وطالما أن المستوى القاعدى يتطلب منه الإحساس بالتوتر الاجتماعى فلابد وأن تكون هناك عدة خصائص سلوكية تساعد أفراد هذا المستوى على الإحساس بالتوتر .

ففى واقع الأمر لا يستطيع كل فرد أن يحس بالتوتر الذى يحدث فى مجال الجماعة إلا إذا كان يعيش أحداثها فعلا وفى تفاعل مستمر مع بقية الأفراد مستعيناً فى ذلك بخصائص سلوكية و نفسية يمكن أن نصفها فيما يلى :

١ — الذكاء العام :

مما لا شك فيه أن قدرة الفرد على فهم طبيعة الموقف والاستدلال السريع على أسباب التغير فى المجال الاجتماعى تعطيه فرصة الإحساس المباشر بما يعترى الموقف من توتر وضغوط اجتماعية، وبالتالى يكون لديه من أسباب الحركة ونقل

الاحتمالات والحلول إلى مستوى القمة أو الطليعة مما يفتقر إليه غيره ممن يقلون عنه فى مستوى الذكاء العام .

وعامل الذكاء فى نفس الوقت يعطى للجماعة فرصة أكثر للاستفادة من إمكانيات الفرد كما أنها تبذل أقل جهد ممكن فى توجيهه وتدريبه .

٢ ــ القدرة التعبيرية :

يقصد بالقدرة التعبيرية قدرة الفرد على الإفصاح عن فكرته ومفاهيمه إفصاحاً سوياً سليماً يصل إلى الآخرين بطريقة تجعل فى استطاعتهم نقل هذه المعانى والمفاهيم إلى غيرهم .

٣ ــ القدرة على تفهم مشاكل الجماعة :

يقصد هنا بالمشاكل العقبات التى تعترض تقدم الجماعة نحو أهدافها وكذلك المواقف التى تتعارض فيها الحلول وتستدعى من الفرد قدرة خاصه تعينه على تفضيل حل على آخر . هذه القدرة تعتمد بلا أدنى شك على فهم الفرد لطبيعة المشكلة التى تبرز فى الموقف الاجتماعى .

٤ ــ القدرة على التعاون مع الآخرين :

يزداد معدل الإنتاج الاجتماعى للجماعة كلما ازداد مقدار التعاون الناجح بين أفرادها . فالفرد الذى يستطيع أن يحدث علاقة تعاون بينه وبين غيره من أفراد الجماعة إنما تمكن من ذلك نتيجة قدرته على فهم نماذج شخصيات هؤلاء الأفراد أو الأنماط الثابتة من سلوكهم الاجتماعى .

كما تمكن من إقامة علاقه التعاون بينه وبين غيره نتيجة فهمه لشعور الآخرين ووضعه نفسه فى مكانهم .

فصفة التعاون ضرورية لإحداث الاتصال بين أجزاء القاعدة لتدارس طبيعة التوتر أو المشكلة حتى يمكن توصيل ذلك إلى مستوى القمة فى عملية القيادة الجماعية .

٥ — القدرة على تحمل المسئولية :

ترتبط هذه القدرة ارتباطا واضحا وبدرجة ملحوظة بمدى النجاح فى العمل الايجابى من أجل تقدم الجماعة نحو أهدافها . وكلما ازدادت قدرة الفرد على تحمل المسئولية بمعنى أن يتم ما تـكله إليه الجماعة من أعمال ومهام كلما ازدادت قدرته على الإحساس بالتوتر فى المجال الاجتماعى للجماعة وهى الوظيفة الأساسية للمستوى العام أو مستوى القاعدة من القيادة الجماعية .

وعندما تزداد قدرة الفرد على الإحساس بمشاكل الجماعة التى ينتمى إليها فإنه يصبح مصدراً من مصادر الـكفاءة الاجتماعية فى حياتها .

٦ — البصيرة الاجتماعية :

هذه الصفة — صفة البصيرة الاجتماعية — ضرورية للفرد عضو القاعدة ليستطيع أن يلم إلماماً كافياً بأبعاد الأحداث الاجتماعية والتنبؤ بما قد يترتب عليها وهذا ولا شك يساعده على الإسهام فى دراسة المشاكل التى تعترى حيـاة الجماعة ونقل وتوصيل نتائج هذه الدراسة إلى مستوى القمة أو الطليعة .

٧ — الاتزان العاطفى :

ويقصد بذلك قدرة الفرد على ضبط أعصابه وتحرره من التوتر والقلق وإحساسه بالاطمئنان إلى علاقاته مع الآخرين وعدم الحساسية الزائدة للمواقف المختلفة . وعدم الخوف من المستقبل .

فإن الاتزان الانفعالى بهذه الصورة سوف يمكن الفرد من إصـدار أحكام موضوعية فى المواقف الاجتماعية المختلفة . وهذا ما يساعده كثيرا فى عملية دراسة المشاكل التى تبرز أثناء نشاط الجماعة .

أما على المستوى الثانى وهو مستوى الطليعة أو القمة فإن هناك بالإضافة إلى الخصائص السلوكية السابقة عدة خصائص أخرى وذلك لتناسب طبيعة المهمة التى

يجب أن يقوم بها هذا المستوى من مفاضلة بين الحلول المفتوحة أو الاحتمالات المقترحة التي يقدمها المستوى العام .

وقبل أن نلخص هذه الخصائص أحب أن أؤكد مرة أخرى أن نظرية القيادة الجماعية تعترف بثنائية الوظيفة ولكنها لاتعترف بثنائية الخصائص . ومعنى ذلك أن مستوى القاعدة ومستوى القمة تصور أو وظيفة ولكن ليس هناك مستويان يفصل بينهما حدود ثابتة . فإنه يمكن للفرد الواحد أن يزاول الوظيفتين في موقف واحد طالما أنه قادر على إظهار أنماط السلوك الضرورية لكل وظيفة اجتماعية .

ومرة أخرى فإن مستوى القمة لن يظل في صومعته حتى ينقل إليه المستوى العام نتائج دراساته للمشكلة ولكن كما سبق أن قلت أن ذلك مجرد تصور وظيفي ليسهل عن طريقه تعليل وتحليل حركية الجماعة .

ونأتي الآن لبعض الخصائص السلوكية اللازمة لعضو الطليعة في القيادة الجماعية بجانب الخصائص الأخرى السابق مناقشتها .

١ ــ الابتكار أو الإبداع أو الأصالة في الفكر :

الأصالة تعني تقديم الحل الذي لا يتوقعه أعضاء الجماعة ويؤدي في نفس الوقت إلى اختيار الحل الذي يناسب المشكلة موضع المناقشة أو الدراسة .

٢ ــ توزيع العمل على أعضاء الجماعة :

وهذه قدرة تتضمن وضع الفرد المناسب في المكان المناسب وإسناد جزء من الخطة لكل فرد حسب إمكانياته وقدراته .

٣ ــ متابعة تقدم الجماعة نحو الهدف :

وهذه عملية ضرورية لتحديد موقف الجماعة وقياس إمكانياتها والتنبؤ بمدى وتوقيت التقدم الذي تتطلبه ظروف التفاعل الاجتماعي بين أعضائها كذلك فإن هذه المتابعة تتيح مقارنة الكفاءات الفردية وإتاحة الفرصة لتمايز أوضاع الأفراد من حين لآخر .

٤ — تقييم عناصر المجال الاجتماعى :

ونقصد بذلك التعرف على مساحات القوة والضعف ومناطق الجهد المختلفة فى مجال الجماعة . وهذه عملية دقيقة ولازمة لمعرفة إمكانيات الجماعة عموماً وعليها يترتب توزيع العمل ومتابعة تقدم الجماعة .

٥ — الميل إلى التسلط والسيطرة :

نقصد بذلك ميل الفرد إلى السعى إلى مراكز السيطرة والقوة فى الجماعة وحرصه على أن يستحوذ على أكبر قدر من النشاط والحركة فيها لذلك فإن هذه الخاصة ترتبط بقدرة الفرد على الزعامة أو القيادة ولكن هذا الارتباط ارتباط حيودى بمعنى أنه إذا تميز الفرد بقدر كبير من هذه الصفة تعذر عليه أن يشغل مركزاً قيادياً وذلك راجع إلى المقاومة الاجتماعية التى يلقاها . وإذا تميز الفرد بقدر ضئيل من هذه الصفة لم يكن لديه من الطموح ما يكفى لأن يجعله يسعى لمركز من مراكز القوة فى الجماعة .

بذلك نكون قد استعرضنا فى شىء من الإيجاز أهم الخصائص السلوكية والنفسية التى ترتبط بالنشاط الزعامى فى المواقف التى تعرضنا لها بالمناقشة .

ونناقش فيما يلى أهم العمليات التى يجب أن يمارسها ويتدرب عليها القائد أو الزعيم وهى :

١ — استطلاع الرأى العام .

٢ — قياس وتقدير الروح المعنوية .

٣ — تتبع الإشاعة .

٤ — مخاطبة الجماهير .

٥ — الدعوة إلى الفكرة .

٦ — تدريب أفراد الصف الثانى .

١ — استطلاع الرأى العام :

مما لاشك فيه أن عملية استطلاع الرأى العام تعتبر من أهم الخبرات التى يجب أن يتدرب عليها القادة ويتقنوا إجراءها إتقاناً كاملا .

فالرأى العام ظاهرة اجتماعيه تستحدثها الجماهير عن طريق تفاعلها الدائم الذى يتميز بالأداء والتوقع واتصال قوى الفكر ومعايير الحكم وطرائق الإحساس والشعور .

وهذه الظاهرة — أو الرأى العام — لابد وأن تكون مرتبطة بطبيعة الحال بحدث من الأحداث الاجتماعية التى تؤثر فى حياة الجماعة وخاصة الأحداث التى تعوقها عن الوصول إلى أهدافها ومراميها .

والرأى العام كعملية يتصف بالحركية كما يتصف بأن له عناصر ومقومات لابد من انتقالها وتفاعلها مع عناصر البيئة الخارجية حتى يتضح ويبرز ويتكون حقيقة ما يمكن أن نسميه من الناحية العلمية الرأى العام .

والرأى العام ليس عملية استاتيكية بمعنى أنه مجموع آراء متفقة على قضية معينة وينتج بإضافة هذه الآراء بعضها إلى بعض ولكنه كما سبق الإشارة يتضح نتيجة تفاعل مقوماته مع عناصر البيئة التى تعيش فيها الجماعه . وليس أبلغ دليل على ذلك من أنه على الرغم من اشتراك أفراد الجماعة.وإسهامهم فى تكوين هذا الرأى العام إلا أنه قد يكون لكل منهم على حدة رأيه ووجهة نظره الخاصة. وإن كانت تصطبغ وتتلون بخصائص الرأى العام المتكون داخل الجماعه .

تعريف الرأى العام :

حاول الكثيرون مثل ألبورت وكلاريد وبرايس ودووب أن يضعوا تعريفاً للرأى العام ولكن كانت العقبة دائماً هى إيجاد تعريف كى يتميز بالدقة والتحديد ويأخذ فى اعتباره جميع العناصر والقوى التى تؤدى إلى تكوين رأى عام. إذ أن التعاريف التى اقترحت — ما عدا تعريف دووب — كانت جميعا تعاريف وصف حالة أكثر منها تحديد مدرك ومفهوم .

فيعرف دووب الرأى العام على أنه « اتجاه جماعة من الناس نحو مشكلة معينة أو حدث معين » .

ويتضح من هذا التعريف أنه يميل إلى التحديد بصورة ما عندما تناول كلمة (الاتجاه) و (الجماعة) و (المشكلة) . وهذه الاصطلاحات الثلاثة تعنى بلاشك المفهوم العلمى لعملية تكوين الاتجاه ومعناه ثم خصائص الجماعة وعوامل قوتها وتماسكها وأخيراً معنى وجود المشكلة فى حياة كل جماعة .

وعلى الرغم من اتفاقنا مع دووب فى هذا التعريف عموما إلا أننا نرى أنه تعريف غير كامل لأنه لم يأخذ فى اعتباره حركية الجماعة ودرجة قوة الاتجاه والمسافة التى تقع عليها المشكلة من مركز تفاعل الجماعة .

فأى جماعة لا تستطيع أن تكون رأياً عاماً وليست أى مشكلة يمكن أن يتكون حولها رأى عام وليست أية درجة من درجات قوة الاتجاه تستطيع أن تحدث رأياً عاماً .

وعلى هذا يقترح المؤلف التعريف التالى للرأى العام :

« هو المحصلة العامة للاتجاهات ذات الدرجة العالية سالبة كانت أم موجبة لأفراد جماعة منظمة متمايزة التركيب تجاه مشكلة محددة تمثل نوعا من الضغوط الاجتماعية وتقع داخل نطاق المتسع النفسى الاجتماعى للجماعة » .

ومن هذا التعريف يمكن أن نستنتج ما يلى :

١ — تزداد الفرصة لتكوين الرأى العام كلما كان تنظيم الجماعة عالياً وتمايز الأوضاع الاجتماعية فيها واضح .

إذ أن التمايز الواضح يمثل القوة الدافعة للاتجاهات والآراء المتباينة فينتج عن ذلك فروق الجهد المختلفة فى مجال الجماعة .

ويقوم التنظيم العالى للجماعة مقام الممرات الممهدة للقاء الاتجاهات والآراء لتكوين المحصلة العامة .

٢ — تزداد الفرصة لتكوين الرأى العام كلما كان الاتجاه عالى الدرجة بغض النظر عن سلبيته أو إيجابيته .

٣ — كلما قلت المسافة بين مركز تفاعل الجماعة وبين موقع المشكلة القائمة وكلما كان الضغط الاجتماعى الذى يحيط بهذه المشكلة عالياً كلما كانت هناك فرصة أكبر لتكوين الرأى العام .

أنواع الرأى العام :

هناك عدة أنواع وتصنيفات للرأى العام يمكن أن يكون حولها خلاف فى الآراء ولكن يمكن أن تتفق على ثلاثة أسس رئيسية لتصنيف الرأى العام نوردها فيما يلى:

أولا : من ناحية الوصف :

(ا) رأى عام خارجى (ظاهرى أو ملموس) : وهو الرأى العام المعبر عنه فعلا أو الذى يأخذ الصورة الإيجابية فى التعبير عن محصلة اتجاهات أفراد الجماعة . ويغلب هذا النوع من الرأى العام فى الجماعات التى تتطور مفاهيمها بصورة جماعية أى يتوفر عنصر الثقة بين أفرادها وخاصة من ناحية الإيمان بقدرات الآخرين .

(ب) رأى عام داخلى (غير ظاهر) : وهو الرأى العام غير المعبر عنه أو الذى لا يجد وسيلة للانتشار والذيوع ويكون هذا النوع غالباً فى الجماعات ذات الطابع الأوتوقراطى .

ثانياً : من ناحية الطبيعة :

(ا) رأى عام حقيق (أى موجود فعلا) وهو الرأى العام الناتج عن حدث اجتماعى معين ويقوم أفراد الجماعة باتخاذ السبل المناسبة للتعبير عنه ونشره كعقد المؤتمرات والاجتماعات أو إصدار النشرات وما شابه ذلك .

(ب) رأى عام كامن (أى فى حالة كمون نفسى ويتوقع حدوثه) : وهو الرأى العام الذى ينتظر حدوثه فى حالة إحداث ضغط اجتماعى معين .

ثالثاً : من ناحية التأثير :

(ا) رأى عام دائم : وهو ذلك النوع من الرأى العـام الذى يقوم على اتجاهات حادة تكونت عبر الحقب الحضارية والثقافية مثل الرأى العام فى الولايات المتحدة أو جنوب أفريقيا الذى يحيط بمشكلة الزنوج أو الملونين .

ويتميز هذا النوع من الرأى العام بأنه يستمر فترة زمنية طويلة نسبياً .

(ب) رأى عام مؤقت : أى ذلك النوع من الرأى العام الذى يحدث نتيجة ضغط اجتماعى طارىء مثل نشاط عصابة لاختطاف الأطفال أو وقوع حادث مؤسف كحادث الترولى باص مثلا ويزول هذا الرأى العام بمجرد زوال المؤثر.

عوامل تساعد على قيام الرأى العام :

بالإضافة إلى العوامل الثلاثة الأساسية لتكوين رأى عام (التنظيم والتمايز فى الجماعة — درجة شدة الاتجاه — موقع المشكلة) هناك عدة عوامل ثقافية وحضارية تساعد على قيام الرأى العام ويمكن الإجارة إليها فيما يلى :

١ — النضج الاجتماعى للجماعة بمعنى تماسكها وسهولة الاتصال بين أجزائها المختلفة .

٢ — وجود الاهتمام والمصلحة المشتركة والرغبات الموحدة بين أعضاء الجماعة .

٣ — تقارب درجة المعرفة والمعلومات — بالنسبة للمشكلة — بين أعضاء الجماعة الواحدة .

٤ — وجود الشخصية المعنوية المتكاملة للجماعة .

٥ — نشاط الوسائل الإعلامية بين أعضاء الجماعة .

٦ — وضوح وظيفة المؤسسات الحضارية الموجودة فى الجماعة .

٧ — عدم وجود ضغط اجتماعى آخر أعلى من الضغط المسبب للرأى العام .

٨ — قدرة أعضاء الجماعة على نقد أساليب الحياة القائمة فيها .

آثار الرأى العام ووظائفه :

للرأى العام فى كل جماعة وظائف محددة يقوم بها فور تكوينه واكتسابه الفعالية الاجتماعية ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١ – تكوين دساتير وقوانين الجماعة أو تعديلها أو تعطيلها أو إلغائها إذ يعتبر الرأى العام مصدراً من مصادر سن القوانين فى أى جماعة من الجماعات .

٢ – رعاية المثل الاجتماعية والمبادىء الخلقية وتأكيدها فى أذهان الجماهير وتكوين القيم والمعايير ونقدها وتطويرها .

٣ – تسهيل مهمة المؤسسات القيادية فى الجماعة سواء كانت تنفيذية أو شعبية فى تأدية رسالتها فى حفظ التراث الحضارى للجماعة .

قياس الرأى العام :

تعتبر مسألة قياس الرأى العام من أهم العمليات التى يجب أن يتدرب عليها القادة وأهم ما فى مسألة القياس ذاتها مشكلة اختيار العينة بحيث تكون ممثلة ومناسبة فى حجمها .

ومناقشة موضوع العينة يعتبر ذا أهمية خاصة فى قياس الرأى العام لذلك فهناك صفتان أساسيتان يجب توافرهما فى العينة .

(أ) أن تكون ممثلة لجميع خصائص الجماعة من ناحية الجنس والسن والمستوى الاقتصادى والمهنة وغير ذلك مما قد تتميز به الجماعة عن غيرها .

(ب) أن تكون ذا حجم مناسب بحيث يعطى الفرصة للحصول على أقرب النتائج إلى الصحة . وهناك عدة طرق رياضية وإحصائية لتقدير حجم العينة بالنسبة للمجموع الكلى لأعضاء الجماعة يمكن الرجوع إليها فى كتاب آخر .

ويتم قياس الرأى العام باتباع عدة خطوات يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ – تصمم استمارة (استفتاء – استبار) يلاحظ فيها أن تغطى جميع

النقاط المحيطة بالمشكلة أو الضغط الاجتماعى المسبب للرأى العام كما يراعى أن تتصف بالسهولة والشمول والأسئلة المباشرة البسيطة والقصيرة بحيث تضمن أن تكون الاستجابات سريعة ومعبرة .

٢ — تصمم الأسئلة — فى الاستمارة — بحيث تسمح بتدريج الإجابة من جانب الفرد المستجيب كأن تكون هناك عبارات مقابلة تساعد على ذلك مثل : أوافق جداً — أوافق — غير متأكد — غير موافق — غير موافق إطلاقا . أو أن تكون هناك درجات من صفر إلى ١٠ يضع المستجيب علامة على الرقم الذى يدل على شدة رأيه .

٣ — يمكن تطبيق هذه الاستمارة إما بتوزيعها على أفراد العينة التى يتم اختيارها على أسس رياضية وإحصائية — كما سبق الإشارة — أو أن يقوم بعض أفراد الجماعة بمقابلة أعضاء العينة وتسجيل استجاباتهم . وهذه الطريقة الأخيرة تستخدمها معاهد كثيرة مختصة بقياس شدة الرأى العام .

٤ — يتم بعد ذلك تحليل الاستجابات على أساس (التصنيف) بمعنى إيجاد العدد والنسبة المئوية لكل صنف من أصناف الاستجابات الموجودة .

وهناك عدة احتياطات يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند قياس الرأى العام :

(أ) ملاحظة دقة اختيار العينة .

(ب) تجنب الأسئلة المزدوجة الإجابة أو صعبة الفهم أو غير المباشرة .

(حـ) ملاحظة الأحداث الطارئة فى حياة الجماعة والتى تؤثر على عملية القياس

(ى) ملاحظة اختيار الأفراد الذين يقومون بسؤال أعضاء العينة .

قياس وتقدير الروح المعنوية :

وهذه عملية أخرى يجب أن يتمرن عليها القائد أو الزعيم لأن عامل الروح المعنوية يأتى ولا شك فى المقدمة عند تقييم التكامل الاجتماعى لأى جماعة من الجماعات .

وهناك كثير من المواقف التى تمر بها الجماعة أثناء نشاطها وتفاعلها يكون عامل الروح المعنوية هو الحد الفاصل بين نجاحها أو فشلها فى تحقيق الهدف الذى نشطت من أجله تلك الجماعة .

لذلك فإن أى محاولة لفهم أو تفسير معنى الروح المعنوية تجعلنا نبحث عن العامل السيكلوجى الذى يؤدى إلى النجاح أو الفشل فى أى موقف من المواقف الاجتماعية عندما تكون بقية العوامل ثابتة مثل القوة والقدرة وتنظيم الخبرة وكميتها .

وبهذا فإن الروح المعنوية هى حالة نفسية مركبة تختلف من ناحية الكيف والدرجة من شخص إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى وهى تخضع فى ذلك لظروف وعناصر خارجية عديدة .

ويمكن تعريف الروح المعنوية العالية بأنها تلك الحالة النفسية العقلية التى تتميز بتصميم عميق قاطع لتحقيق أهداف الجماعة وأغراضها وتتصف بالجهد الحماسى ــ أى يفوق الجهد العادى ــ والعزم والتعاون فى اتجاه تحقيق هذه الأهداف .

عناصر الروح المعنوية :

تشتق الروح المعنوية من ظروف وإمكانيات الجماعة . ولكنها فى جميع الأحوال حالة مركبة كما سبق أن أوضحنا يخرجها تفاعل مجموعة من العناصر يمكن أن نتعرض لها فيما يلى :

١ ــ إدراك أهداف الجماعة :

ونقصد بهذا أن تكون أهداف الجماعة واضحة ومفهومة الأفراد وكلما كان الاتفاق فى الإدراك عالياً ــ أى أن مفهوم الأهداف متشابه عند أعضاء الجماعة ــ كلما كانت الفرصة مواتية لإيجاد روح معنوية عالية .

٢ — الاقتناع بقيمة أهداف الجماعة :

أى أن يكون لدى الأفراد من الاقتناع بقيمة الهدف ما يكفى لتحمسهم له وما يجعلهم يعتقدون فى موضوعيته .

ويمكن أن يتم هذا إذا أحس أفراد الجماعة بعلاقة هذه الأهداف بكيانهم الخاص كأفراد .

٣ — الإصرار على بلوغ الهدف :

أى وجود العامل الذاتى الذى يدفع أعضاء الجماعة نتيجة لفهم الأهداف والاقتناع بقيمتها إلى الإصرار على الوصول إليها أو بمعنى آخر أن يضع الأفراد هذه الأهداف فوق كل اعتبار آخر .

٤ — الاعتقاد فى إمكانية تحقيق الأهداف :

وهذا ولا شك يعبر عن ثقة أفراد الجماعة فى إمكانياتهم وقدراتهم ثقة تجعلهم يشعرون بل يعتقدون أنهم قادرون فعلا على تحقيق هذه الأهداف .

٥ — تقدير المصاعب على حقيقتها :

أى أن يكون لدى أعضاء الجماعة من الموضوعية ما يمكنهم من فهم المصاعب والمشاكل فهما حقيقيا .

٦ — الثقة فى القادة :

أى ثقة الأفراد فى قادة الجماعة وارتباطهم بهم واطمئنانهم إلى قراراتهم فإن الارتباط يولد الثقة والثقة تولد الطاعة .

٧ — الثقة فى القوة الضاربة للجماعة :

أى ثقة الأفراد فى إمكانية وقدرة قوتهم الضاربة كالقوات المسلحة فى حال الوطن أو الهدافين فى حالة المباريات الرياضية .

٨ — الاطمئنان إلى موقف أصدقاء الجماعة :

وذلك يتضح فى اهتمام أعضاء الجماعة وبحثهم عن الأصوات المناصرة من خارج الجماعة مثل التجمعات المؤيدة أو غير ذلك مما يرفع روحهم المعنوية .

٩ — الشعور العدائى الحاد نحو أعداء الجماعة :

وهذا إحساس من الضرورى وجوده عند أفراد المجموعة لإثارة التحمس والعوامل الذاتية الأخرى التى تدفع فى الطريق إلى الأهداف وتزيد من تماسك المجموعة فى نفس الوقت إذ أن إحساس الأفراد بوجود الأعداء يسبب قوة التماسك الداخلى للجماعة .

١٠ — الرضا عن تقدم الجماعة نحو أهدافها :

وهو الشعور بالزهو والفخر الذى يتوفر عند الأفراد عندما تحقق الجماعة أعمالا ناجحة فإن ذلك يزيد من درجة انتماء الأفراد إلى الجماعة ويجعلهم أكثر توقعاً لتحقيق الأهداف على مدى التقدم نحو هذه الأهداف .

١١ — الشعور بوحدة أجزاء الجماعة :

ونقصد بذلك الإحساس الذى يسود الجماعة بوحدة صفوفهم وعدم خروج أى من أفرادها عن الإجماع العام .

١٢ — الثقة فى الأجهزة الإعلامية للجماعة :

أى يتوفر لدى الأفراد الارتباط الكافى بمراكز الإعلام والنشر فى الجماعة وذلك يسهل انتقال التفاعل من مكان إلى آخر ويمهد لإيجاد الثقة الكافية بين الأفراد .

قياس الروح المعنوية :

ليست وظيفة القادة والزعماء قياس وتقدير الروح المعنوية فقط بل من أهم واجباتهم حفظ مستوى عال من الروح المعنوية بين أعضاء الجماعة لضمان استمرار تفاعلهم بنجاح نحو الهدف الذى قامت من أجله ولذلك كان عليهم أن يأخذوا فى اعتبارهم العناصر السابقة .

ويتم قياس الروح المعنوية باتباع الخطوات التالية :

١ — اختيار العينة تحت نفس الشروط التى تختار بها عينة قياس الرأى

العام ولكن فى هذه الحالة كلما زاد حجم العينة كلما كانت النتائج أقرب إلى الصحة .

٢ ــ يصمم استفتاء يحتوى على عدد من الأسئلة يغطى العناصر السابقة جميعها . ويراعى فى الأسئلة أن تكون دقيقة معبرة وأن تتبع كذلك بأسئلة مفتوحة النهاية حتى يكون عند الفرد الفرصة لكتابة ما يوضح مستوى الروح المعنوية عنده .

٣ ــ يتم تحليل النتائج حسب العناصر الـ ١٢ السابقة حيث يكون العنصر هو وحدة الاختبار .

٤ ــ يؤخذ فى التحليل كذلك إجابات الأسئلة المفتوحة النهاية وتعامل بطريقة « تحليل المحتوى » التى سبق التعرض لها .

٣ ــ تتبع الإشاعة :

إذا أطلقنا الإشاعة فى مجتمع من المجتمعات تحت الظروف المناسبة فإنها سوف تؤثر بطبيعة الحال على بعض أفراد المجتمع وربما تكون لديهم رأى عام أو اتجاه حاد يكون أساسه الإشاعة فقط .

والقادة فى أى جماعة من الجماعات لابد وأن يقوموا بتتبع الإشاعة للقضاء عليها واتخاذ الاحتياطات لمنع حدوثها وتكرارها .

ومما يساعد أساساً على إحداث الإشاعة هو وجود ضغط اجتماعى يشعر بآثاره أفراد الجماعة دون تعليل كاف لمثل هذا الضغط .

فعلى سبيل المثال إذا توقفت فجأة إذاعة بلد خارجى كنت تستمع إليه فإن ذلك يمثل ضغطاً اجتماعياً غير ممكن التعليل ــ لبعدك عن مركز التفاعل ــ ولذلك يكون الوسط مناسباً لأى إشاعة .

وفى جميع الحالات فإن هناك عدة صفات سيكلوجية تميز من يطلق الإشاعة ومن يحملها نلخصها فيما يلى :

١ — الشعور الدائم بالاضطهاد .

٢ — الإحساس بالنقص وعدم الكفاءة .

٣ — عدم الانتماء للجماعة .

٤ — الشعور بالكبت .

٥ — الإحساس بالقلق والتوتر وقلة الاستقرار العاطفى .

٦ — قلة القدرة على تحمل المسئولية الاجتماعية .

٧ — قلة القدرة على التكيف الاجتماعى .

٨ — الإحساس بعدم الثقة فى علاقاته مع الآخرين .

٩ — قلة الثقة فى قدراته ومواهبه .

١٠ — الإحساس بالخوف من المستقبل .

والطريقة الممكنة لتتبع الإشاعة وخاصة فى الجماعات قليلة العدد هى الطريقة السوسيومترية (التى سبق مناقشتها) . وذلك لحصر العلاقات المتتابعة وهى التى تدل على مسار الإشاعة .

وأهم من تتبع الإشاعة — بالنسبة للقادة والزعماء — منع حدوث هذه الإشاعات وذلك بالقضاء على أسباب حدوثها وذلك كما يلى :

١ — منع حدوث الضغوط الاجتماعية .

٢ — فى حالة حدوث أى ضغط اجتماعى يجب على القادة المبادأة بتقديم التعليل الكافى .

٣ — عرض موقف الجماعة وإمكانياتها فى وضوح .

٤ — توضيح موقف الجماعات المناهضة أو المعادية من إطلاق الإشاعة .

٥ — تأكيد وحدة أعضاء الجماعة .

٦ — تقوية مراكز النشر والإعلام فى الجماعة .

٧ — تقوية الصلة بين أعضاء الجماعة وبين أجهزة القيادة فيها .

٨ — تغذية الرأى العام بجزء من خطة تقدم الجماعة أولا بأول .

٩ — تشجيع النقد بأنواعه المختلفة وضمان موضوعيته .

١٠ — تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية فى الجماعة .

٤ — مخاطبة الجماهير :

تعتبر مخاطبة الجماهير من المهارات الأساسية التى يجب أن يتدرب عليها القادة وهذه المهارة لها أسس علمية تتلخص فى القوانين الاجتماعية النفسية التالية :

١ — الجماعة أكبر من مجموع أعضائها :

أى أن الجماعة ليست فقط بمجموع أعضائها ولكن يضاف إلى ذلك نوع العلاقات السائدة وكيتها ودرجة التفاعل الدائم المتصل بين الأفراد .

٢ — الفرد يشتق شخصيته من الجماعة :

وهذا حقيقى إذ أن الجزء يشتق صفاته من الكل فالفرد يشتق شخصيته من كيان الجماعة التى ينتمى إليها ولذلك نجد أن الفرد فى جماعة ما يسلك ويتصرف بصورة تختلف عن سلوكه وتصرفه لو كان عضوا فى جماعة أخرى .

٣ — تتميز فردية الشخص بالنسبة إلى الآخرين :

وهذا نزوع طبيعى فإن الأوضاع النسبية للأفراد داخل إطار الجماعة تتمايز باستمرار وهذا يؤدى إلى وضوح تركيب الجماعة وظهور المكانات الاجتماعية فيها لذلك يصبح من الطبيعى أن نلاحظ أن الأفراد فى نشاط مستمر نتيجة تمايز شخصية كل منهم عن الآخر .

٤ — تفاعل الأفراد يصدر نتيجة لاختلال تنظيم الطاقة :

توتر المجال الاجتماعى هو أساس لسلوك الأفراد . ويزداد معدل نشاط الأفراد كلما كانت المسافة بعيدة بين صورة المجال الاجتماعى للجماعة وهو متوتر وبين صورته وهو ثابت متزن .

هذه القوانين الأربعة هى القوانين الأساسية التى تحكم العلاقة بين الفرد والمجموع أردنا بتوضيحها توضيح عملية مواجهة الجماهير .

وهناك عملية أساسية لإتمام الاتصال بين المتحدث وبين جماهير المستمعين تسمى عملية الاستقطاب أو عملية توجيه انتباه الجماعة المستمعة نحو هدف مشترك وتمر هذه العملية بثلاث مراحل :

(ا) مرحلة التمهيد للاستقطاب :

وهذه تبدو فى اختيار المستمعين لأماكنهم داخل القاعة وحديثهم مع بعضهم البعض واتجاه أنظارهم نحو مكان المحاضر أو المتكلم .

(ب) مرحلة الاستقطاب الجزئى :

وهذه تبدو فى توزيع انتباه الجماعة المستمعة بين ما كانوا فيه من قبل وبين المتحدث فى بداية حديثه .

(حـ) مرحلة الاستقطاب الكلى أو الانتباه الكامل :

وهذه تبـــدأ حينما يلمس المتحدث الأمور التى تهتم بها الجماعة المستمعة اهتماماً خاصاً .

وبطبيعة الحال كلما كان المتحدث دقيقاً فى اختيار الوقت المناسب لأن يلمس حاجات المستمعين وانتباههم كلما أسرع بتكامل عملية الاستقطاب الكلى .

وهناك عدة شروط أخرى تعتبر من العوامل المساعدة لإتمام تكامل انتباه المجموعة نلخصها فيما يلى:

١ — الاهتمام بعرض الموضوع بطريقة علمية موضوعية تناسب عقلية المستمعين وثقافاتهم .

٢ — ملاحظة التجانس الفكرى والثقافى للجماعة فإن تباين الثقافات والمستويات الفكرية يحتم على المتحدث أن يبحث عن العامل المشترك بين جميع الأعضاء المستمعين حتى يستطيع انتباههم .

٣ — ضرورة التمهيد لحديث المتحدث بأى صورة من الصور حتى يمكن لفقرة التمهيد أن تمتص عدم الانتظام الناتج عن انتقال الجماعة من حالة إلى أخرى .

أنواع الجماعات :

يلتقى الزعيم أو القائد بأكثر من نوع من الجماعات يختلف فى كل منها طريقة إحداث الاستقطاب . وأنواع هذه الجماعات هى :

١ ـ جماعة المارة : وهم الذين يمكن أن تقابلهم فى مكان عام .

وتعتبر هذه الجماعة من النوع الذى يحتم على القائد بذل الجهد لاجتذاب انتباههم وذلك كما فى الخطوات التالية :

١ ـ إثارة الانتباه : أى جذب انتباههم نحو المتحدث .

٢ ـ إثارة الاهتمام : أى ما تبذله الجماعة من اهتمام بموضوع الحديث .

٣ ـ إحداث الانطباع : أى المظهر الخارجى للفكرة التى تكونت عند أعضاء الجماعة .

٤ ـ الإحساس بالاقتناع أى أن تبدو معالم الاقتناع فى مناقشة أعضاء الجماعة .

٥ ـ النزوع : أى تأثرا بما سمعته تقوم الجماعة بأداء عمل معين .

٢ ـ جماعة المناقشة : وهم الأفراد الذى يمكن أن تقابلهم فى تجمع خاص المناقشة والحديث وبذلك فهم ليسوا فى حاجة لإثارة انتباههم وعليه تصبح مراحل استقطاب الانتباه كما يلى :

١ ـ إثارة الاهتمام .

٢ ـ الانطباع .

٣ ـ الاقتناع .

٤ ـ النزوع .

٣ ـ جماعة متميزة : وهم مثلا أعضاء مجلس معين كمجلس نقابة أو مجلس الاتحاد الطلابى عندما يجتمع لمناقشة مشكلة تمس المصلحة المشتركة وبالتالى فهم ليسوا فى حاجة إلى إثارة اهتمامهم بالموضوع ولذلك فإن مراحل إحداث الاستقطاب تكون كما يلى :

١ ـ الانطباع .

٢ ـــ الاقتناع .

٣ ـــ النزوع .

٤ ـــ جماعة مدبرة :

وهى الجماعة التى تتكون من معاونى القائد أو الزعيم ومساعديه ولذلك فإنه عندما يجتمع هؤلاء الأفراد فهم ليسوا بحاجة إلى إثارة انتباه أو اهتمام أو إحداث انطباع ولكنهم فى حاجة إلى :

١ ـــ الاقتناع .

٢ ـــ النزوع .

٥ ـــ جماعة نظامية :

وهذه هى الجماعات التقليدية مثل فرق الجنود أو الفرق المشابهة عندما يأمر القائد الجماعة بالقيام بأداء معين فإنهم ينزعون إلى هذا السلوك دون حاجة إلى إثارة انتباه أو اهتمام أو إحداث انطباع أو اقتناع ولكن ينزع أفراد الجماعة فوراً إلى السلوك المطلوب .

٥ ـــ الدعوة إلى الفكرة :

وهذه عملية أساسية أخرى يجب أن يتدرب عليها القائد أو الزعيم تدريباً كافياً لأنه لن يصبح قائداً أو زعيماً قبل أن يتكون كصاحب فكرة وداعية لهذه الفكرة .

وليست هذه العملية عملية محلية أى يترك لصاحب الفكرة أن يدعو لفكرته كما يشاء ولكن هناك أسس علمية لفن الدعوة إلى الفكرة أو التأثير على الآخرين لاتباع الفكرة التى يؤمن بها القائد أو الزعيم .

وهذه الأسس العلمية يمكن أن نلخصها عن طريق القوانين التالية :

١ ـــ ينتقى الفرد عضو الجماعة من بين المؤثرات الموجهة إليه المؤثر الذى تحدث استجابته درجة عالية من الإشباع النفسى للفرد .

٢ — يقع الفرد عضو الجماعة داخل مجال التأثير بالفكرة إذا توفرت لهذا المجال صفات تشابه الوحدات وتكرارها وانتظامها .

٣ — يصبح المؤثر (الفكرة) على درجة عالية من الكفاءة كلما اقترب من المعيار العام للجماعة .

٤ — ينتقى الفرد من بين المؤثرات الموجهة إليه المؤثر (الفكرة) المحدد والكم والاتجاه .

٥ — يصبح المؤثر على درجة عالية من الكفاءة كلما تشابه مع مؤثرات سابقة نجحت فى دخول المتسع النفسى للفرد عن طريق إشباع رغباته .

٦ — يتأثر اختيار الفرد لنوع المؤثر وإدخاله إلى متسعة النفس بمكانته (السوسيومترية) فى الجماعة التى ينتمى إليها .

٧ — يعتبر المؤثر فعالا كلما قل الزمن بين توجيهه وبين استجابة الفرد ونزوعه .

هذه القوانين التى توضح أسس تأثر الفرد بفكرة ما يجب أن يأخذها القائد فى حسابه عندما يقوم بالدعوة لفكرة معينة أو رأى معين .

٦ — اختيار وتدريب أفراد الصف الثانى :

لعل هذه العملية من أهم العمليات التى يجب أن يهتم بها القادة فى أى جماعة منظمة للمحافظة على استمرارها وثبوتها . ولذلك يجب أن يتم التدريب على مستويات تناسب السلوك القيادى الذى تنتظره الجماعة من الأفراد الذين يتم تدريبهم لهذه العملية .

والمقصود بعملية التدريب ليس التمرن على الأداء فقط ولكن ما يسبق التمرن وما يتبع هذا التمرين . لذلك فإن عملية الاختيار والتدريب تنقسم إلى عدة مراحل متصلة ببعضها البعض يمكن الإشارة إليها فيما يلى :

(أ) عملية الإنتقاء Spotting :

وهى العملية التى تتلخص فى أن ينتقى القادة أثناء التفاعل الاجتماعى للمجموعة بعض الأفراد ممن يلفتون النظر بنشاطهم الغير عادى وفهمهم لمشاكل الجماعة وإقبالهم الواضح على الاشتراك فى وضع حلول لها .

كما أنهم يلفتون النظر بمحاولاتهم الهادفة للوصول إلى مراكز القوة فى الجماعة وإظهارهم الإلمام الكامل بأنواع نشاط المجموعة .

(ب) عملية الملاحظة Observation :

وهى الخطوة التالية لعملية الانتقاء إذ يجب على القادة أن يلاحظوا الأفراد الذين تم انتقاؤهم ملاحظة مستمرة حتى يتمكنوا من التأكد من ثبات أنماط السلوك والنشاط الذى وضح أثناء تفاعلهم فى محيط الجماعة .

ويجب أن يكون أسلوب الملاحظة علمياً دقيقاً حتى يتم الاختيار بصورة موضوعية .

(حـ) عملية الاختبار Testing :

وهذه هى العملية التالية لعملية الملاحظة إذ بعد يتم التأكد من ثبات أنماط النشاط المختلفة التى يظهرها هؤلاء الأفراد يجب أن يوضعوا تحت ظروف التجربة بحيث يتمكن القادة من اختبار قدرات الأفراد بهدف التنبؤ بأنماط سلوكهم تحت الظروف المختلفة التى تتعرض لها الجماعة فى حياتها اليومية وتفاعلها المستمر .

(د) عملية التدريب أو التمرن Training :

تبدأ عملية التدريب بعد أن يمر الفرد بالمراحل الثلاث السابقة وهذه المرحلة — مرحلة التدريب — لها عدة شروط يجب مراعاتها وهى :

١ — يجب أن يتم التدريب فى جماعات حتى يستطيع الفرد ممارسة الضغوط التى يفرضها عليه تكوين الجماعة حتى يتكيف مع مواقفها .

٢ — أن يكون بناء الجماعة مرناً قابلا للتشكيل والتغيير ليسهل ملاحظة

تأثير الفرد المتمرن على بناء الجماعة وتكوينها أو بمعنى آخر ليعطى الفرصة للفرد لإظهار قدرته على إحداث التغيير فى بناء الجماعة .

٣ — يجب أن تتوفر الفرصة للفرد المدرب أن يمارس عملية الاتصال بينه وبين القادة المشرفين على تدريبه حتى يمكنه تعديل خبرته واتجاهه وتحسين أدائه كلما كان ذلك ضرورياً وممكناً .

٤ — يجب أن يتم التدريب فى مواقف تعليمية متكاملة يكون أساسها الخبرة العملية بالمفهوم التربوى حتى تتاح الفرصة للمتدربين لأن يزاولوا عناصر عملية القيادة تحت الإشراف والمتابعة .

(هـ) عملية الممارسة Experience :

وهى العملية الأخيرة التى يكتمل بها اختيار وتدريب أفراد الصف الثانى حيث يسمح لهم فعلا بمعاونة القادة فى الخبرات والعمليات المختلفة التى يقومون بها فى المواقف القيادية .

الفصل السابع

قياس الإدراك الاجتماعي وإنتاجية الجماعة

تعتبر عملية الإدراك بوجه عام من العمليات الأساسية التي تساعد على تكامل الخبرة في حياة الفرد . والإدراك من الناحية الوظيفية يتكون من عمليتين مترابطتين أولاهما الإحساس والثانية عملية التفسير .

وعملية الإحساس تبدأ بمثير من البيئة المحيطة بالفرد يتصل بإحدى حواسه كالسمع أو الإبصار . فعند سماع صوت معين أو رؤية شيء ما فإن المؤثر وهو الصوت أو الضوء يؤثر على عضو الإحساس المناسب وهو الأذن أو العين فى هذه الحالة ثم ينتقل هذا المثير إلى المنطقة المناظرة فى المخ وبذلك تتم عملية الإحساس . أما عملية التفسير Interpretation فهى عملية التعرف على ذلك المؤثر وفهم طبيعته وتسميته . وعند تمام عمليتى الإحساس والتفسير نقول أن عملية الإدراك قد اكتملت .

وواضح بطبيعة الحال أن عملية التفسير إنما تعتمد على الخبرات السابقة للفرد بمعنى أنه يستطيع « إدراك » شيء قد سبق أن رآه أو سمعه مثلا من قبل أو أنه يستطيع إدراك شيء قد سبق له أن رأى أو سمع أشياء قريبة الشبه منه .

لهذا قلنا أن عملية الإدراك إنما تساعد على تكامل الخبرة فى حياة الانسان. لأن الخبرة إنما هى أساس التفسير وإدراك العلاقات بين الأشياء وخاصة ما كان منها فى مجال الحس والشعور .

ذلك بالنسبة للإدراك فى الميدان الفسيولوجى أو بمعنى آخر إدراك الأشياء عديمة الشبه بالانسان سواء ما كان منها حياً كالقط أو الكلب مثلا أو ما كان على هيئة جماد أو غير ذلك .

ونقول ذلك لأن التشابه بين الانسان وبين ما يدركه — وهو إنسان آخر بطبيعة الحال — إنما يؤثر على عملية الإدراك ويخرجها عن مجال الفسيولوجيا إلى مجال آخر نسميه الإدراك الاجتماعي .

وفى كلا الحالين لابد من وجود إطار المرجع أو الإشارة Frame of Reference على أى صورة من الصور حتى تتم عملية الادراك .

فعلى سبيل المثال عندما يسمع الانسان صوتاً عالى الشدة فإنما يميز أو يفسر هذا الصوت عندما يقارنه بغيره من الأصوات التى تشبهه أو تكون قريبة الشبه منه فعندما سماع صفارة الإنذار — المرة الأولى — فإنما ندرك هذا الصوت ونفسره عند مقارنته بصوت بوق السيارة وليس بمقارنته بصوت الضفدعة مثلا . وذلك يدل دلالة واضحة على أن عملية الإدراك اعتمدت على الشبه القائم بين المدرك وهو صوت صفارة الإنذار وبين إطار الإشارة أو المرجع وهو صوت بوق السيارة .

كذلك فإننا ندرك الرقم (٨) مثلا عندما نقارنه بالرقين ٧ ، ٩ فهو أكبر من ٧ وأقل من ٩ وبهذا فإنه لابد من حصر الشدة وتقدير أدناها وأقصاها بإطار للإشارة مناسب وهو ٧ ، ٩ فى هذه الحالة .

وللتلخيص فإن عملية الادراك تعتمد على عدة مبادىء أهمها :

١ — المقارنة القائمة على تشابه الطبيعة .

٢ — « « « تقارب الشدة .

٣ — « « « حصر الشدة أو الكم .

وإذا نقلنا ذلك إلى ميدان الإدراك الاجتماعى فإن الأمر يحتاج إلى مناقشة يحسن أن نبدأها بتحديد معنى الإدراك الاجتماعى . فنجد أن هايز سنة ١٩٥٨ يعرف الإدراك الاجتماعى على أنه «الإدراك الذى يحدث تحت ظروف ومتغيرات اجتماعية تؤثر فيه » فإدراك الشخص الآخر فى موقف معين معناه أننا ندرك هذا الشخص الآخر بأنماط سلوكه وخصائص شخصيته وتكوينه .

ونجد كذلك أن تعريفات كثيرة أخرى اتخذت طابع العمومية وعدم التخصيص والدقة أو بمعنى آخر اعتمدت على الاتجاهات الفلسفية والمناقشة المنطقية فقط ولم تأخذ فى حسابها التحديد الكمى للموقف الذى تحدث فيه عملية الإدراك الاجتماعى .

ولهذا السبب يجب أن نحدد الزاوية التى نعالج منها هذا الموضوع وهى كما سبق أن أوضحنا لا تخرج عن المبادىء الثلاثة التى أشرنا إليها . فالمقارنة بأوصافها المختلفة يقوم على أساسها الإدراك الاجتماعى .

ففى الدراسات الأولى التى أسهمت فى تحديد معنى عملية الإدراك الاجتماعى دراستان قام بهما دايموند فى سنة ١٩٤٨، سنة ١٩٤٩ ويمكن اعتبارهما دراستين تمهيديتين .

فنجد أن الباحث يناقش العلاقة بين البصيرة Insight وقدرة الفرد على أن يشعر بإحساسات الأفراد الآخرين فى المواقف الاجتماعية المختلفة ثم يصل الباحث أخيراً إلى عدة استنتاجات أهمها :

١ ــ القدرة على الإحساس بشعور الآخرين عملية أساسية فى تكوين مفهوم العلاقة بين الفرد والآخرين .

٢ ــ تعتمد بصيرة الفرد فى علاقته بالآخرين على مدى قدرته على الإحساس بشعورهم .

٣ ــ الإحساس بالآخرين عملية تحدث نتيجة العلاقات الاجتماعية التى يتعرض لها الطفل فى السنوات الأولى من حياته .

وواضح من نتائج هذه الدراسة أنها مهدت فعلا لمفهوم العلاقة بين الفرد والآخرين أو بمعنى آخر مهدت لفكرة قياس وتقدير عملية الإدراك الاجتماعى.

وفى سنة ١٩٥٠ قام تومسون ونيشيمورا بدراسة أخرى عن محددات الاختيار الاجتماعى حيث وصل الباحثان إلى نتيجة معينة وهى أن هذا الاختيار

يعتمد على فكرة الفرد عن الفرد الآخر أكثر مما يعتمد على حقيقة كل منهما .

و بعد ذلك تتابعت دراسات عديدة فى هذا الميدان وكان هدفها جميعاً توضيح وبحث معنى المقارنة والتشابه الذى يتم على أساسه الإدراك الاجتماعى .

فنى سنة ١٩٥٢ درس فيدلر وآخرون أثر الاتجاهات اللاشعورية على الاختيارات الاجتماعية . وقام بهذه الدراسة على ٢٦ شخصاً من الذكور حيث طلب من كل منهم أن يعين أحب الأفراد إلى نفسه من بين أعضاء المجموعة وكذلك أبعد الأفراد عن نفسه . كما طلب من كل فرد أيضاً أن يصف صورة ذاته المثلى أو كما يحب هو أن يكون ثم يتنبأ بوصف كل من الفردين الآخرين (أقرب وأبعد الأفراد إلى نفسه) لذاته كما يحب أن يكون كل منهما :

ووصل فيدلر ومعاونوه إلى عدة نتائج هى :

١ ــ أن الفرد يدرك الآخرين ممن يحبهم كما لو كانوا أكثر شبها به وبشخصيته والعكس صحيح بالنسبة لمن لا يفضلهم .

٢ ــ أن الفرد يدرك الآخرين ممن يحبهم كما لو كانوا أكثر شبهاً بذاته المثالية أو كما يحب هو أن يكون والعكس صحيح مع من لا يفضلهم .

٣ ــ أنه ليس هناك دليل على أن الخصائص الشخصية للأفراد تتشابه مع الخصائص الشخصية لمن يختارونهم ولا تتشابه مع الخصائص الشخصية للذين لا يفضلونهم .

٤ ــ أنه ليس هناك دليل على أن الأشخاص المفضلين يدركون الآخرين بطريقة تختلف عن إدراك الأشخاص المرفوضين .

ويمكن أن نعتبر أن هذه الدراسة هى بداية الدراسات الجدية فى موضوع الإدراك الاجتماعى وإرجاع حدوثه إلى التشابه والمقارنة .

وفى سنة ١٩٥٤ عاود فيدلر دراساته فى التشابه المفترض بين الأشخاص فى المواقف الاجتماعية كدلالة لإنتاجية الجماعات . واقترح الباحث أن إنتاجية

الجماعة إنما ترتبط بعملية الإدراك الاجتماعى . ثم قام بقياس هذه العملية بإيجاد معاملات الارتباط بين نتائج استفتاءات صممت بهدف :

(ا) وصف الذات عند الفرد .

(ب) تنبؤ الفرد بوصفه ذات أقرب المعاونين له (أحبهم إليه) .

(حـ) تنبؤ الفرد بوصف ذات أبعد المعاونين عنه (أبغضهم إلى نفسه) .

وتوصل الباحث إلى تحقيق صحة هذا الاقتراح .

وفى سنة ١٩٥٥ درس دافيتز العلاقة بين الإدراك الاجتماعى والاختيارات بين الأطفال حيث تألفت العينة من ٣٩ طفلا تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وثلاثة عشر سنة ووجد الباحث ما يلى :

(ا) يميل الطفل إلى أن يدرك أصدقاءه أو من يختارهم سوسيومتريا أكثر أكثر شبها بذاته من الذين لا يختارهم .

(ب) يميل الطفل إلى أن يدرك أصدقاءه أو من يختارهم سوسيومتريا أكثر شبهاً بذاته مما هم فى الواقع أو الحقيقة .

وفى سنة ١٩٥٥ كذلك قام لاندى بدراسة مشابهة ووصل إلى عدة نتائج أهمها ما يلى :

(ا) يميل الفرد إلى أن يدرك أصدقاءه أكثر شبهاً بذاته المثالية والعكس بالنسبة لصفات الذات غير المرغوبة .

(ب) يميل الفرد إلى أن يدرك من يرفضهم سوسيومتريا أكثر شبهاً بصفات الذات غير المرغوب فيها والعكس بالنسبة للذات المثالية .

وفى سنة ١٩٥٦ وصف نيوكمب تجربة أجراها بين سبعة عشر طالباً من طلبة الجامعة استنتج منها أن إدراك التشابه بين الفرد والآخر هو إساس عملية الإدراك الاجتماعى فى حد ذاتها .

وفى سنة ١٩٥٨ اقترح تاجورى وآخرون أن الإدراك الاجتماعى فى الجماعات

الصغيرة يعتمد على إحساس الفرد نحو الفرد الآخر وعلى فهم الفرد لطبيعة إحساس الفرد الآخر نحوه .

وفى سنة ١٩٥٩ حاول رودجرز اكتشاف العلاقة بين التشابه الحقيقى (أى حقيقة التشابه بين شخصية فرد وشخصية فرد آخر) وبين التشابه المفترض (أى التشابه الذى يفترضه أحد الأفراد عند إدراكه لفرد آخر) وأراد الباحث أن يلخص هذه العلاقة فى أن الأفراد الذين لهم خصائص شخصية مشتركة مع فرد واضح أى يحتل مكانة واضحة فى التنظيم الاجتماعى للجماعة يميلون إلى افتراض التشابه بينهم وبينه فى حين أن الأفراد الذين ليس لهم هذه الخصائص المشتركة لا يميلون إلى افتراض مثل هذا التشابه . ولكن جاءت نتائج تجاربه بحيث لا تؤيد هذا هذا التلخيص أو تنفيه .

وقد حاول روزيل محاولة مشابهة عندما أراد أن يختبر أثر اللون والجنس على التشابه المفترض بين الأفراد. وتألفت العينة من عدد من الزنوج والبيض . ولكن لم يصل الباحث إلى تأكيد أثر اللون أو الجنس على التشابه المفترض .

وفى سنة ١٩٥٩ كذلك قرر كاتز أن إدراك الفرد للآخرين إنما يعتمد على اتجاهات ومعايير الفرد ذاته. فقد وجد بالتجربة أن الأفراد ذوى الميول التسلطية أو اتجاهات التزعم والسيطرة إنما يدركون الآخرين — وخاصة الأفراد ذوى المكانة الاجتماعية الواضحة — على أنهم أكثر سيطرة وتسلطية وحساسية اجتماعية مما هم على حقيقتهم فعلا . والعكس صحيح الأفراد ممن ليس لهم ميول تسلطية أو اتجاهات التزعم والسيطرة .

وقام دافيتز فى نفس السنة بتجربة تثبت عكس نتائج كاتز تقريبا . فقد وجد دافيتز أن الأفراد الذين يشعرون بالخوف والقلق فى المواقف الاجتماعية المختلفة يدركون الآخرين على أنهم أكثر ميلا للتهديد وإنزال العقاب مما هم على حقيقتهم فعلا .

وفى سنة ١٩٦٠ درس فروم أهمية عمليق الإسقاط والتقمص فى عملية الإدراك الاجتماعى ولكنه لم يصل إلى نتيجة محددة فى هذه الدراسة .

وفى سنة ١٩٦١ درس فيدلر أثر العمر الزمنى والاختلافات الجنسية على إدراك الأفراد ككائنات اجتماعية فوجد مايلى :

(١) يتأثر الإدراك الاجتماعى بالاختلافات الجنسية فى حين أن العمر الزمنى يؤثر فقط على إدراك صورة الذات .

(ب) تزيد دقة الإدراك الاجتماعى بزيادة العمر الزمنى .

(ح) يميل الإناث إلى إدراك الآخرين بصورة أفضل مما هم عليه فعلا بينما يميل الذكور إلى عكس ذلك .

مما سبق يتضح لنا بما لايدع مجالا للشك أن دراسة عملية الإدراك الاجتماعى إنما تتطلب بالضرورة دراسة التشابه بين الأفراد فى الموقف سواء كان هذا التشابه حقيقى أو مفترض أو مدرك لأن هذا التشابه هو أساس عملية الإدراك فى حد ذاتها .

وكذلك يتضح لنا أن أى إضافة أو تفسير فى مجال هذا التشابه إنما هو إضافة فعلية لميدان الإدراك الاجتماعى .

لهذا السبب سوف نناقش بشىء من التفصيل معنى التشابه Similarity فى ميدان الإدراك الاجتماعى .

التشابه الحقيقى بين فردين actual similarity يمكن تعريفه على أنه المسافة أو بمعنى أصح دالة المسافة بين صورتى الذات عند كل من الفردين أو بمعنى آخر فإن الفرق بين وصف الفرد (١) لنفسه . وبين وصف الفرد (ب) لنفسه يدل على التشابه الحقيقى بين (١) ، (ب) .

والتشابه الحقيقى له أثر واضح فى عملية الإدراك الاجتماعى فصورة الذات للفرد تؤثر على مفهومه عن الآخرين سواء عن طريق تأثره بالآخرين أو تأثر الآخرين به وواضح أيضاً أن صورة الذات هى التى تكمن وراء سلوك الفرد فى كل موقف من مواقف حياته وبالتالى هى التى تعطى الانطباع عن الفرد فى هذه المواقف .

وبالنسبة لهذا النوع من التشابه — الحقيقى — فإنه ليس هناك جدال حول علاقته بعملية الإدراك الاجتماعى كما أنه ليس هناك جدال حول أثر هذا التشابه الحقيقى على أنواع التشابه الأخرى التى تناقشها فيما بعد .

فالتشابه الوصفى descriptive والتشابه المفترض assumed والتشابه المدرك perceived جميعها مصطلحات استخدمت لتدل على مفهوم واحد تقريباً هو دالة المسافة بين صورة الذات عند فرد ما وبين مفهومه عن ذات فرد آخر .

فقد كان فيدلر فى سنة ١٩٥١ أول من استخدم لفظ « التشابه المفترض » فى دراسة أجراها فى إحدى مستشفيات العلاج النفسى ليكتشف نوع وطبيعة الاتجاهات النفسية بين المعالج والمريض .

فقد طلب فيدلر من المعالجين أن يقوموا بإجراء اختبار للشخصية على أنفسهم أى يصف كل منهم شخصيته ثم طلب كذلك أن يتنبأ كل منهم بكيفية وصف المريض لنفسه على نفس الاختبار .

وبذلك يصبح التشابه المفترض من وجهة نظر فيدلر « هو التشابه الذى يفترضه المعالج بين صورة ذاته وبين صورة ذات المريض الذى يقوم بعلاجه » .

أما نيوكمب فقد كان أول من استخدم لفظ « التشابه المدرك » فى دراسة أجراها فى سنة ١٩٥٦ ليقيس مدى إمكانية التنبؤ بالجاذبية الاجتماعية للأفراد . وقام الباحث بتطبيق اختبار للشخصية على أعضاء العينة ليصف كل منهم نفسه وليتنبأ بوصف الشخص الآخر لنفسه على نفس الاختبار .

وبذلك يعرف نيوكمب « التشابه المدرك » على أنه التشابه الذى يدركه الفرد بين صورة ذاته وبين مفهومه عن ذات الآخرين .

ويتضح من ذلك أن ما سماه فيدلر التشابه المفترض سماه نيوكمب التشابه المدرك . أى أن كلا من اللفظين لهما نفس الدلالة الواحدة .

. وقد استخدم فيدلر نفس اللفظ « التشابه المفترض فيما بين سنة ١٩٥٢ -

وسنة ١٩٥٨ فى بحوث عديدة ومتفرقة مستعيناً بطرق رياضية وإحصائية مختلفة لحساب درجة التشابه المفترض حتى يستطيع أن يصل إلى ما يرمى إليه من استنتاجات .

ويفسر فيدلر درجة التشابه المفترض على أنها وحدة على بعد نفسى يبدأ بالرفض الاجتماعى ، وينتهى بالقبول العاطفى .

كما أن نيوكمب وفروم وجيلبرت فى سنة ١٩٦٠ قاموا بدراسات لإيجاد العلاقة بين التشابه المدرك وبين عملية التفاعل الاجتماعى الناجح أو بمعنى آخر أثر العوامل الاجتماعية على عملية إدراك هذا التشابه . وفى هذه الدراسات الثلاث استخدم الباحثون طرقاً رياضية وإحصائية مثل تلك التى استخدمها فيدلر وكرونباخ فى بحوثهما السابقة .

وفى جميع الحالات فإن لنا عدة ملاحظات على أساليب الدراسات السابقة يجب توضيحها فيما يلى :

١ — حاولت هذه الدراسات اكتشاف العلاقة بين التشابه المفترض أو التشابه المدرك وبين بعض المتغيرات الأخرى مثل إنتاجية الجماعة أو بعض خصائص التفاعل الاجتماعى .

ولكن لم تعط هذه الدراسات أى دليل على معنى أو محتوى هذا التشابه الذى على الرغم من أنه قد يكون موجودا إلا أن الدليل لم يقدم على أن أى من الأفراد يستطيع إدراكه والإلمام به .

وبمعنى آخر لم يكن هناك أى دليل — من جانب هذه الدراسات — على أن هذا التشابه ممثلا بالفعل فى العملية العقلية أو العصبية المناظرة .

وليس هذا هو العيب الوحيد فى نتائج هذه الدراسات ولكن هناك أيضاً ما يدل على وجود تعارض واضح فى معالجة هذه المشكلة وخاصة من ناحية الافتراض أو الإدراك .

فنجد أن نيوكمب فى سنة ١٩٥٨ يقول « أن التفاعل بين فرد وآخر إنما يعتمد تماماً على مدى إدراك الفرد لمدى التشابه بينه وبين الفرد الآخر » .

ثم نجد أن كرتش وكرتشفيلد يتعرضان لنفس النقطة كما يلى « أن الأشخاص أى الأفراد يختلفون عن الأشياء الأخرى . إذ أن لهم من الخصائص الحركية والمميزات الحيوية ما يجعلهم بؤرة إدراك للآخرين علماً بأن أى من هذه الخصائص والمميزات لا علاقة لها بالتشابه بين الأفراد » .

وبدراسة هذين الاتجاهين يتضح :

(ا) أن هناك اتفاق على أن « التشابه بين الفردين مدرك » وهذا ليس حقيقة علمية فى واقع الأمر ولكنه قد يكون افتراضاً ينقصه الدليل والبرهان .

(ب) أن هناك عدم اتفاق بين الاتجاهين على علاقة عملية إدراك التشابه بخصائص الأفراد وتفاعلهم مع بعضهم البعض فبينما يؤكد نيوكمب هذه العلاقة نجد أن كرتش وكرتشفيلد لا يؤمنان بوجودها .

(ح) أن نيوكمب نفسه سنة ١٩٥٨ يرى أن عملية إدراك المرئيات والأصوات والنظريات التى تقوم عليها هذه العملية إنما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بخصائص الضوء والصوت كمثيرات تأتى من البيئة الخارجية ويقول كذلك « أن عملية الإدراك البصرى أو السمعى إنما تأتى نتيجة تفاعل بين خواص الرائى أو السامع وبين خواص الشىء المرئى أو الصوت المسموع وأن ذلك هو ما يحدث تماما عند تفاعل شخص مع شخص آخر فى موقف اجتماعى » .

ولكن النقد الذى يجب أن يوجه إلى افتراض نيوكمب هو أنه ليس هناك تشابه بين الفرد وبين الشىء المرئى ولكن هذا التشابه والإحساس به موجود فى حالة تفاعل الفرد مع فرد آخر فى موقف اجتماعى .

لذلك كان من المعتقد أن يمتنع نيوكمب عن مقارنة الموقفين كل منهما بالآخر لاختلاف العناصر وطبيعة التفاعل .

فرد الفعل فى الحالة الأولى (رؤية شىء ما) هو تسكيف حدقة العين لاستقبال المثير وإرساله إلى المنطقة المناسبة فى المخ .

وأما رد الفعل فى الحالة الثانية (التفاعل مع فرد آخر) فإنه يختلف تماماً من ناحية الطبيعة فهو نزوع إيجابى من ناحية أحد الفردين لمقابلة النزوع الايجابى من ناحية الفرد الآخر .

٢ ــ اعتمدت الدراسات السابقة على وصف الفرد لنفسه ووصفه لغيره للحصول على درجة تدل على التشابه بينهما .

وكما هو معروف فإن وصف الفرد لنفسه إنما يعتمد على مفهومه عن صورة ذاته وعلى مفهومه لغيره وهذا المفهوم قد يكون له علاقة بالحقيقة ولكنه لا يطابق الحقيقة تماما وهذا ما يؤكد ذاتية الفرد عند بناء صورة ذاته أو عند تكوين مفهوم عن ذات الآخرين وبذلك تصبح موضوعية الدرجة المشتقة والتى تدل على التشابه فى شك كبير .

٣ ــ يرى جيلبرت فى سنة ١٩٦٠ أنه عندما يلتقى فرد بآخر فى موقف اجتماعى فإنه يدركه ككائن اجتماعى عن طريق مقارنته بنفسه مستخدما صورة ذاته كإطار للرجوع أو الإشارة Frame of Reference وبناء على ذلك فإن أساس وصف الفرد (ا) للفرد (ب) هو مفهوم (ا) عن نفسه .

ولكن هايز فى سنة ١٩٥٨ يرى غير ذلك فيقول أنه عندما يلتقى فرد بآخر فى موقف اجتماعى فإنه يدركه ككائن اجتماعى عن طريق مقارنته بفرد ثالث مستخدما فى ذلك مفهومه عن ذات ذلك الفرد الثالث .

أو بمعنى آخر إذا وصف الفرد (ا) الفرد (ب) فإن ذلك يتم بناء على مفهوم الفرد (ا) لذات فرد ثالث هو (حـ) .

فلو سلمنا جدلا بصحة مايقوله جيلبرت لأن ذلك محتمل فعلا وبصحة مايقوله هايز لأن ذلك ممكن أيضاً فيصبح الأمر أكثر تعقيدا وصعوبة لأنه لا يمكن تحديد التشابه الحادث : أهو ناتج من مقارنة الفرد لنفسه بفرد آخر أم من مقارنة الفرد لفردين آخرين كل منهما بالآخر .

٤ ــ كما سبق أن شرنا فإن حساب أو استخلاص درجة التشابه المدرك أو المفترض إنما يعتمد على أن يقوم الفرد بوصف غيره أو التنبؤ بوصف هذا الغير لنفسه .

وهذا التشابه سواء كان مدركا أو مفترضاً فإنه يمكن أن يكون نتيجة عمليتين سيكلوجيتين هما :

(ا) عملية التقمص Identification أى يقوم الفرد بوصف نفسه ونوع سلوكه وشخصيته بناء على مفهومه عن صورة ذات فرد يحبه ويعجب به وذلك كما يقترح سيموندز .

(ب) عملية الإسقاط Projection أى يقوم الفرد بوصف غيره مستخدماً فى ذلك وحدات صورة ذاته ومفهومه عن نوع شخصيته وسلوكه .أو بمعنى آخر يسقط الفرد صفاته وأنمـــاط سلوكه على فرد آخر يحبه ويعجب به وذلك كما يقترح فروم .

ونتيجة لحدوث إحدى هاتين العمليتين النفسيتين فإننا نلاحظ التشابه بين فردين يصف أحدهما الآخر .

وهذا التشابه سواء كان مدركا أو مفترضا فإنه قد يحدث نتيجة إحدى عمليتين اجتماعيتين هما :

(ا) التأثر بالرغبة الاجتماعية Social desirability أو الميل نحو المعايير الاجتماعية السائدة فى المجتمع .

فإن الفرد عندما يقوم بوصف صورة ذاته التى كونها عن طريق تفاعله مع المجتمع بقيمه ومعاييره فإنما يقوم بهذا متأثراً برضاء هذا المجتمع على أنماط معينة من السلوك وعدم رضائه على أنماط أخرى .

ولهذا فإن الفرد يميل إلى وصف ذاته كما يحب أن يراها أعضاء المجتمع وبذلك يصبح من المتوقع أن يكون ذلك الوصف غير مطابق للحقيقة الفعلية .

وبنفس المنطق يمكن أن يتأثر وصف الفرد لشخصية فرد آخر وخاصة إذا كان الفرد الآخر يقع على مسافة قريبة للتفضيل الاجتماعي من الفرد الاول.

وإذا تأثر كلا الوصفين ـ وصف الفرد لذاته ووصفه للفرد الآخر ـ بنفس الدرجة تقريباً وهذا متوقع فإنه يمكن ملاحظة التشابه بين هذين الفردين .

(ب) التأثر بالضغوط والمعايير الاجتماعية Social norms & Pressures وذلك يتضح من استجابة الأفراد لما تفرضه الجماعة من قيود وما تمارسه من ضغوط تتصل بكيانها وتركيبها .

وتتأثر طريقة الفرد فى وصف ذاته أو وصف غيره بهذه القيود والضغوط فيبتعد عن الحقيقة فى غالب الأحيان .

وقد يحدث أيضاً أن يكون هذا الابتعاد عن الحقيقة بدرجة متقاربة فيمكن ملاحظة التشابه بين الفردين .

لهذا ولما سبق مناقشته يمكن أن نقول أن موضوع التشابه بين الأفراد فى الموقف الاجتماعى ليس بالبساطة أو السهولة التى تناولته به معظم الدراسات والبحوث التى أجريت فيما مضى .

• ـ وهذه نقطة أخيرة ولكنها على جانب كبير من الأهمية . ففى كثير من البحوث التى تناولت قياس الإدراك الاجتماعى أو علاقته بالمتغيرات الاجتماعية الأخرى وخاصة بحوث فيدلر وكرونباخ وسوساى وغيرهم ممن قادوا هذه الحركة من بداية ١٩٥٠ حتى الآن ، ففى هذه البحوث كانت طريقة استخلاص درجة الإدراك الاجتماعى تتلخص فى استنتاج الفرق بين وصف الفرد لنفسه وبين تنبوئه بوصف الفرد الآخر لنفسه .

ولنا فى هذا بعض التعليق إذ أنه إذا فرضنا أن فى الموقف الاجتماعى الفردين ا ، ب والفرد (ا) يعتقد أن الفرد (ب) شخصية غير مسئولة أى أن قدرة ب على تحمل المسئولية قليلة . ويعلم فى نفس الوقت أن الفرد (ب) يعتقد فى نفسه أنه على قدر عال من تحمل المسئولية .

لذلك فإذا قام الفرد (ا) بوصف الفرد (ب) من وجهة نظره هو فسوف تكون النتيجة مختلفة تماماً عما إذا قام الفرد (ا) بالتنبؤ بوصف (ب) لنفسه .

لهذا فإننا نعتقد أن اعتبار الدرجات والأبعاد التى حددتها هذه الدراسات والبحوث كمحددات لعملية الإدراك الاجتماعى أمر غير دقيق .

لذلك فإن المؤلف — بناء على بحث سابق سنة ١٩٦٣ — يرى أن عملية الإدراك الاجتماعى تعتمد أساسا على نقطتين :

(ا) أن يتألف الموقف الذى يتم فيه الإدراك من ثلاثة أفراد على الأقل (ا ، ب ، حـ) حتى يقوم أحدهم بدور إطار الإشارة أو الرجوع .

(ب) أن يقوم الفرد بوصف الفرد الآخر من وجهة نظره هو لا أن يتنبأ بوصف الفرد الآخر لنفسه حتى نتأكد من دقة نقطة البداية فى قياس عملية الإدراك .

ويرى المؤلف كذلك — بناء على نفس الدراسة — أن محددات عملية الإدراك الاجتماعى يمكن أن تكون كما يلى :

(ا) البعد الحقيقى ا/ب : وهو دالة البعد بين وصف (ا) لنفسه وبين وصف (ب) لنفسه .

(ب) البعد الحقيقى ا / حـ : وهو دالة البعد بين وصف (ا) لنفسه وبين وصف (حـ) لنفسه .

(حـ) البعد الوصفى ا / ب وهو دالة البعد بين وصف (ا) لنفسه وبين وصف (ا) لـ (ب)

(ء) البعد الوصفى ا / حـ وهو دالة البعد بين وصف (ا) لنفسه وبين وصف (ا) لـ (حـ) .

(هـ) البعد التراسلى ا / ب وهو دالة البعد بين وصف (ا) لـ (ب) وبين وصف (ب) لنفسة .

(و) البعد التراسلى ا/حـ وهو دالة البعد بين وصف (ا) لـ (حـ) ومن وصف (حـ) لنفسه .

(س) البعد المقارن وهو دالة البعد بين وصف (ا) لـ (ب) ووصف (ا) لـ (حـ) .

ذلك بفرض أن الفرد (ا) هو نقطة البداية فى المجموعة المكونة من ا ، ب ، حـ وأن الفردين (ب) ، (حـ) يقعان على نقطتين بعيدتين فى المتسع النفسى الاجتماعى للفرد ا . أى أن أحدهما قريب إليه والآخر بعيد عنه .

حساب درجات الإدراك الاجتماعى :

هناك أكثر من طريقة لحساب درجات الإدراك الاجتماعى ولو أنها جميعاً تعتمد على مقارنة درجات وصف الفرد لنفسه على سبيل المثال ووصفه للفرد الآخر . ويمكن أن تتم هذه المقارنة بأكثر من طريقة إحصائية لإمكان استخلاص الدرجات المطلوبة .

وحتى لا ندخل فى مناقشات نظرية أو إحصائية قد تضيع خلالها الفكرة التطبيقية التى نهدف إلى إبرازها فى هذا المكان . فسوف نصف الخطوات العملية دون التعرض بقدر كبير للمسائل النظرية .

١ — يجب أن يتم تصميم الاختبار أو الاستفتاء الخاص بقياس الشخصية (صورة الذات) بحيث يسمح بإيجاد علاقة إحصائية ، معامل ارتباط مثلا ، بين وحداته عندما يصف الفرد نفسه وبين نفس الوحدات عندما يصف غيره .

ونوضح ذلك بمثال فيما يلى :

« ضع علامة × أمام الرقم الذى يناسب مدى موافقتك على كل من العبارات التالية . الرقم (٤) يمثل الموافقة التامة والرقم « صفر » يمثل عدم الموافقة إطلاقاً » .

١ ــ أحب التعاون مع جميع الناس ٤ ٣ ٢ ١ صفر

٢ ــ أستطيع العمل بسهولة مع الجماعات ٤ ٣ ٢ ١ صفر

٣ ــ يمكنني أن أكسب ثقة الناس بسهولة ٤ ٣ ٢ ١ صفر

٤ ــ أشعر بالضيق عندما اضطر إلى العمل
مع الآخرين ٤ ٣ ٢ ١ صفر

وهكذا بالنسبة لبقية العبارات وليكن عددها عشرة .

فإذا قام الفرد بوصف نفسه بواسطة هذه العبارات ثم قام بوصف فرد آخر على نفس هذه العبارات وكانت النتيجة كما يلي على سبيل التوضيح :

	وصف الفرد لنفسه	وصف الفرد لفرد آخر
تقدير العبارة الأولى	٤	٢
« « الثانية	٣	١
« « الثالثة	١	٣
« « الرابعة	٤	٣
« « الخامسة	٣	صفر
« « السادسة	٢	٢
« « السابعة	١	٤
« « الثامنة	٣	٢
« « التاسعة	٣	٣
« « العاشرة	٤	١

٢ ــ بذلك يكون أمامنا ثلاث طرق لحساب درجة التشابه كإحدى درجات الإدراك الاجتماعي وهذه هي :

(أ) طريقة الفرق البسيط Simple difference method :

وهذه الطريقة تتلخص في إيجاد الفرق بين الدرجة المعطاة للعبارة عند وصف الذات والدرجة المعطاة لنفس العبارة عند وصف الفرد الآخر . وذلك بغض النظر عن الإشارة الجبرية + أو ــ عند إيجاد هذا الفرق . وبافتراض أن

العبارات العشرة السابقة تقيس بعداً واحداً من أبعاد السلوك الإنسانى فإن مجموع هذه الفروق يمثل درجة التشابه بين الفرد والفرد الآخر على هذا البعد .

ففى المثال السابق نجد أن درجة التشابه = ١٨ وهى مجموع الفروق بين درجات العبارات العشرة . وكلما قلت درجة التشابه واقتربت من الصفر كلما كان التشابه كبيراً بين الفردين والعكس صحيح .

ولكن هذه الطريقة رغم أنها سهلة وبسيطة إلا أن لها عيوباً كثيرة أهمها أنها لا تأخذ فى اعتبارها الأوضاع النسبية للعبارات فقد تتشابه الدرجة بين عدد من الأفراد فى حين أن استجاباتهم تختلف تمام الاختلاف وبالتالى تصبح المقارنة بينهم غير دقيقة .

وكذلك فإن هذه الدرجات المشتقة بطريقة الفرق البسيط لا تعطى توزيعاً اعتداليا يسمح بتطبيق الوسائل الإحصائية العادية عند استخدامها فى أغراض البحث المختلفة .

(ب) طريقة معامل الارتباط Correlation method :

وهذه الطريقة تعنى إيجاد نوع من مقاييس الارتباط بين استجابات الفرد عندما يصف نفسه واستجاباته عندما يصف غيره .

والانواع الممكنة من معاملات الارتباط فى مثل هذه الحالة هى :

١ ـــ معامل التوافق Contingency وهو معامل ارتباط يمكن استنتاجه من كا^{٢} (×) بناء على جدول رباعى كما يلى :

وصف الفرد لغيره

وصف الفرد لنفسه	أقل	أعلى
أقل	ا	ب
أعلى	ح	ء

حيث يوضع فى المنطقة (ا) عدد العبارات التى تحصل على درجة أقل من المتوسط فى حالة وصف الفرد لنفسه ووصفه لغيره .

وفى المنطقة (ب) يوضع عدد العبارات التى تحصل على درجة أقل من المتوسط فى حالة وصف الفرد لنفسه وعلى درجة أعلى من المتوسط فى حالة وصف الفرد لغيره . وفى المنطقة (حـ) يوضع عدد العبارات التى تحصل على درجة أعلى من المتوسط فى حالة وصف الفرد لنفسه وعلى درجة أقل من المتوسط فى حالة وصف الفرد لغيره . وفى المنطقة (ء) يوضع عدد العبارات التى تحصل على درجة أعلى من المتوسط فى حالة وصف الفرد لنفسه وفى حالة وصفه لغيره وبعد ذلك نحسب ك² (χ^2) من القانون التالى :

$$\text{ك}^2 = \frac{\text{ن}\left(\text{ا ء} - \text{ب حـ} - \frac{\text{ن}}{2}\right)^2}{(\text{ا} + \text{ب})(\text{حـ} + \text{ء})(\text{ا} + \text{حـ})(\text{ب} + \text{ء})}$$

حيث ن = عدد العبارات

، ا ، ب ، حـ ، ء = عدد العبارات فى كل منطقة مناظرة

ومن قيمة ك² يمكن حساب معامل ارتباط التوافق ت كما يلى :

$$\text{ت} = \sqrt{\frac{\text{ك}^2}{\text{ك}^2 + \text{ن}}}$$

وفى هذه الحالة يمكن اعتبار معامل التوافق ت . هو درجـــة التشابه أو الاختلاف .

٢ ــ وأما معامل الارتباط الثانى فهو معامل الارتباط العادى ر (Product moment Correlation) وهو لا يصلح لمثل هذا الغرض لأنه يبنى أساساً على ضرورة استمرار الدرجات وهذا شرط لا يتوفر فى مثل هذه الحالة .

٣ ــ والنوع الثالث من معاملات الارتباط الممكنة هو معامل ارتباط

الترتيب Rank order ويعتمد على ترتيب العبارات فى الحالتين وإيجاد الفرق بين هذا الترتيب .

ففى المثال السابق (العبارات العشرة) يتم ترتيب هذه العبارات تحت وصف الفرد لنفسه ثم يتم ترتيبها تحت وصف الفرد لغيره وذلك كما يلى :

رقم العبارة	الترتيب الأول (وصف النفس)	الترتيب الثانى (وصف الغير)	الفرق	موقع الفرق
(١)	٢ر٥	٦	٣ر٥	١٢ر٢٥
(٢)	٦	٨ر٥	٢ر٥	٦ر٢٥
(٣)	٩ر٥	٣	٦ر٥	٤٢ر٢٦
(٤)	٢ر٥	٣	ر٥	ر٢٥
(٥)	٦	١٠	٤	١٦ر—
(٦)	٨	٦	٢	٤ر—
(٧)	٩ر٥	١	٨ر٥	٧٢ر٢٥
(٨)	٢ر٥	٦	٣ر٥	١٢ر٢٥
(٩)	٦	٣	٣	٩ر٠٠
(١٠)	٢ر٥	٨ر٥	٦	٣٦ر٠٠
			مج ف٢	٢١٠ر٥٠

ويحسب بعد ذلك الفرق بين الترتيبين ثم مربع الفرق ومجموع مربع الفروق ويمكن استنتاج معامل ارتباط الترتيب من القانون التالى :

$$ر = ١ - \frac{٦ \text{ مج ف}^{٢}}{ن(ن^{٢} - ١)}$$

حيث تدل ن على عدد العبارات فى هذه الحالة .

وبالتالى يمكن اعتبار هذا المعامل درجة من درجات الإدراك الاجتماعى السبعة التى يجب حسابها عند معالجة هذا الموضوع .

(ح) طريقة الجذر التربيعى لمجموع مربعات الفروق $\sqrt{\Sigma D^2}$ – method

وهذه تعتبر أفضل الطرق وأسلمها من الناحية الإحصائية لحساب درجات الإدراك الاجتماعى حيث أنها ذات خصائص رياضية تسمح بتطبيق الوسائل الإحصائية المختلفة.

وتتلخص هذه الطريقة فى إيجاد الفرق بين درجات العبارات فى الحالتين: حالة وصف الفرد لنفسه ووصفه لغيره ثم تربيع هذه الفروق وإيجاد الجذر التربيعى لمجموع المربعات.

ومثال ذلك العبارات العشرة السابق الإشارة إليها كما يلى:

رقم العبارة	درجة وصف النفس	درجة وصف الغير	الفرق	مربع الفرق
(١)	٤	٢	٢	٤
(٢)	٣	١	٢	٤
(٣)	١	٣	٢	٤
(٤)	٤	٣	١	١
(٥)	٣	صفر	٣	٩
(٦)	٣	٢	صفر	صفر
(٧)	١	٤	٣	٩
(٨)	٤	٢	٢	٣
(٩)	٣	٣	صفر	صفر
(١٠)	٤	١	٣	٩

مج ف^2 = ٥٤

$\sqrt{\text{مج ف}^2}$ = ٧ر٤

وبذلك تصبح درجة التشابه تساوى ٧ر٤

وقد استخدم هذه الطريقة فيدلر وكرونباخ فى سنة ١٩٥٨ كما استخدمها المؤلف

فى سنة ١٩٦٣ وثبت نجاحها فعلا . فقد تميزت عن طريقة الفرق البسيط أو معاملات الارتباط فى التوزيع الاعتدالى الذى تتخذه الدرجات المشتقة بواسطتها . وهذا يسهل الإجراءات الإحصائية الأخرى .

تفسير درجات الادراك الاجتماعى :

كما سبق أن أوضحنا تتأثر عملية الإدراك الاجتماعى بسبعة عوامل أساسية يمكن أن نطلق عليها أبعاد الإدراك الاجتماعى هى :

بعدان حقيقيان ، وبعدان وصفيان ، وبعدان تراسليان وبعد مقارن واحد .

ويتم تفسير درجة أى من هذه الأبعاد السبعة حسب الطريقة التى تشتق بها هذه الدرجة .

فإذا كانت الطريقة المتبعة هى طريقة الفرق البسيط أو الجذر التربيعى لمجموع مربعات الفروق فإنه كلما زاد مقدار الدرجة كلما دل ذلك على مقدار قليل من التشابه أو التطابق بين الوصفين - سواء كان وصف الفرد لنفسه ووصفه لغيره أو وصف كل منهما لنفسه أو غير ذلك .

وأما إذا كانت الطريقة المستخدمة هى طريقة معامل الارتباط سواء كان معامل التوافق أو معامل الترتيب فإنه كلما زاد مقدار الدرجة كلما دل ذلك على مقدار كبير من التشابه أو التطابق بين الوصفين .

ولذلك فإن الطريقة المتفق عليها حاليا بين الدارسين فى ميدان الادراك الاجتماعى هى طريقة الجذر التربعى لمجموع مربعات الفروق .

فالبعد الحقيقى الأول أو الثانى وهو دالة المسافة بين صورة الذات الفرد (ا) وصورة الذات للفرد (ب) إنما يدل على مدى التشابه الحقيقى بين ما يدركه (ا) عن نفسه وبين ما يدركه (ب) عن نفسه . فكلما زادت هذه المسافة وبالتالى زادت الدرجة كلما كان الخلاف كبيرا بين كلا المدركين أى أن مدى تأثر (ا) بقوى البيئة الاجتماعية والمادية وأنواع الاستجابات التى يقدمها للمثيرات

الخارجية وطريقة إشباع دوافعه وحاجاته - هذا المدى يختلف بصورة أكبر عن نظيره عند الفرد (ب) .

وأما البعد الوصفي الأول أو الثاني فإنه يدل على المسافة بين صورة الذات عند الفرد وبين فكرته عن فرد آخر . وواضح من ذلك أننا نقصد وجود فردين آخرين مع الفرد الأول بشرط أن يكون أحدهما أقرب المعاونين أو أحب المعاونين إليه والثاني يمثل العكس .

فهذه الدرجة درجة التشابه الوصفي إنما تدل على مدى تطابق فكرة الفرد عن نفسه وصورة ذاته مع فكرته عن أحب المعاونين إليه . وفي هذا نستطيع أن نلحظ قيمة درجة التشابه فكلما قلت هذه القيمة كلما زاد التشابه الوصفي بين الفرد وبين أحب المعاونين إليه . وهذا يعني أن القيمة الصغيرة لهذه الدرجة تمثل طرف مقياس للتباعد النفسي الاجتماعي إحدى نهايتيه عملية التقمص أو عملية الاسقاط والنهاية الأخرى هي عملية الإنكار Identification - Projection - Negation وبمعنى آخر نجد أن الفرد الذي يحرز درجة تشابه وصفي صغيرة الكم أي يحرز تشابهاً كبيراً مع من يصفه أما أنه يميل إلى تقمص شخصية هذا الفرد الآخر أو امتصاص خصائص سلوكه في المواقف الاجتماعية المختلفة . أو أنه يميل إلى أن يسقط عليه خصائص شخصيته هو وبذلك يحدث التشابه ويقل الفرق بين الوصفين .

وأما البعد الوصفي الثاني والذي يمثل المسافة بين مفهوم الفرد عن صورة ذاته وبين مفهومه عن شخصية أبعد (أو أبغض) الآخرين عنه فإنما تدل عليه درجة تشابه وصفي أخرى لها نفس خصائص الدرجة السابقة من ناحية الشكل ولكنها بطبيعة الحال تختلف من ناحية المضمون حيث أن موقف الفرد يختلف تماماً في هذه الحال .

وهناك أيضاً البعد التراسلي الأول Correspondence الذي يدل على المسافة بين مفهوم الفرد (ب) عن ذاته وبين وصف الفرد (أ) للفرد (ب) أو بمعنى آخر مدى تطابق فكرة الفرد عن الفرد الآخر مع فكرة هذا الفرد الآخر عن

نفسه وبطبيعة الحال كلما قلت درجة البعد التراسلى كلما زاد التطابق بين هاتين الفكرتين أو المفهومين .

وبذلك فإن درجة التراسل Correspondence score تمثل نقطة على مقياس للتباعد النفسى الاجتماعى إحدى نهايتيه القبول الاجتماعى Social acceptance والقدرة على التعبير الانفعالى الصادق والنهاية الأخرى الانعزالية أو الانطواء وعدم الأمن والطمأنينة الاجتماعية .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن هذه الدرجة تقع على مقياس للتباعد النفسى الاجتماعى بين نهايتين هما التعاطف الاجتماعى والإحساس بشعور الآخرين والنهاية الأخرى هى الميل إلى الموضوعية المتطرفة أو السيطرة والتسلط الاجتماعى.

وأما البعد التراسلى الثانى فهو يمثل نفس الاتجاه السابق وتدل عليه درجة تراسل أخرى يمكن حسابها بنفس الطريقة وتشترك مع الدرجة السابقة فى نفس الخصائص من ناحية الشكل ولكنها تختلف من حيث المضمون حيث أن الفرد الآخر فى هذا الموقف يمثل الشخص الذى لا يحب أن يتعاون معه الفرد الأول على الإطلاق .

وهناك أخيراً البعد المقارن وهو الذى يدل على المسافة بين تقدير الفرد (ا) لشخصية الفرد (ب) وهو أقرب المعاونين إليه وبين تقديره للفرد (حـ) وهو أبعد المعاونين عنه .

وتدل على هذا البعد درجة الفرق المقارن والتى تحسب على نفس الأسس السابقة وهنا يتم تفسير هذه الدرجة على أساس أنه كلما زادت كلما كان الفرق كبيراً بين شخصيتى (ب) ، (حـ) كما يراهما (ا) .

وتقع هذه الدرجة على مقياس للتباعد النفسى الاجتماعى إحدى نهايتيه القدرة على التمييز والدقة الاجتماعية ونهايته الأخرى البساطة والتسامح فى الاختيار الاجتماعى .

لهذا يمكن أن نمثل الأبعاد السابقة كما يلي :

صورة الذات ـ قوى البيئة إشباع الدوافع	البعد الحقيقى | | | | | | |	صورة الذات قوى البيئة ـ إشباع الدوافع
التقمص ـ الاسقاط	البعد الوصفى | | | | | | |	الانكار
القبول الاجتماعى التعبير الانفعالى التعاطف الاجتماعى	البعد التراسلى | | | | | | |	الانعزالية والانطواء الموضوعية المتطرفة
التمييز الاجتماعى	البعد المقارن | | | | | | |	البساطة والتسامح

حساب دليل الإدراك اجتماعى .I. S. P :

يقترح المؤلف دليلا للادراك الاجتماعى Index of Social Perception يمكن على أساسه مقارنة الجماعات المختلفة وخاصة إذا أدخل الإدراك الاجتماعى كمتغير مع عوامل أخرى لقياس دينامية الجماعة .

وتعتمد فكرة هذا المعامل أو الدليل على حساب درجات الإدراك الاجتماعى السبعة ثم إيجاد العلاقه بين متوسط هـــذه الدرجات وبين عدد أفراد الجماعة وذلك كما يلى :

لنفرض أن هناك جماعة مكونة من سبعة أفراد تم إستنتاج درجات الإدراك الاجتماعى لهم جميعاً كما فى المثال التالى :

درجة الادراك الاجتماعى	الأفراد							المتوسط
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	
درجة التشابه الحقيقى الأولى	٠	٠	١	٠	١	٤	١	١
« « الحقيقى الثانى	٧	٤	٤	٥	٤	٢	٢	٤
« « الوصفى الأول	٧	٤	٣	٣	٤	٢	١	٣ر٥
« « « الثانى	٤	٣	٢	٢	٢	١	١	٢
« التراسل الأول	٢	١	١	٣	٣	٣	٢	٢
« التراسل الثانى	٣	٤	١	١	٢	٣	٤	٢ر٥
« الفرق المقارن	٤	٢	٢	١	٥	٢	١	٢ر٥

وحدة دليل الادراك الاجتماعى I. S. Pu. $\frac{\text{مج}(\text{س} - \text{م})^{٢}}{\text{ه} - ١}$

حيث س = درجة الفرد (فى إحدى الأبعاد السبعة السابقة)

م = متوسط درجات أفراد الجماعة (فى نفس البعد)

ه = عدد أفراد الجماعة

وبتطبيق هذه المعادلة على درجات التشابه الحقيقي الأول فى الجدول السابق نجد أن : I. S. Pu =

$$\frac{(٠-١)^{٢}+(٠-١)^{٢}+(١-١)^{٢}+(٠-١)^{٢}+(١-١)^{٢}+(٤-١)^{٢}+(١-١)^{٢}}{٦}$$

$$= \frac{١٢}{٦} = ٢ر٠٠$$

وبتكرار هذه العملية بالنسبة للأبعاد الستة الأخرى نحصل على سبعة وحدات يكون متوسطها هو دليل الإدراك الاجتماعى I. S. P.

أى أن $I. S. P. = \frac{\text{مجـ}\left[\text{مج}(\text{س} - \text{م})^{٢}\right]}{٧(\text{ه} - ١)}$

ويمكن تفسير دليل الإدراك الاجتماعي بنفس الأسس السابقة التي فسرنا بها الدرجات السبعة السابق الإشارة إليها .

وعلى أساس هذا الدليل يمكن مقارنة الجماعات وخاصة الجماعات الصغيرة في حالة دراسة طاقاتها الإنتاجية وتحقيقها لأهدافها .

العلاقة بين الإدراك الاجتماعي وإنتاجية الجماعة :

إن ما نقصده بإنتاجية الجماعة في هذا المكان هو قدرة هذه الجماعة على تحقيق الهدف من قيامها سواء من الناحية المادية أو الاجتماعية .

وإنتاجية الجماعة من الناحية المادية أمر يسهل تقديره وقياسه كما يسهل أيضاً تحديد عناصر وعوامل ووحدات هذا النوع من الإنتاجية . وبطبيعة الحال يمكن أن نقول أن الانتاجية المادية للجماعة (ا) تفوق نظيرتها في الجماعة (ب) إذا كان عدد وحدات هذه الانتاجية تزيد في هذه عن تلك .

ولكن هل يمكن أن ننقل هذا القياس إلى الانتاجية الاجتماعية ؟

هذا سؤال يحتاج إلى تحفظ في المناقشة إذ أن الوحدات التي تتم المقارنة على أساسها إذا كانت ثابتة وموضوعية في حالة الانتاجية المادية فهي ليست كذلك أو على الأقل ليست بهذه الدقة في حالة الانتاجية الاجتماعية وهذه الوحدات أيضاً إذا كانت لاتعتمد على حجم المجموعة أو طبيعة تكوينها في حالة الانتاجية المادية فانها تعتمد فعلا على حجم المجموعة وطبيعة تكوينها في حالة الانتاجية الاجتماعية .

لذلك فإن القدرة الانتاجية للجماعة كتنظيم اجتماعي يمكن تعريفها على أنها درجة التغير في القيم الناتجة عن توقعات أعضاء الجماعة أو درجة التغير في التوقعات ذاتها .

فعلى سبيل المثال نجد أنه في أي جماعة من الجماعات الانتاجية مثل مجموعة من العمال المشتغلين بوحدة صناعية نجد أن أداء Performance أعضاء المجموعة يمهد

دائما التوقع ويرتبط به فكلما تغير نمط الأداء وتغير مدرك الفرد عن أدائه تغير التوقع . ولهذا فإننا نقيس إنتاجية الجماعة بمدى التغير فى التوقع وفى القيمة الناتجة عن هذا التوقع .

ومن هذا يتضح أن تغير مدرك الفرد عن أدائه أو عن أداء الآخرين أو تغير مدرك الفرد عن ذاته أو ذات الآخرين له علاقة أكيدة بقيمة التغير فى التوقع وهى الوحدة التى تقاس بها إنتاجية الجماعة .

وكذلك نجد بجانب هذا أن تكامل الجماعة Integration له صلة أساسية بطاقتها الانتاجية ونعنى بالتكامل مدى مقاومة بناء الجماعة وتنظيمها للضغوط الخارجية التى تهدف إلى تحطيم هذا البناء والتنظيم .

وكذلك نجد بجانب هذا أن الروح المعنوية للجماعة ذات صلة أكيدة بطاقتها الانتاجية إذ أن الروح المعنوية هى درجة الطلاقة أو الحرية التى تتحرك بها الجماعة نحو أهدافها فى وجود العوائق والعوامل المعطلة لحركتها .

وبهذا فإننا نقول أن إنتاجية الجماعة تتصل اتصالا أكيداً بثلاث عوامل أساسية هى مدى التغير فى توقع الأفراد Expectation وتكامل الجماعة والروح المعنوية السائدة فيها .

وهذه العوامل الأساسية الثلاثة إنما تعتمد فى أصولها على عملية تكوين الفرد لمدرك عن صورة ذاته وعلى تكوينه لمدرك عن ذات الفرد الآخر الذى يشترك معه فى موقف اجتماعى أو بمعنى آخر تعتمد أصول هذه العوامل على عملية الادراك الاجتماعى .

ولذلك فقد نشطت البحوث والدراسات فى هذا الموضوع لايجاد علاقة أو لفهم علاقة قائمة بين إنتاجية الجماعة وبين عملية الادراك الاجتماعى كما تحدث بين أفراد الجماعات التى تمر بمواقف الانتاج المختلفة مادية كانت أم اجتماعية .

فنى سنة ١٩٥١ أجرى دارلى ومارتن دراسة للتمييز بين إنتاجية الجماعة

group Productivity وبين نشاط الجماعة group activity حيث وجد الباحثان أن معامل الارتباط بين معدل نشاط أعضاء بعض الجماعات فى عنابر النوم الملحقة بإحدى الكليات الجامعية وبين إنتاجية هذه الجماعات لا يتعدى ٠٫٢ .

وكانت وحدات نشاط الجماعة هى وحدات التفاعل العام خارج المواقف الإنتاجية مثل الأنشطة الاجتماعية والترويحية المختلفة . فى حين أن وحدات الإنتاج كانت هى وحدات إنتاج الجماعات فى المعامل العلميـــة مثل الكيمياء الحيوية وبالورش الهندسية التى يحتاج العمل فيها إلى جماعات صغيرة حيث كانت الوحدات المادية بالإضافة إلى وحدات التكامل الاجتماعى الملاحظ فى حياة الجماعة أثناء الموقف الإنتاجى هى وحدات الإنتاج عموما .

ودراسة أخرى أجراها هورسفول وأرنزبرج فى سنة ١٩٤٩ لإيجاد العلاقة بين التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة وبين طاقتها الإنتاجية . وقد أجريت هذه الدراسة على عمال أحد مصانع الأحذية حيث كانت وحدات الإنتاج هى عدد أزواج الأحذية التى تجهزها المجموعة فى فترة معينة أما وحدات التفاعل الاجتماعى فكانت هى أنواع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد .

وقد استنتج الباحثان من هذه الدراسة أنه لا توجد علاقة بين كمية ومعدل التفاعل الاجتماعى بين أعضاء الجماعات وبين الطاقة الانتاجية لهذه الجماعات .

وفى سنة ١٩٥٦ قام هيمفيل بدراسة مماثلة حيث أثبت أن نشاط الجماعات ممثلا فى معدل أشتراك الأعضاء فى حل مشاكل الجماعة له علاقة موجبة بإنتاجيتها.

هذا نوع من الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان ومنها يستنتج أن كمية النشاط ومعدله لايؤثر على إنتاجية الجماعه بقدر مايؤثر نوع وطبيعة أداء الأفراد فى المواقف الاجتماعية .

أما النوع الثانى من الدراسات فقد أجرى بهدف إيجاد العلاقة بين حجم المجموعة وقدرتها الإنتاجية .

فقد وجد لودج وبرنر فى سنة ١٩٥٧ أن الطاقة الإنتاجية للمجموعات

الكبيرة تفوق نظيرتها فى المجموعات الصغيرة وذلك فى معالجة المشاكل التجريدية فى حين أن إنتاجية المجموعات الصغيرة تفوق إنتاجية المجموعات الكبيرة عند معالجة المشكلات العملية أو بمعنى آخر مشكلات الأداء .

وفى سنة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ اتفق بلوم وروزبارا وآخرون على أن الجماعات الصغيرة أكثر انتاجية من الجماعات الكبيرة عموماً وأنه عندما يتغير حجم المجموعة بالزيادة أو النقص فإن المتغيرات والعوامل المتعلقة بالطاقة الإنتاجية لها لا تصبح ثابتة بشكل منتظم .

وكذلك فنى سنة ١٩٤٩ وجد ماريوت أن الإنتاجية فى بعض الجماعات الصناعية تقل كلما زاد عدد العمال .

كما أن كفاءة الجماعة وإنتاجيتها لا تعتمد فقط على حجمها ولكنها تعتمد أيضاً على نوع وطبيعة المشكلة محل البحث سواء كانت من النوع التجريدى الذى يحتاج إلى معالجة ذهنية أو من النوع العملى الذى يصطبغ بضرورة الأداء .

والنوع الثالث من هذه الدراسات أجرى حول العلاقة بين تنظيم المجموعة وطاقتها الإنتاجية فقد وجد فرنش فى بعض دراساته أن هناك تناسب طردى موجب بين تنظيم الجماعات وطاقتها الإنتاجية سواء من الناحية المادية أو من الناحية الاجتماعية . وذلك بغض النظر عن حجم الجماعة أو معدل النشاط فيها .

ثم أوضح هيمكى وبيلز وبورجاتا فى سنة ١٩٥٣ أن أول ما يمكن تسجيله من نشاط الجماعة حديثة التكوين هو إيجاد تنظيم داخلى لها وأحداث تمايز فى تركيبها وبنائها قبل أن تبدأ الجماعة فى مزاولة أى عملية من عمليات الإنتاج .

وفى سنة ١٩٥٧ اتفق سميث وهول وآخرون بناء على نتائج التجارب التى قاموا بها على أن إنتاجية الجماعة تزيد كلما اتضح دور كل فرد فيها نتيجة تمايز الأوضاع النسبية بين الأفراد وتقل كلما كان تركيب الجماعة بسيطا أى أنه لا يوجد تمايز بين أوضاع الأفراد فيها .

وكذلك فقد وجد شو وكريستى فى سنة ١٩٥٤ أن إنتاجية الجماعة تكون فى أعلى حالاتها عندما يسمح تركيب الجماعة باتصال الأفراد بعضهم ببعض عن طريق فرد يتوسط هذا التركيب من الناحية السوسيومترية وتكون الانتاجية فى أقل حالاتها إذا كان هذا الاتصال يتم فى خطوط متوازية أو بمعنى آخر : أن التركيب المتمايز الذى يمهد لتعاون تنظيمى أكثر فاعلية مع التركيب المتماثل أو غير المتمايز .

والنوع الرابع من الدراسات اهتم بالدوافع والعمليات النفسية الفردية المتعلقة بإنتاجية الجماعة فقد وجد مودفى ونيوكب أن دافع المنافسة يرفع مستوى الأداء وبالتالى يرفع معدل الإنتاجية وذلك بناء على دراسة أجريت على عدد من المجموعات الدراسية . وكذلك وجد الباحثان أن سرعة الأداء تتناسب طردياً مع درجة إنتاجية الجماعة .

وفى سنة ١٩٥٦ اقترح بيبنسكى وباقليك نظرية لتفسير دوافع الإنتاج فى الجماعة على أساس أن كل أداء له بعدان : بعد يعتمد على القيمة النظرية التى يهدف الأداء إلى تحقيقها وبعد آخر يعتمد على عملية الأداء نفسها ثم إمكانية الاستفادة من تطبيقها .

ثم قام هير بعد ذلك بشرح وتوضيح الانتاجية والدوافع المسببة لها على أساس قانون الأثر لثورندايك فقال أن الأداء يزداد معدله إذا تلقى الفرد أى نوع من أنواع المكافأة أو التقدير كما أن هذا المعدل ينخفض إذا لم يتلق الفرد التقدير المتوقع أو تأخر هذا التقدير .

كما يرى بيبنسكى بناء على بعض تجاربه أن معدل إنتاجية الجماعة يرتفع عندما يقتنع الأفراد أعضاء الجماعة أن ما يقومون به من عمل يتفق مع قيمهم واتجاهاتهم الاجتماعية .

ويؤكد جونس نفس النتيجة السابقة ويضيف إليها أن اقتناع الأفراد بأهداف الجماعة يؤثر على إنتاجيتها .

وأما النوع الخامس والأخير من هذه الدراسات فقد تزعمه فى واقع الأمر فيدلر وكرونباخ ابتداء من ١٩٥١ حتى ١٩٥٨ حيث قاما بدراساتهما على بعض الفرق فى البحرية الأمريكية وكذلك بعض النوادى الرياضية وخاصة فرق كرة السلة .

وتتمركز دراسات فيدلر وكرونباخ فى علاقة إنتاجية الجماعة بعملية الإدراك الاجتماعى عند أفرادها .

ومما لا شك فيه فإنه من المفيد أن نتناول هذه الدراسات بشىء من المناقشة والتفصيل .

لقد حاول الباحثان الإجابة عن سؤالين :

أولهما : إلى أى مدى تختلف الجماعات المنتجة وغير المنتجة من حيث كونهما جماعات نفسية ؟

وثانيهما : أى الخصائص الزعامية والموقفية تساعد الجماعة على أن تكون جماعة منتجة ؟

وفى هذه الدراسات يقول فيدلر وكرونباخ أن إنتاجية الجماعة تعتبر الأساس الذى تقاس بناء عليه قدرة القائد أو الزعيم على توجيه الجماعة . أو بمعنى آخر لا يعتبر الزعيم قادراً إذا عجزت جماعته عن تحقيق الهدف من قيامها وتكوينها. ولكن على الرغم من هذا المبدأ الذى اتخذه الباحثان إلا أنهما أخذا فى اعتبارهما جماعات نشطة فعالة يقودها قادة غير أكفاء .

وواضح من ذلك أن هناك شىء عادى ولا أريد أن أقول تضارباً أو مغالطة فيما افترضه الباحثان والمنهج الذى سارا عليه فى دراستهما .

وهذا وقد قام فيدلر وكرونباخ بدراسات عديدة على فرق كرة السلة فى إحدى المدن الأمريكية فوجدا أن قادة الفرق المنتجة يجب أن يكون لهما خاصتان سلوكيتان :

أولهما : المكانة السوسيومترية العالية التى تسمح للقائد أن يكون دائماً بؤرة اختيارات الجماعة وهدف شعورهم أثناء تفاعلهم مع بعضهم البعض .

وثانيهما : القدرة على الاحتفاظ ببعد نفسى اجتماعى مناسب بين الذات وبين المعاونين حتى يضمن القائد استمرار انتقال التعليمات وحتى يمكنه أن يتخلى عن أحدهم أو يغير فى أوضاعهم النسبية إذا دعت ظروف التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة لذلك .

كما وجد الباحثان أيضاً أن قادة الفرق المنتجة يتميزون بقدرة كبيرة على تقدير الفرق النفسى بين سمات شخصية أحب المعاونين إليهم وأبعدهم عنهم .

ووجدا أيضاً أن الإدراك الاجتماعى فى الجماعات المنتجة يختلف عن نظيره فى الجماعات قليلة الانتاج حيث افترضا أنه يمكن قياس الإدراك الاجتماعى عن طريق درجات المكانة السوسيومترية ودجات التشابه المفترض بين الأفراد .

وأما التعليق أو النقد الذى يمكن أن يوجه إلى دراسة فيدلر وكرونباخ يمكن تلخيصه فى النقص فى عدد أبعاد الإدراك الاجتماعى الذى اعتمدت عليها الدراسة فقد أخذ الباحثان فى اعتبارهما فقط الفرق بين صورة الذات أو وصف الذات عند القائد وبين فكرة القائد عن معاونيه وكذلك قدرة القائد على التمييز بين السمات الشخصية لأقرب المعاونين إليه وأبعدهم عنه .

وحتى فيما اعتبره الباحثان أبعاداً للادراك الاجتماعى هناك ما يؤخذ عليهما من الناحية السيكلوجية وهذا أمر متوقع لشدة كلف الباحثين بالنواحى الإحصائية. فى القياس الذى استخدمه الباحثان يظهر بوضوح أثر عامل الميل نحو المعايير الاجتماعية أو الرغبة الاجتماعية Social desirability variable وهو أكبر خطر يهدد مقاييس صورة الذات على وجه الخصوص .

ويؤخذ عليهما أيضاً اعتبار عدد المباريات التى فاز فيها الفريق هو مقياس إنتاجيته ذلك لأن رياضة كرة السلة — كأى رياضة من الرياضات — أساسها القدرة الفنية والمهارة الفردية لكل عضو من أعضاء الجماعة بغض النظر عن الجو الاجتماعى الذى يسود الفريق .

وفى جميع الحالات فإنه لا شك فى أن دراسات فيدلر وكرونباخ تعتبر من الدراسات الرائدة فى هذا الميدان .

وفى سنة ١٩٦٤ قام المؤلف بدراسة تختص بالعلاقة بين الإدراك الاجتماعى وإنتاجية الجماعات الصغيرة . وقد أجريت هذه الدراسة فى أحد معسكرات العمل حيث أتيحت الفرصة للباحث لأن يقيم إقامة دائمة مع المتطوعين بالمعسكر .

وكانت الأعمال الرئيسية التى يقوم بها المتطوعون هى أعمال الرى والزراعة (غرس الأشجار) ورصف وتعبيد الطرق وغير ذلك من الأعمال المماثلة وكما هو واضح فإن جميع هذه الأعمال تتطلب المجهودات الجماعية وروح الفريق .

وقد اختصت هذه الدراسة بثلاثة وثلاثين مجموعة عدد كل منها سبعة أفراد فى المتوسط بالإضافة إلى رائد سبق تدريبه على كثير من النواحى القومية والاجتماعية . وكان جميع أفراد الجماعة بالإضافة إلى الرائد يقضون كل الوقت متلازمين وكذلك عند النوم فى خيام المعسكر . ولذلك نستطيع أن نقول أن عملية التفاعل المباشر بين أعضاء هذه الجماعات كانت تتم وتستمر بصورة كافية تسمح بالقياس والتقدير .

وأما البرنامج اليومى للجماعات فكان يبدأ بمغادرة المعسكر إلى حقول العمل وذلك فى الصباح المبكر حيث يستمر العمل من السابعة والنصف تقريباً حتى الواحدة والنصف وبعد ذلك تبدأ فترة النشاط الرياضى من الخامسة حتى السادسة والنصف . ومن السابعة حتى التاسعة تعقد حلقات للدراسات القومية والاجتماعية لكل مجموعة على حدة مع رائدها .

وبذلك فإنه يمكن القول أنه فى الحياة اليومية لكل جماعة ثلاثة أنواع من المواقف يمكن تقدير إنتاجيتها على أساسها هى :

١ — مواقف العمل أو الأداء وتشمل مواقف النشاط الفعلى فى ميادين العمل مثل غرس الأشجار أو الرى أو عدد وحدات تعبيد الطريق ودك الأحجار وما إلى ذلك .

٢ — مواقف التفاعل الحر وتشمل تفاعل الأفراد أثناء فترات الرياضة أو الراحة أو السمر وهكذا .

٣ — مواقف الدراسة والمناقشة وهذه تتمثل فى الحلقات الدراسية التى تعقدها كل جماعة على حدة .

هذا وقد افترض المؤلف عدة فروض لتكون هيكلا لهذه الدراسة وهى :

١ — التنظيم السوسيومترى الأمثل يميز الجماعات ذات الانتاج العالى : ذلك بمعنى أن كثرة الروابط المزدوجة بين أعضاء الجماعة أو شدة الميل إلى الجماعات المغلقة يؤثر على الإنتاج تأثيراً عكسياً .

٢ — المركزية فى التنظيم السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة : بمعنى أن وجود فرد يتفق بقية الأعضاء على اختياره أو رفضه سوسيومترياً يؤثر طردياً على معدل الإنتاج .

٣ — كثافة الاشتراك السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة : بمعنى أن كثرة المنعزلين وغير المهتمين من الأفراد يقلل معدل إنتاجية الجماعة .

٤ — الفرق بين صورة الذات عند الفرد وبين فكرة الآخرين عن هذا الفرد له علاقة بإنتاجية الجماعة .

٥ — قدرة الفرد على التمييز بين سمات أقرب المعاونين إليه وأبعدهم عنه تتناسب مع إنتاجية الجماعة التى ينتمى إليها .

٦ — هناك حالة مثلى لدرجات الادراك الاجتماعية تبلغ إنتاجية الجماعة عندها أقصى حالاتها .

ومن هذه الافتراضات نرى أن هذه الدراسة تهتم بعلاقة إنتاجية الجماعة بتنظيمها ونمط الادراك الاجتماعى فيها مع تثبيت حجم الجماعة ومعدل النشاط فيها .

وقد بدأت خطوات الدراسة بأن يقوم كل رائد من رواد الجماعات بتسجيل كامل للنشاط اليومى لجماعته فى حقول العمل وأثناء النشاط الحر وفى حلقات

المناقشة . ونتيجة لذلك فقد وضع منهج لتحليل محتوى التفاعل الاجتماعى وذلك ليكون أساساً لتحليل التسجيلات .

ففى المواقف العملية كانت وحدات التحليل كما يلى :

أداء ابتكارى	محاولة مخططة	توضيح تعليمى
أداء فعال	محاولة ناجحة	توضيح تنظيمى
أداء معاون	محاولة معادة	

وفى المواقف الحرة كانت وحدات التحليل كما يلى :

تكوين الشلل (الجماعات)	الاستقطاب	المبادأة
الاشتراك الاجتماعى	الانطواء	الحساسية
سرعة الحركة والانتقال	الممانعة الاجتماعية	

وفى مواقف المناقشة كانت الوحدات كما يلى :

فتح باب المناقشة	اقتراح معاون	تغيير مجرى المناقشة
اقتراح ابتكارى	قرار فى صورة اقتراح	إعطاء المعلومات
اقتراح فعال	التأثير على اتخاذ قرار المجموعة	

ثم اعتبر الانتاج فى كل مجموعة مكونا من نوعين هما :

(ا) الانتاج المادى : وهو الذى يمكن تقديره بعدد الوحدات المادية التى قامت بها المجموعة مثل عدد الأشجار التى غرسها الأعضاء أو عدد الأمتار المربعة من الطريق التى قامت بتمهيدها .

(ب) الإنتاج الاجتماعى : وهو حصيلة التفوق فى التحليل اليومى لمحتوى تفاعل المجموعة أو بمعنى آخر مقدار التغير اليومى فى قيم التفاعل .

وبناء على ذلك تم تقسيم المجموعات الثلاث والثلاثين إلى ثلاثة أنواع :

(ا) مجموعات فائقة الانتاج .

(ب) « متوسطة الانتاج .

(حـ) مجموعات أقل من المتوسط فى الانتاج .

وبعد حساب درجات الإدراك الاجتماعى على أساس بعض أبعاد الشخصية التى تم قياسها وبعد تطبيق اختبار سوسيومترى أمكن الوصول إلى النتائج التالية :

١ ـ بمقارنة الجماعات فائقة الإنتاج بالجماعات الأقل من المتوسط يمكن أن تؤكد أن عدد الروابط المزدوجة والأفراد الذين لم يوجه إليهم أى اختيار والأفراد المنعزلين يرتبط بقلة الإنتاج. فى حين أن العلاقات المتسلسلة والمركزية وكثافة الاختيار السوسيومترى ترتبط بالمعدل الأعلى للإنتاج .

٢ ـ فى حالة الجماعات فائقة الإنتاج نجد أن عدد مراكز الاختيار الاجتماعى (الزعامات) ومراكز الرفض أقل بصورة واضحة عن نظيره فى الجماعات قليلة الإنتاج .

ويمكن تعليل هذا بأنه نتيجة للتفاعل الصحيح الناجح تظهر زعامة يتفق عليها بقية أعضاء الجماعة ويحدث العكس فى حالة التفاعل الفاشل كأن تظهر زعامات مختلفة متنازعة أو زعامات ضعيفة متناثرة . ويمكن أن نستنتج من هذا أن التفاعل الناجح يرتبط بالإنتاج الأعلى .

٣ ـ فى الجماعات فائقة الانتاج تقل المسافة بين صورة الذات عند الفرد وبين فكرته عن أقرب معاونيه وذلك عن مثيلتها فى الجماعات قليلة الانتاج . بينما يحدث العكس فى حالة الشخص الذى لا يفضل التعاون معه .

٤ ـ فى الجماعات فائقة الانتاج تزيد المسافة بين السمات الشخصية للفرد المفضل وبين السمات الشخصية للفرد غير المفضل كما يدركها الفرد الذى يعطى الاختيار أو الرفض عن مثيلتها فى الجماعات قليلة الإنتاج .

٥ ـ فى الجماعات فائقة الإنتاج تكون هناك فرصة لتطابق وصف المعاون المفضل لنفسه ووصف الفرد الذى اختاره له أكثر منها فى الجماعات قليلة الإنتاج .

٦ ـ الحالة المثلى للإدراك الاجتماعى وفى أعلى درجات الاتناجية الاجتماعية بالذات يمكن وصفها كما يلى :

ـ الفرق بين حقيقة شخصية (ا) وشخصية (ب) يساوى تقريبا الفرق بين تقدير (ا) لنفسه وبين تقدير (ا) لشخصية (ب) يساوى تقريباً الفرق بين تقدير (ا) لنفسه وبين تقدير (ب) لشخصية (ا) .

ـ والفرق بين تقدير (ا) لـ (ب) وبين تقدير (ا) لـ (حـ) يصل إلى أعلى درجته .

حيث (ب) هو الفرد المفضل ، (حـ) الفرد الذى لا يفضـل (ا) التعاون معه .

الفصل الثامن

قياس الاتجاهات والاهتمامات والقيم

فى هذا الفصل سوف نتعرض بالدراسة والتحليل لموضوع اعتبره علماء الدراسات السلوكية والنفسية أنه أهم مواضيع علم النفس الاجتماعى بل لقد ذهب البعض إلى اعتباره أنه هو الميدان الوحيد لذلك العلم .

ويستند أصحاب هذه الآراء إلى أن جميع الظواهر الاجتماعية النفسية بسيطة كانت أم معقدة خاصة أو عامة تخضع فى أساسها لمحددات السلوك الإنسانى الذى يوجهه ويسيطر عليه تركيب خاص يسمى الاتجاه النفسى ، بالإضافة إلى القيم والاهتمامات التى تؤثر بقدر واضح وفعال على هذا السلوك .

فالقيمة كما سبق أن تعرضنا لها هى تلك الدينامية التى تدفع الإنسان إلى سلوك معين فى موقف معين . أو بمعنى آخر هى ذلك التنظيم الخاص للخبرة الناتجة عن مواقف الاختيار والمفاضلة والذى يدفع الفرد إلى أن يتصرف بصورة محددة فى مواقف حياته اليومية .

والقيمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسلوك الفرد طالما أنها هى التى تكمن وراءه فعلى سبيل المثال عندما يصدق الطفل فى حديثه ولو أنه سوف يشعر بشىء من الألم نتيجة اعترافه صدقا بما فعله فإنما يؤكد ذلك أن الطفل لم يصدر عنه مثل هذا السلوك إلا لقوة التنظيم الخاص للخبرة والذى نسميه فى هذه الحالة قيمة الصدق.

وبالتالى فإن هذا السلوك (أو الأداء) يكون جزءا من التفاعل الاجتماعى للأفراد الذى يبنى شبكة العلاقات البشريه أو الاجتماعية داخل الجماعة . هذه العلاقات البشرية بطبيعتها وتكوينها تحدد مواقف الاختيار والتفاضل التى تنشأ

. فيها القيم كما تحدد أيضا وسائل وعمليات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى التى عن طريقها تنتقل القيم من جيل إلى جيل ومن بيئة إلى أخرى .

ولهذا فإننا نقول أن هناك علاقة بين القيمـــة والسلوك وشبكة العلاقات الاجتماعية وبناء عليه يمكن أن نقول أنه يمكن قياس القيمة عن أحد طريقين إما السلوك البشرى فى موقف معين أو تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية فى جماعة معينة .

والقيم فى واقع الأمر مجموعة من الاتجاهات العقلية نشأت عن مواقف اجتماعية تميزت بحدة الاختيار أو المفاضلة بحيث يستخدمها الفرد فى إصدار أحكامه عندما يمارس التفاعل المستمر مع عناصر بيئته الخارجية. وبمعنى آخر فإن هذه القيم بالإضافة إلى الاتجاهات والمعايير تكون وحدات الضمير الاجتماعى الذى ينصبه الإنسان حكما على أحداث حياته اليومية . وهنا يجب أن نفرق بين القيمة والمعيار .

فالقيمة تنظيم خاص للخبرة أو دينامية خاصة توجه سلوك الأفراد وهى كما قدمنا تنشأ عن المفاضلة وتنتقل عن طريق التطبيع أو التنشئة . وأما المعيار فهو مصطلح قياسى أو بعد متفق عليه لتقدير الخطأ والصواب فى سلوك الفرد عضو الجماعة . وبهذا المفهوم يمكن أن نقول أن المعيار إطار جماعى للحكم على سلوك الفرد حيث اكتسب هذا الإطار صفة الاستقرار والثبوت النسبى نتيجة إجماع الأفراد — أى الجماعة — على صلاحيته للقياس .

والمعايير تشكل نماذج الثقافات المختلفة — بجانب وظيفتها فى تقدير وقياس السلوك الفردى — فنجد على سبيل المثال أن بعض المجتمعات البدائية تحرم تحريما قاطعاً تشبيه الإبن الذكر بأمه أو أخته بينما تقر تشبيه الإبن بأبيه أو عمه أو جده .

وبعض المجتمعات الأخرى لا تعترف بالتقويم الفلكى الذى يصطلح عليه الناس فى تقديرهم لفصول السنة الأربعة ولكنها تدرك الزمن إدراكا يعتمد على رائحة الزهور التى تتفتح فى كل فصل من فصول السنة .

وهكذا نجد أن كل مجتمع له من معاييره — فى شتى المجالات — ما يميزه عن المجتمعات الأخرى .

وبذلك يمكن أن نفرق بين القيمة والمعيار .

وأما عن قياس القيم فإن المجهود الذى بذل فى هذا الميدان ليس كافياً إذا قورن بما بذل فى ميدان قياس الاتجاهات .

ويمكن قياس القيمة الاجتماعية عن طريق الملاحظة العلمية الدقيقة لسلوك الفرد فى المواقف الحقيقية التى يمر بها فى حياته اليومية ثم تسجيل وتحليل هذه الملاحظة واستنتاج القيم التى وجهت سلوك الفرد فى هذه المواقف .

كما يمكن قياس القيمة أيضاً عن طريق تسجيل الحوار — أو التفاعل اللفظى — الذى يحدث بين فرد وآخر وذلك فى مواضيع اجتماعية مختلفة ثم يتم بعد ذلك تحليـــل محتوى هذا التسجيل لتصنيف واستنتاج القيم التى تكمن وراء آراء وأحاديث الفرد .

وهناك طريقة ثالثة لقياس القيم وهى أن يقوم الفرد بإجابة اختبار أو استفتاء مباشر لتحديد أنواع القيم التى يستخدمها فى حكمه على الأشياء أو فى سلوكه العام .

ولقد حاول دور وهافيج هيرست قياس القيم عند مجموعة من المراهقين وذلك فى دراسة أجراها الباحثان لإيجاد العلاقة بين شخصية المراهق وأنماط سلوكه .

وقد صمم الباحثان استفتاء يتكون من عدة أسئلة مفتوحة ليكتب المراهق فى النواحى التالية :

١ — الشخصية التى يعجب بها .

٢ — مثله العليا ومصادرها .

٣ — أبطال أحلامه .

وبعد ذلك قام الباحثان بتحليل استجابات الأفراد وتصنيف القيم التى وردت فى كتابات كل فرد منهم . وبذلك أمكنهما ترتيب هذه القيم ترتيباً إحصائياً مستخدمين درجات معيارية فى ذلك لإنشاء مقياس للقيم الاجتماعية بين هذه المجموعة من المراهقين .

وقد قارن الباحثان بعد ذلك نتائج قياس القيم الاجتماعية بين أعضاء هذه المجموعة بعدة مقاييس أخرى أهمها :

(أ) المكانة الاجتماعية للأفراد (مقدرة سوسيومترياً)
(ب) التحصيل المدرس (مقدرا عن طريق الاختبارات المدرسية)
(حـ) الذكاء (مقدرا عن طريق اختبار لفظى)

وقد وجد الباحثان هذه النتائج :

(أ) ارتباط القيم الاجتماعية بالمكانة السوسيومترية = ٦١ر.
(ب) « « « بالتحصيل المدرسى = ٦٦ر.
(حـ) « « « بالذكاء = ٤٨ر

وهكذا يتضح من هذه النتائج أن هناك ارتباط موجب واضح بين القيم الاجتماعية والمكانة السوسيومترية والتحصيل المدرسى والذكاء وربما يمكن أن نفسر هذه العلاقة بالافتراض الذى سبق الإشارة إليه وهو أن هناك علاقة قائمة بين القيم وشبكة العلاقات الاجتماعية فى الجماعة حيث أن المدخل إلى هذه الشبكة هو التنظيم أو البناء السوسيومترى للجماعة .

وكذلك فإن التحصيل المدرسى والذكاء وخاصة بين مجموعة من المراهقين يحدد إلى مدى بعيد موقع الفرد من شبكة العلاقات الاجتماعية وهذا يفسر أيضاً ما ذهبنا إليه فى أن قياس القيم يمكن أن يتم عن طريق تقدير بناء شبكة العلاقات الاجتماعية .

هذا وقد دلت الدراسات الفردية التى قام بها الباحثان على أن جميع الذين حصلوا على درجات عالية فى مقياس القيم الاجتماعية حصلوا أيضاً على درجات عالية فى مقاييس المتغيرات الثلاثة الأخرى أما الذين حصلوا على درجات قليلة فى مقياس القيم كانت درجاتهم متباينة لا توضح اتجاها ثابتاً بالنسبة لهذه المتغيرات الثلاثة .

وقد قام القوصى وآخرون بدراسة على مجموعة من المراهقين من بيئات مختلفة وقد اتبع الباحث فيه أسلوب مشابه للأسلوب السابق .

وقد كانت نتيجة البحث تأكيداً لأثر البيئة على القيم عند الشباب المراهق فقد وجد الباحث أن القيم المتعلقة بالحياة الأسرية أكثر عمقاً بين المراهقين من الريف عنها بين المراهقين فى المدينة .

كما وجد أيضا أن قيم احترام كبر السن وخاصة بين الأقارب تعتبر من القيم السائدة فى مختلف البيئات وكذلك القيم الدينية والقدرية وخاصة فى بيئة الريف .

ومن الدراسات الرائدة فى هذا الميدان ما قام به ألبورت وفرنون لقياس القيم عموماً حيث اعتمدت هذه الدراسة على ما اقترحه سبرانجر عن « أنماط البشر » .

وقام الباحثان بتصميم استفتاء لتحديد الموقف النسبى لكل فرد على سته أنواع من القيم هى :

١ ــ القيمة النظرية أو العلمية .
٢ ــ القيمة الاقتصادية أو الاستغلالية .
٣ ــ القيمة الجمالية أو الفنية .
٤ ــ القيمة الإجتماعية أو الإنسانية .
٥ ــ القيمة السياسية أو قيمة عشق القوة والسيطرة .
٦ ــ القيمة الدينية أو الروحية .

وقد استخدم الباحثان أسلوب الاختيار القهرى فى عرض عبارات الاستفتاء حيث طلب من المفحوص أن يرتب إجابات أربعة لسؤال واحد حسب تفضيله لهذه الإجابات الأربعة .

مثـــال ذلك :

إذا كنت تستطيع توجيه سياسة التعليم فى بلد ما فهل :

(أ) تشجع دراسة التمثيل والأداء المسرحى . . . .

(ب) تساعد على تنمية روح التعاون والخدمة العامة . . . .

(ح) تعتمد ميزانية أكبر الأدوات العلمية والمعامل . . . .

(٤) تشجع بنوك الإدخار المدرسية من أجل التعلم فى حالة التقشف . . .

فإذا وضع المفحوص العبارة (ح) فى قمة الترتيب أعطى درجة تساوى ٣ وذلك بالنسبة للقيمة العلمية أو النظرية . وإذا وضع العبارة (ا) فى قاع الترتيب أعطى (صفر) وذلك بالنسبة للقيمة الفنية أو الجمالية . وهكذا .

ويعتبر اختبار ألبورت وفرنون من الاختبارات الرائدة فى موضوع قياس وتقدير القيم الاجتماعية .

ويمكن أيضا قياس القيم عن طريق دراسة البناء أو التكوين السوسيومترى للجماعة تحت الظروف المختلفة . فعلى سبيل المثال عندما تتعرض الجماعة لضغط اجتماعى أو اقتصادى معين فإن التجمعات السوسيومترية أو الروابط المزدوجة أو الأوضاع الانعزالية إنما يدل كل منها على انتشار قيمة معينة تتناسب مع الضغط المبذول على الجماعة .

فى واقع الأمر وكما سبق الإشارة إلى ذلك نجد أن شبكة العلاقات الإنسانية بتنظيمها وتركيبها إنما تؤثر فى تكوين القيم الاجتماعية وتتأثر بها . فجميع مواقف الاختيار والمفاضلة تنشأ فى إطار هذه الشبكة حيث تتكون عناصرها — هذه المواقف — من وحدات السلوك الإنسانى .

وكذلك فإنه عندما تتكون القيمة فإنما يساعدها على الاستمرار والبقاء أنماط من السلوك والتفاعل تدافع عنها وتؤكد بقاءها .

وعندما يتم تعميق هذه القيمة وتأكيدها تصبح فى موقف يتطلب منها تبرير أنماط من التفاعل والسلوك والدفاع عنها أو العكس بحيث يمكن للقيمة أن تؤكد أو تلغى نوعا أو آخر من السلوك الإنسانى فتدخله وتثبته فى شبكة العلاقات الإنسانية أو تخرجه منها .

ونأتى بعد ذلك إلى ما يمكن أن نسميه الاهتمامات أو الميـول Interests حيث يمكن أن نقول أن هناك تشابها قائماً بينها وبين الاتجاهات بمعناها العام أو الأقل دقة .

وذلك لأن الاهتمام أو الميل إلى شئ ما يعبر فى مضمونه عن الاتجاه نحو هذا الشيء . ولكن رغم هذا يمكن أن نضع خطاً فاصلا — إلى حد ما — بين الميـل والاتجاه وذلك يتضح عندما نقول أن (محمود) يميل إلى أو مهتم بمزاولة الرياضة أو الموسيقى أو التحنيط أو جمع طوابع البريد وهكذا .

كما نقول أيضاً أن (محمود) عنده اتجاه مضاد نحو الأجانب أو أهل الريف أو أهل الصعيد مثلا أو عنده اتجاه موجب نحو التـدين والمسائل الروحية وما إلى ذلك .

وبذلك يمكن أن نستخلص أن الميل أو الاهتمام هو خليط من الإحساسات والمشاعر الذاتية وبعض الأنماط السلوكية الموضوعية . ولهذا فإن الميـل أو الاهتمام يختلف عن الاتجاه كما سيتضح ذلك عندما نناقش الاتجاه .

ومن أحسن المقاييس المعروفة لقياس الميول المهنية مقياس سترونج Strong إذ أنه يوضح كيفية قياس الميل الواحد عن طريق عدة معايير أو محكات مختلفة . وواضح أن هذه المعايير كثيرة ومتنوعة وبعضها قد يتداخل مع البعض الآخر بصورة موجبة (أى متشابهة) أو بصورة سالبة (أى مضادة) فى مقيـاس سترونج يلاحظ أن الميول المهنية أو الوظيفية التى يظهرها الفرد متغيرة غير ثابتة وأحيانا تستند إلى أسس خاطئة من فهم الفرد لخصائص المهنة أو الوظيفة التى يقبلها أو يرفضها .

لذلك قام سترونج بجمع آراء عدد كبير من الأفراد فى تصنيف مجموعة كبيرة من العبارات التى تتصل بميول الأفراد واهتماماتهم . وبناء على ذلك قام ببنـاء مقياس للميول المهنية يحتوى على ٤٢٠ عبارة يمكن أن تصنف حسب رءوس الموضوعات كما يلى :

١ — وظائف : مثل : مثل — باحث اجتماعى — إخصائى دعاية وإعلام — خدمات دينية .

٢ — نواحى التسلية : مثل : لعب الجولف — التنس — الشطرنج أو ما إلى ذلك — تربية الحيوانات الأليفة كالقطط وعصافير الكناريا .

٣ — مواد دراسية : مثل : الجبر — الحساب — علم الحيوان .

٤ — أنشطة مختلفة : مثل : إصلاح الساعات — الدخول فى مناقشات ومناظرات — إدخار النقود — جمع الطوابع .

٥ — أنماط من الناس : مثل : المتفائلون — المتشائمون (من الناس) — الأجانب — الاشتراكيون — الاستغلاليون .

٦ — مشاهير الناس . مثل المغنى الشهير كاروزو — المكتشف أديسون — هنرى فورد وأمثالهم .

وكل عبارة من عبارات هذا المقياس يتبعها ثلاث احتمالات كما يلى :

أميل   غير مهتم   لا أميل

حيث يقوم المفحوص بوضع خط تحت الاستجابة التى تناسبه فإذا كان يميل إلى محتوى العبارة يضع خطاً تحت الاستجابة الأولى (أميل) وإذا لم يستطع أن يحدد شعوره نحوها أو لايهتم بها يضع خطاً تحت الاستجابة الثانية (غير مهتم) وإذا كان لايميل إلى محتوى العبارة يضع خطاً تحت الاستجابة الثالثة .

كما يطلب من المفحوص الإجابة بسرعة عن هذه العبارات . ولو أنه ليست هناك حدود للوقت فى الإجابة فإنه من المفروض ألا يستغرق الإجابة عن المقياس أكثر من ٣٥ دقيقة .

ويمكن (تصحيح) هذا الاختبار أو المقياس بعدة طرق مختلفة ولكنها جميعا تعتمد على تصنيف الاستجابات التى جمعها سترونج لبناء هذا المقياس من أصحاب عدة مهن مختلفة مثل الفنانين — المهندسين — الأطباء — الفلاحين — البائعين فى محلات التجارة وهكذا .

ويمكن أن نعطى المثال التالى :

مهنة الممثل : أميل إليها غير مهتم بها لا أميل إليها

حيث أعطيت هـــذه العبارة لمجموعة من مديرى الأعمال وطلب منهم الاجابة عليها .

فإذا كانت النتيجة كما يلى ممثلة بالنسبة المئوية :

	يميل	غير مهتم بها	لا يميل	
مدير الأعمال	٤٩	٣٨	١٣	
الآخرون (من المهن الأخرى)	٣٨	٣٥	٢٧	(هذه النسبة مشتقة
الفرق	١١+	٣+	١٤ –	من المجموعة الأصلية)

وهذا يعنى أن مديرى الأعمال يميلون بصورة عامة إلى مهنة التمثيل وبهذه الطريقة يمكن أن نعين درجات كل مجموعة مهنية على حدة .

وكذلك يمكن تعيين درجة الفرد من أى مهنة إذا أخذنا فى الاعتبار المجموع الجبرى لدرجات إستجاباته عن العبارات المختلفة التى تقيس ميلا واحداً فى حالة ما إذا كانت الدرجات كما يلى بالنسبة لكل عبارة :

يميل	٣+
لايهتم	١+
لايميل	٣–

وفى واقع الأمر أن تصحيح مثل هذا المقياس (مقياس سترونج) يستغرق وقتاً طويلا لأنه يحتوى على حوالى أربعين مهنة مختلفة لذلك فقد صممت استمارة خاصة للإجابة يمكن تصحيحها عن طريق الماكينات الخاصة .

ومن المقاييس الأخرى المعروفة مقياس كودر Kuder لقياس الميول المهنية بين طلبة الكليات الجامعية والبالغين عموماً . ويختص هذا المقياس بعدة نواح هى:

الميول الميكانيكية : عمليات الحل والتركيب وإصلاح الآلات وما إلى ذلك .

الميول الحسابية : وعمليات الحساب والإحصاء والرياضيات عموماً .
الميول العلمية : القراءة العلمية والتجريب المعملى وهكذا .
الميول الإقناعية : ميل الفرد للعرض المنمق ومهارات البائعين عموماً .
الميول الفنية : الرسم والنحت والتصوير .
الميول الأدبيه : قراءة القصص وكتابة الموضوعات الأدبية وما إلى ذلك .
الميول الموسيقية : عزف الموسيقى (أحد الآلات) أو الغناء .
الميول الاجتماعية: الدراسات الاجتماعية والاتصالات الإنسانية والعلاقات العامة
الميول الكتابية : الإدارة والمراسلات وهكذا .

ويستخدم هذا الاختبار أو المقياس على نطاق واسع وخاصة فى مجالات الاختيار المهنى والتوجيه بين طلبة الكليات والمعاهد العالية ويمتاز عن مقياس سترونج فى أنه لايستغرق وقتاً طويلا فى التصحيح واستخلاص درجة المفحوص .

ومن المقاييس التى تستحق الذكر فى هذا المجال أيضاً مقياس كلارك Clark ومقياس جارتسون Garretson لقياس الميول الأكاديمية والتكنيكية والتجارية بين طلبة المدارس الثانوية .

ويجب أن نلفت النظر هنا إلى أن المفحوص يستطيع أن يتحكم فى درجته كيفما شاء لأنه يستطيع أن يعطى الاستجابات التى تناسب الموقف .

فعلى سبيل المثال إذا كانت هناك وظيفة من نوع معين أعلن عنها فسوف يتقدم إليها من هو محتاج إليها دون أن يكون له ميل لها . وهو يستطيع بدافع الحاجه أن يرفع درجه الميل إليها على أى مقياس - وسوف يتقدم إليها أيضاً من هو محتاج إليها وله ميل لها وبذلك تكون مهمة المقياس صعبة فى التمييز بين النوعين .

ولذلك فقد اقترحت عدة حلول لذلك أهمها طريقة الاختيار القهرى الذى سبق أن تعرضنا لها فى موضوع قياس الشخصية .

وعلى الرغم من ذلك فإنه يمكن أن نقول أن مقاييس الميول والاهتمامات

بصورتها الحالية يمكن أن تؤدى الفرض منها لو أن المفحوص يعتقد تماماً أن من مصلحته الإجابة بصراحة ودقة على عبارات المقياس .

وقد قام ثورندايك بدراسة ميول البالغين تحت حوالى أربعين موضوعا مختلفة وعلى أساسها صنف ميول واهتمامات البالغين .

وكذلك فقد قدم جيلفورد وشنايدمان وتسيمرمان مقياسا لميول قضاء وقت الفراغ يضم ١٨ ميدانا يقيس كل منها عشرون عبارة مستقلة .

وأما وايمان فإنه يقيس اهتمامات وميول المتفوقين عن طريق اختبارات بنيت على أساس التداعى الحر للكلمات ، حيث أخذت مجموعات من الأطفال بعد أن قام المعلمون بتصنيفهم حسب قدراتهم الأكاديميــــة ، والاجتماعية ، والنشاطية .

بعد ذلك قام الفاحص بعرض مجموعة من الكلمات على الأطفال وسجل استجاباتهم فى جداول خاصة اتخذت أساساً للقياس فيما بعد . وبمعنى آخر فإن الأطفال ذوى الميول الأكاديمية تعتبر استجاباتهم معيارا للاستجابات المشابهة أى من يعطى مثل هذه الاستجابات من الأطفال الآخرين يعتبر لميول أكاديمية . وهكذا بالنسبة للمجموعات ذات الميول الاجتماعية والنشاطية .

ولكن التجارب التى أجريت بعد ذلك أثبتت أن هذه الطريقة ــ والطرق المشابهة ــ ليست صحيحة أى أن معامل صحتها بسيط .

نأتى الآن إلى الجزء الثالث والأخير من هذا الفصل حيث نناقش الاتجاهات النفسية وطرق تقديرها وقياسها .

فالاتجاه النفسى هو تركيب عقلى نفسى أحدثته الخبرة الحادة المتكررة ويمتاز بالثبات أو الاستقرار النسبى . ومن أمثلة الاتجاهات النفسية كراهية المصريين للانجليز وحبهم للألمان (فى زمان ما) .

وكذلك حب الأطفال لمغامرات سوبرمان واتجاههم نحو سوبرمان نفسه

وحب الفرد لأنواع خاصة من الطعام وكرهه لأنواع أخرى . وكذلك ميل الفرد لأهل بلد معينة أو محافظة معينة أو كراهيته لهم .

ــ ويرى ثرستون أن الاتجاه النفسى هو تعميم لاستجابات الفرد تعميما يدفع بسلوكه بعيدا أو قريباً من مدرك معين ــ وبهذا فإنه يؤكد الموجهات العامة للسلوك الإنسانى .

ــ وكذلك فإن بوجاردس يعرف الاتجاه بأنه ميل الفرد الذى ينحو بسلوكه تجاه بعض عناصر البيئة أو بعيداً عنها متأثراً فى ذلك بالمعايير الموجبة أو السالبة تبعاً لقربه من هذه العناصر أو بعده عنها . وبهذا فإنه يؤكد البيئة الخارجية .

ــ وأما توماس وزنانكى فإنهما يتفقان على أن الاتجاه النفسى هو موقف الفرد حيال إحدى القيم أو المعايير السائدة فى البيئة الاجتماعية . فموقف الفرد من جريمة السرقة فى مجتمع يدعو إلى الأمانة إنما تحدده المعايير القائمة ومدى تأثر الفرد بها .

ــ ويصف ألبورت الاتجاه بأنه حالة من التهيؤ والتأهب العقلى العصبى التى تنظمها الخبرة وتستطيع أن توجه استجابات الفرد للمواقف والمثيرات المختلفة .

وهذا التهيؤ والتأهب قد يكون مؤقتاً أو لحظياً أو قد يكون ذا مدى بعيد . فالتأهب المؤقت ينتج بطبيعة الحال من التفاعل اللحظى بين الفرد وعناصر البيئة التى يعيش فيها ، ومثال ذلك اتجاه الجائع نحو الطعام فى لحظة إحساسه بالجوع أو بمعنى آخر التهيؤ الذى يظهره الجائع نحو الطعام فى تلك اللحظة إنما هو اتجاه أو تهيؤ مؤقت ينتهى بإحساس الجائع بالشبع وامتلاء المعدة .

وأما التهيؤ ذو المدى الطويل فهو يمتاز بالثبات والاستقرار ومثال ذلك اتجاه الفرد نحو صديق له فهو ثابت نوعا لا يتأثر غالبا بالمضايقات العابرة وكذلك اتجاه المصريين نحو الانجليز فهو ثابت أيضاً لا يتغير بالأحداث السياسية أو الاقتصادية البسيطة .

ولذلك فمن أهم صفات الاتجاه أنه تأهب أو تهيؤ له صفة الثبوت والاستقرار

النسى الذى يتبع بطبيعة الحال تطور الفرد نتيجة تفاعله مع عناصر البيئة الاجتماعية والمادية .

فالاتجاهات حصيلة تأثر الفرد بالمثيرات العديدة التى تصدر عن اتصاله بالبيئة وأنماط الثقافة والتراث الحضارى للأجيال السابقة .

والاتجاهات مكتسبة وليست فطرية أو موروثة .

فالمرحلة الأولى فى تكوين الاتجاه مرحلة إدراكية أومعرفية تتضمن تعرف الفرد على عناصر البيئة وعوامل الثقافة التى تكون المحتوى العام لطبيعة المجتمع الذى يعيش فيه .

ويلى ذلك مرحلة أخرى هى تقييم الفرد لعلاقته بكل عنصر من هذه العناصر وهى تستند إلى خليط من المنطق الموضوعى والمشاعر والإحساسات الذاتية . وهذه المرحلة تمهد لمرحله أخيرة هى مرحلة إصدار الحكم من جانب الفرد على علاقته بهذه العناصر وبذلك يتكون الاتجاه عندما يكتسب هذا الحكم صفة الاستقرار والثبوت .

وقد يتكون الاتجاه نتيجة التلقين وتكرار هذا التلقين حتى يشعر الفرد بالأزمة الانفعالية الحادة ويعيشها فعلا . فعلى سبيل المثال الأطفال الذين ولدوا بعد ١٩٥٢ يمكن أن يتكون لديهم اتجاه حاد ضد نظام الحكم السابق والرأسمالية المستغلة نتيجة التلقين المستمر الذى يقوم به الآباء وأجهزة الإعلام المختلفة .

— وهناك عدة عوامل يشترط توافرها جميعاً حتى يتكون الاتجاه النفسى يمكن أن نورها فيما يلى :

١ — تكامل الخبرة :

إذ أنه من الضرورى أن تتكامل خبرة الفرد بعنصر من عناصر البيئة مع خبرات أخرى حتى تتحول هذه الخبرات إلى كل متكامل يمكنه أن يكون اتجاه الفرد بالنسبة لهذا العنصر .

وبمعنى آخر يجب أن تتشابه الخبرات الفردية حتى ينحو الإنسان إلى تعميم هذه الخبرات كوحدة تصدر عنها أحكام الفرد واستجاباته للمواقف المشابهة .

فعلى سبيل المثال عندما يفشل الطفل فى مادة الحساب مثلا لا يتكون عنه اتجاه ضد المدرسة وعملية التعليم عموماً إلا إذا فشل فى عدة مواد أخرى حيث تتكامل عنده خبرة الفشل وبالتالى يتكون الاتجاه .

وقياساً على ذلك لا يتكون اتجاه الفرد ضد شعب من الشعوب إلا إذا تكاملت لديه الخبرة فيحدث لديه إحباط مثلا عند تعامله مع بعض أفراد هذا الشعب من الجنسين وفى قراءاته عن هذا الشعب ثم فى علاقة أفراد هذا الشعب ببعض الناس من أقربائه أو من يحبهم . وهكذا .

٢ — تكرار الخبرة :

يجب أن تتكرر الخبرة حتى يتكون الإتجاه .

فعلى سبيل المثال عندما يجد الفرد صعوبة فى فهم كتاب ما لمؤلف من المؤلفين وتتكرر هذه الخبرة بمعنى أن كل كتاب يقرأه هذا الفرد لذلك المؤلف يجد فى فهمه صعوبة فإنه يحدث نتيجة لذلك اتجاه ضد هذا المؤلف . وقد يدفع الاتجاه هذا الفرد إلى نزوع معين كأن يدعو بقية أصدقائه إلى مقاطعة هذه الكتب .

٣ — حدة الخبرة :

الخبرة التى يصحبها انفعال حاد تساعد على تكوين الاتجاه أكثر من الخبرة التى لا يصحبها مثل هذا الانفعال .

فالانفعال الحاد يعمق الخبرة ويجعلها أبعد غوراً فى نفس الفرد وأكثر ارتباطاً بنزوعه وسلوكه فى المواقف الاجتماعية المرتبطة بمحتوى هذه الخبرة .

فالاتجاه النفسى يتكون دائماً فى مواقف المعاناة عندما يحتك الفرد بعناصر بيئته احتكاكا إنفعالياً من درجة معينه وبهذا تتكون العاطفة عند الفرد وتصبح ذات تأثير على أحكامه ومعاييره .

٤ — تمايز الخبرة :

اختلاف وحدة الخبرة وتميزها عن غيرها يبرزها ويؤكدها عند التكرار لترتبط بالوحدات المتشابهة فيتكون الاتجاه النفسى .

ونعنى بذلك أنه يجب أن تكون الخبرة التى يمارسها الفرد محددة الأبعاد واضحة فى محتوى تصوره وإدراكه حتى يربطها بمثلها فيما سبق أو فيما يستجد من تفاعله مع عناصر بيئته الاجتماعية .

وبذلك يتحدد منحى الإتجاه النفسى بل ويتحدد مدى نضجه واكتماله كذلك.

٥ — انتقال الخبرة :

نقل الخبرة عن طريق التصور أو التخيل أو التقليد يعتبر من العوامل الهامة فى تكوين الاتجاه النفسى .

فالطفل يكتسب اتجاهاته من أعضـــاء الأسرة التى ينشأ فيها إذ أنها الجماعة الأولى التى تحدد معاييره الاجتماعية . ويتم اكتساب هذه الاتجاهات عندما يقوم الأبوان بتصوير خبراتهما للطفل ويقوم الطفل بتقليدهما .

ومن الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان دراسات هوروفيتز حيث أثبت أن كراهيـة الأمريكى الأبيض للزنوج ترجع فى أساسها إلى الأسرة فى تنشئة وتحديد اتجاهات الطفل وتحويل قوة بعضها إلى مرتبة التعصب . وكذلك دلت أبحاث نيوكمب على أن هناك معاملات ارتباطات موجبة وعالية بين الاتجاهات الدينية للآباء والأبناء ويزيد متوسط هذه المعاملات عن ٠,٥٥ . كما وجد نيوكمب أيضاً أن متوسط معاملات الارتباط بين اتجاهات الآباء والأبناء نحو مشكلة السلام العالمى يزيد عن ٠,٤٠ كما وجد أن هذا الارتباط يرجع فى أساسه إلى التقليد .

وتؤكد اكتشافات التحليل النفسى — كما سبق الإشارة إلى ذلك — أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل فى تكوين شخصيته واتجاهاته وقيمه التى يكتسبها بضرورة الحال من أعضاء أسرته وخاصة فى السنوات الخمس الأولى .

أما لوسول وفروم وكلاين فقد درسوا فى شىء من الدقة والتفصيل أثر التقليد (تقليد الطفل لأمه وأبيه وأعضاء أسرته) على تكوين القادة والزعماء وكذلك تكوين الاتجاهات السياسية .

نوع الاتجاه Sort of attitude :

يمكن أن نناقش أنواع الاتجاهات المختلفة من الناحية الوصفية فعلى سبيل المثال يمكن أن نقول أن هناك اتجاه عام واتجاه نوعى ، وأن هناك اتجاه فردى واتجاه جماعى ، وأن هناك اتجاه علنى وآخر سرى ، وكذلك اتجاه موجب واتجاه سالب ثم أخيراً اتجاه قوى وآخر ضعيف .

(أ) الاتجاه العام والاتجاه النوعى :

نقصد بالاتجاه العام الاتجاه الذى ينصب على كلية الموضوع .

ونعنى بذلك الاتجاه الذى يعالج فيما يدفع إليه الفرد من تصرف وسلوك جميع متعلقات العنصر . ومثال ذلك الاتجاه المضاد الذى يبديه فرد ما تجاه أهالى محافظة ما — مثلا — وتجاه جو هذه المحافظة والمواصلات فيها والمساكن والشوارع وما إلى ذلك بحيث يتصف الاتجاه بالعمومية ويتميز بناء على ذلك بأنه أكثر استقراراً من الاتجاه النوعى حيث نقصد به — أى الاتجاه النوعى — الاتجاه الذى ينصب على جزء من تفاصيل الموضوع أو بمعنى آخر الاتجاه الذى يعالج فيما يدفع إليه الفرد من تصرف وسلوك عنصراً من عناصر الكل أو بعض عناصره. ومثال ذلك اتجاه الرجل على سبيل المثال تجاه لون بشرة المرأة بغض النظر عن العناصر الأخرى مثل الشعر أو لون العينين وما إلى ذلك . فمثل هذا الرجل يميل إلى البشرة البيضاء مثلا ، فهو يميل إليها فى كل امرأة دون الاهتمام بالعناصر الأخرى التى يتكون منها الكل . ودون الاهتمام بالمحددات الأخرى لهذا الكل .

والاتجاه النوعى أقل ثباتاً من الاتجاه العام فهو إما أن يضمحل ليتلاشى نتيجة تكوين اتجاهات نوعية أخرى تنمو وتنضج فيتلاشى البعض ويبقى البعض الآخر ، وإما أن يتحول إلى اتجاه عام حتى يتخذ صفة الاستقرار والثبوت النسبى .

ومن الدراسات الهامة فى ميدان عمومية الاتجاه ونوعيته : دراسات كالب، ودافيدسون عن الاتجاهات الحزبية بين أعضاء حزبى المحافظين والأحرار فى بريطانيا حول التمييز العنصرى ، القومية ، الاستعمار ، التسلح والسلام العالمى .

وكذلك دراسات هارتلى فى أمريكا حول التعصب ضد الزنوج واليهود والإيطاليين ، حيث وجد أن التعصب يتصف بالعمومية تقريبا .

وكذلك دراسات كانتريل حيث أجرى عدداً من التجارب الميدانية أكد عن طريقها عمومية ونوعية الاتجاه النفسى .

(ب) الاتجاه الفردى والاتجاه الجماعى :

نقصد بالاتجاه الفردى الاتجاه الذى يؤكده فرد معين فى الجماعة .

ومثال ذلك اتجاه أفراد الجماعة نحو أنواع الأطعمة المختلفة فنجد أن كل فرد له ميل خاص فى هذه الناحية وبذلك لا يمكن أن يكون هناك اتجاه جماعى فى هذه الحالة .

وأما الاتجاه الجماعى فهو ذلك الاتجاه الذى يشترك فيه عدد كبير من الناس مثل إعجابهم ببطل من أبطال الرياضة أو أحد نجوم السينما مثلا على عكس إعجاب الفرد بصديق له حيث نسمى ذلك اتجاهاً فرديا .

(حـ) الاتجاه العلنى والاتجاه السرى :

فالاتجاه العلنى اتجاه يستطيع الفرد إظهاره دون حرج أو تحفظ حيث يتحدث ويسلك بما يمليه عليه مثل هذا الاتجاه الذى غالباً ما يكون متفقا مع معايير الجماعة وقيمها وأما الاتجاه السرى فهو ذلك الاتجاه الذى يخفيه الفرد فى قرارة نفسه وينكره ولا يحاول أن يتصرف بما يمليه عليه. ومثل هذا الاتجاه يكون بطبيعة الحال ضد معايير الجماعة وقيمها السائدة ولذلك فإنه من المحتمل أن يكون الاتجاه العلنى قد تكون وتطور نتيجة خبرة الفرد واحتكاكه بعناصر بيئته الخارجية أكثر من تفاعله مع خبرات نفسية ذات طابع يتسم إما بالتذكر أو التخيل والتصور . فى حين أنه من المحتمل أن يكون العكس هو الصحيح فى حالة الاتجاه السرى .

(ى) الاتجاه الموجب والاتجاه السالب :

بغض النظر عن الموضوع الذى يتكون حوله الاتجاه النفسى فإننا نطلق على الاتجاه صفة الإيجابية إذا كان ينحو بالفرد تجاه الموضوع ويقربه منه وأما إذا كان ينأى بالفرد عن الموضوع ويبعده عنه فإننا نسميه اتجاهاً سالباً .

(هـ) الاتجاه القوى والاتجاه الضعيف :

فالقوة والضعف تميز شدة الاتجاه الذى ينعكس على نزوع الفرد وتفاعله مع الآخرين . فرد الفعل القوى الحاد فى موقف اجتماعى معين إنما يدل على اتجاه قوى أو اتجاه عالى الشدة . والعكس صحيح بطبيعة الحال .

تفسير الاتجاهات :

سبق أن عرفنا الاتجاه النفسى على أنه تركيب عقلى نفسى أحدثته الخبرة الحادة المتكررة . ويمكن أن نقول أيضا أن الاتجاه مكتسب وهو حركى فى تفاعله مع الموقف الذى يتكون من الفرد وبيئته رغم اتصافه بالثبات والاستقرار النسبى .

(أ) التفسير الحركى « الديناميكى » للاتجاهات :

يرى كرتش وكرتشفيلد أن الاتجاه ما هو إلى وسط ديناميكى يساعد على إتمام التفاعل بين العمليات النفسية الأساسية وبين الفعل أو السلوك الذى يقوم بأدائه الفرد .

فالاتجاه من وجهة النظر هذه يهدف إلى تنظيم الدوافع والإدراك والعوامل النفسية الأخرى تنظيما متكاملا بحيث ينتج عنها سلوك أو نزوع متكامل بهذا بهذا القدر وبهذه الكمية .

وبناء عليه فإن الاتجاه يعمل على تخفيف حدة التوتر النفسى فى المواقف التى يصاب الإنسان فيها بالإحباط نتيجة الفشل بل وتساعده على التكيف للمواقف المختلفة التى توجد فيها عناصر الصراع والتحدى .

وبذلك تتلخص وظيفة الاتجاه فيما يلي :

١ ـ تنظيم الإدراك عند الفرد أثناء نشاطه وتفاعله .

٢ ـ إيجاد وسيلة لاتصال الفرد الدائم بمثيرات البيئة .

٣ ـ مساعدة الفرد في محاولاته لتحقيق أهدافه .

وبهذا المعنى تصبح الاتجاهات ذات طبيعة ديناميكية تدفع الفرد إلى تحقيق أهدافه ، والتكيف مع مواقف حياته اليومية .

(ب) التفسير الإدراكي للاتجاهات :

يرى كانتريل في دراسته لعمق وشدة الاتجاهات أن الإدراك سلوك هادف غرضي يرمي إلى تحقيق بعض أهداف الكائن الحي. فالفرد إنما يدرك الموضوع أو الحدث الذي يتصل اتصالا مباشرا بأغراضه وأهدافه سواء الحاضرة أو المستقبلة وبهذا يستطيع أن يتفهم عناصر البيئة ومقوماتها ليتمكن من التكيف لها والتفاعل معها بأسلوب سوي .

وأثناء عملية التفهم لعناصر البيئة ومداخلها والتفاعل معها تتكون اتجاهات الفرد ثم تنمو وتتطور متأثرة بإدراك الفرد للمواضيع والأحداث ومؤثرة في إدراك الآخرين للفرد كحدث وكعنصر من عناصر البيئة .

وبهذا يمكن تفسير الاتجاه عن طريق عملية الإدراك حيث يميل الفرد إلى تقليد غيره في اتجاهه عن طريق عملية التقمص أو الامتصاص التي لا تتم إلا عن طريق الإدراك .

(جـ) التفسير البنائي والوظيفي للاتجاهات :

تدل نتائج بعض دراسات اتجاهات الشعوب على أن الاتجاه مظهر من مظاهر تكوين الشخصية ، كما تدل أيضاً على علاقة الاتجاه النفسي بالقيم التي اكتسبها ويكتسبها من تفاعله مع الآخرين وترتبط بحاجاته النفسية .

كما تدل هذه النتائج أيضاً على أن مقومات الاتجاه تعتمد على القطاع المعرفي من الشخصية كما تعتمد أيضاً على النواحي الانفعالية والتوقع بالنسبة للأحداث المقبلة في محيط البيئة .

ومن وجهة النظر هذه تصبح وظيفة الاتجاه كما يلي :

١ ــ التكيف والانضباط بالنسبة لأحداث البيئة .

٢ ــ التكيف الاجتماعي داخل إطار الجماعة وذلك بقبول الفرد أو رفضه لاتجاهات الأفراد الآخرين .

٣ ــ الدفاع عن الذات الواعية أو (الأنا) .

طرق قياس الاتجاهات :

إن عملية القياس عموماً ــ وقياس الاتجاه النفسي على وجه الخصوص ــ تعتبر كما سبق أن أوضحنا في سياق الفصول السابقة من هذا الكتاب عملية أساسية في ميدان البحث النفسي الاجتماعي . وذلك لسببين هما :

١ ــ أن عملية القياس تحدد إلى أي مدى يمكن أن نعتمد على صحة النظريات والفروض القائمة فتساعد الباحث على تعزيز أو رفض بعض هذه النظريات والفروض وتفتح أمامه مجالات أخرى للبحث والتجريب .

فالإنسان يميل دائماً إلى التعميم ــ سواء عن طريق الإسقاط أو التبرير ــ وفي هذا الميل إلى التعميم يبدو وكأن الاتجاه الذي يتحدث عنه الفرد إنما هو اتجاه عام وسائد ولكن عند استخدام الأسلوب العلمي في القياس يثبت غير ذلك بل قد يثبت أن مثل هذا الاتجاه ما هو إلا اتجاه فردي أو اتجاه قلة .

وبناء على ذلك فإن معظم الافتراضات أو النظريات التي قامت على مثل هذا التعميم تعتبر على غير أساس .

٢ ــ إن قياس الاتجاه النفسي كأي عملية من عمليات القياس يساعد على التنبؤ بما يحدث في المجال الاجتماعي للجماعة وهذا هو أهم هدف تسعى إلى تحقيقه البحوث والدراسات النفسية الاجتماعية .

فعن طريق قياس الاتجاه النفسي يمكن التنبؤ بمدى وزمن التغير الاجتماعي

المنتظر حدوثه فى أى جماعة من الجماعات كما يمكن التنبؤ أيضا بإمكانية إدخال عامل جديد إلى حيز التفاعل النفسى الاجتماعى لهذه الجماعة .

لهذين السببين يمكن أن نقول أن عملية قياس الاتجاه النفسى هى إحدى العمليات الهامة التى يجب أن يلم بها كل من يعمل فى الميدان الاجتماعى الجماهيرى وخاصة المعلم والأخصائى الاجتماعى .

ومعروف بطبيعة الحال أن قياس الاتجاه يحتاج إلى بناء اختبار خاص أو مقياس خاص لهذا الغرض . ولهذا وقبل أن نشرح الطرق المختلفة المستخدمة لقياس الاتجاه النفسى سوف نوضح الشروط الأساسية الواجب توافرها فى بناء مقياس الاتجاه .

فهناك شرطان ضروريان أو خطوتان أساسيتان لبناء مقياس الاتجاه نناقشهما فيما يلى :

أولا — اختيار عبارات المقياس :

مما لا شك فيه أن اختيار عبارات المقياس وتركيب العبارة فى حد ذاته يعتبر أساساً ضرورياً لبناء مقياس صحيح يؤدى الغرض منه فمهما كانت دقة الباحث وقدرته على التحليل الإحصائى فإن ذلك لن يستطيع أن يعالج نتائج مقياس من مقاييس الاتجاهات لم تنتق عباراته وتركب بطريقة صحيحة مناسبة لنوعية الاتجاه المراد قياسه وتقديره .

ولهذا فإنه من الضرورى أن يبدأ الباحث أولا بتشريح محتوى الاتجاه المطلوب قياسه وخاصة من ناحية الأنماط السلوكية الموجبة والسالبة بالنسبة لمعنى الاتجاه ، وبمعنى آخر يقوم الباحث بتفصيل أبعاد الاتجاه تفصيلا دقيقاً بحيث يشمل الدقائق السلوكية للاتجاه وكذلك ما يتعلق بها من أحكام ومعتقدات .

وفى هذا يقول ثرستون أنه كان يجمع عبارات مقاييس الاتجاهات أثناء حديثه مع الناس ، وأثناء قراءته للجرائد اليومية أو المجلات وعند قراءته لما

يكتبه تلاميذه من مقالات وبحوث . ثم يقوم بتصنيف هذه العبارات حسب الأبعاد المختلفة والدقائق التى تكون الاتجاه النفسى .

ويقول ثرستون أن هذه الطريقة فى جمع العبارات تساعد على الاقتراب ما أمكن بالمقياس إلى حقيقة ما يتداوله الناس من أحاديث ومصطلحات . وكذلك إلى نوع الكلمات والمعانى المرتبطة بها فى محيطهم .

فعلى سبيل المثال إذا كان الباحث بصدد بناء مقياس اتجاه لتطبيقه بين مجموعة من التلاميذ فى مدرسة ثانوية أو بعض المراهقين فى إحدى المؤسسات لابد وأن يجمع العبارات المستخدمة من بين ما يستخدمه أعضاء كل جماعة فى حياتهم اليومية وأن يختار كلمات كل عبارة من الكلمات التى تعنى شيئاً واضحاً بالنسبة إليهم .

فإذا أراد المعلم أو الأخصائى الاجتماعى أن يقيس اتجاه هذه المجموعة من مراهقى المدرسة الثانوية بالنسبة لبعض مشاكلهم . فقد يستخدم عبارة مثل :

التدخين رجولة :

أوافق جداً — أوافق — لا أدرى — لا أوافق — لا أوافق مطلقاً .

وقد يصبح الوضع أكثر اختلافاً وأقرب إلى فكر مجموعة ثانية لو استخدمت عبارة أخرى مثل :

شرب السجاير جدعنه :

أوافق جداً — أوافق — لا أدرى — لا أوافق — لا أوافق إطلاقاً .

وقد يكون للمعنى الواحد أكثر من استجابة واحدة بالنسبة للفرد الواحد إذا صيغ هذا المعنى فى أكثر من عبارة واستخدمت فى كل عبارة كلمات تختلف من ناحية تذوق الفرد لهذه الكلمات واستجابته للعبارة فى حد ذاتها .

فعلى سبيل المثال عند قياس اتجاه جماعة معينة نحو تنظيم النسل فنجد أن استجابة الفرد لعبارة « منع الخلفة » غير استجابته لعبارة « تحديد النسل » غير استجابته « لعبارة تنظيم الأسرة » . والسبب فى ذلك أن كل عبارة رغم اتفاق المعنى فى هذه الظروف لها ارتباط ودلالة فى المحتوى النفسى للفرد .

وعلى ذلك فإنه من الضرورى أن يهتم الباحث باختيار الكلمات والعبارات التى يزمع استخدامها فى مقياسه وذلك عن طريق تشريح محتوى الاتجاه أولا ثم جمع وتصنيف الكلمات التى يتداولها أفراد الجماعة مع التأكد من دلالتها وطبيعة ارتباط كل منها بالفرد .

بعد هذا يأتى دور صياغة العبارة فى حد ذاتها حيث يجب أن ترتب كلمات العبارة بحيث توضح المعنى المقصود أو الحقيقة المقصودة وبحيث أن تمثل العبارة مثيرا يتحدى الفرد فى الموقف الاجتماعى المناظر لهذه العبارة .

مثال ذلك :

يجب ألا يتدخل الأب فى شئون إبنته إطلاقا عندما تبلغ ٢١ سنة :

أوافق جداً ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ لا أوافق ـــ لا أوافق إطلاقا .

أو لا مانع أن يكون للزوجة العاملة أصدقاء من الرجال يزورونها فى المنزل :

أوافق جداً ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ لا أوافق ـــ لا أوافق إطلاقا .

ويجب كذلك أن تكون العبارة سهلة وبسيطة وقصيرة بحيث تصور الموقف الاجتماعى تصويرا صادقا وبأقل عدد ممكن من الكلمات .

كما يجب أيضاً أن تقوم العبارة بشرح موقف اجتماعى واحد فقط لا أن تشرح موقفين وبالتالى لا يستطيع الفرد أن يستجيب لمثل هذه العبارة .

مثال ذلك :

إن سبب أزمة المواصلات هو قلة الأوتوبيسات وتزايد عدد السكان .

أوافق جدا ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ لا أوافق ـــ لا أوافق إطلاقاً .

فهذه العبارة تشرح موقفين هما قلة عدد عربات الأتوبيس والثانى تزايد السكان وبذلك يجد الفرد صعوبة واضحة فى الاستجابة لمثل هذه العبارة لأنه قد يوافق على موقف ولا يوافق على الموقف الآخر .

ولذلك يوصى ستوفر أن يقوم الباحث بعرض عبارات المقياس — قبل تطبيقه طبعاً — على مجموعة صغيرة أو عينة تمثل المجموعة الكبيرة التى يراد تطبيق المقياس عليها والهدف من ذلك هو الإبقاء على العبارات الصالحة أى المفهومة والتى لها دلالة ومعنى وحذف العبارات التى لا تتوفر فيها هذه المواصفات .

ويرى ستوفر أيضاً أنه يمكن استخدام مثل هذه الجماعات أو العينات فى جمع عبارات المقياس منذ البداية . فقد قام بتجربة مؤداها أنه تمكن من بناء مقياس كامل للاتجاه نحو الخمور عندما طلب من ٢٨٨ طالباً فى الجامعة من بيئات مختلفة أن يكتبوا له عن خبراتهم بالمشروبات الكحولية وبالنساء أو الرجال الذين يدمنون على تعاطيها . ومن هذه الكتابات جمع ستوفر عددا لا حصر له من العبارات الصالحة لمقياس من مقاييس الاتجاهات .

بعد ذلك عرض هذه العبارات على عدد من الحكام ليقوموا بترتيبها حسب شدة تعبيرها عن مع أو ضد منع الخمور فوجد أن معامل الارتباط بين ترتيبات الحكام يبلغ حوالى ٨٦ر. كما وجد أيضاً أن هناك معامل ارتباط قدره ٨١ر. بين الترتيب الذى اقترحه الحكام وبين الترتيب الذى اقترحه أعضاء الجماعة الأصلية (٢٨٨ طالباً) من هذه التجربة يتضح أن الجماعة الصغيرة أو العينة إذا أحسن اختيارها من جانب الباحث فإنها يمكن أن تساعد إلى حد كبير فى اختيار عبارات المقياس وفى بنائه .

ثانياً — تحليل عبارات المقياس :

نقصد بذلك من الناحية الكيفية الحكم على صلاحية كل عبارة من عبارات المقياس لتقدير الاتجاه المطلوب قياسه . أو بمعنى آخر مدى اتفاق كل عبارة مع الهدف العام للاختبار أو المقياس .

ولذلك فإننا ننصح من واقع الخبرة أن يبدأ الباحث بعدد كبير من العبارات لا يقل عن ضعف العدد الذى ينوى أن يضمه المقياس فى النهاية .

وبهذا يستطيع أن ينتقي من هذا العدد العبارات المناسبة عن أحد الطرق الآتية :

١ — أن يقوم الباحث بعرض هذه العبارات على مجموعة من الحكام من ذوى الخبرة والدراية فى حياة الجماعة التى ينوى أن يطبق عليها مثل هذا المقياس. ويطلب منهم اختيار العبارات المناسبة وبناء على رأى هذه المجموعة من الحكام يحتفظ الباحث بعدد من العبارات يتفقون على صلاحيتها ويسقط من حسابه العبارات التى اتفقوا على عدم صلاحيتها .

ويمكن للباحث أن يصيب هدفاً آخر بأن يطلب من مجموعة الحكام أن يقوموا بتحليل محتوى الاتجاه أو تشريحه قبل أن يصدروا أحكامهم على العبارات المختلفة التى تعرض عليهم . أو قد يستخدم الباحث مدخلا ثانياً فى هذه الناحية فيقدم لمجموعة الحكام تشريحاً للاتجاه ويطلب منهم إضافة أو حذف ما يعن لهم من بنود . فعلى سبيل المثال عندما يريد الإخصائى الاجتماعى قياس اتجاه جماعة ريفية ناحية موضوع تنظيم النسل فيمكنه أن يعرض العناصر التالية على مجموعة من الحكام ليقرروا علاقتها بالموضوع نفسه .

(ا) النزعة الدينية : مثل زيادة عدد المسلمين — الأرزاق بيد الله — يولد الطفل ومعه رزقه — تناكحوا تناسلوا — الأطفال أحباب الله — لا تدخل الملائكة منزلا ليس به أطفال . . . . وهكذا .

(ب) العوامل الاجتماعية : حاجة الأسرة إلى كثرة من النسل « للعزوة » — إحساس الأبوين بضرورة الإنجاب لإثبات قدرتها على ذلك — ضغط أهل الزوج أو الزوجة من أجل رؤية أحفادهم قبل أن يموتوا — الأمثال الشعبية الذائعة عن المرأة العاقر وشؤم (قدمها) على أسرة زوجها — الأمثال الذائعة عن الرجل العقيم عديم الذرية — إحساس الزوجة بالاطمئنان إلى تدعيم أسرتها بكثرة عدد الأطفال . . . وهكذا .

(ح) العوامل الاقتصادية : حاجة الأب إلى من يساعده فى العمل اليدوى الذى يقوم به — نظرة الأب إلى تلقين أبنائه صنعة معينة تحتكرها الأسرة (صناعة الغرابيل أو المناخل أو غزل الصوف) . نظرة الأب إلى أولاده كمورد رزق ... وهكذا .

ويترك أمر للحكام حيث يضيفوا إلى ما سبق أو يحذفوا منه . وبعد ذلك يقدم الإخصائى للحكام عدداً كبيراً من العبارات التى يحتمل أن تقيس الاتجاه موضع المناقشة . وبطبيعة الحال سوف يعتمد الإخصائى على قرار الأغلبية الذى تصدره الجماعة فى إبقاء أو حذف أى عبارة .

٢ — أن يقوم الباحث بإيجاد معامل التناسق الداخلى لمقياس الاتجاه بعد إجراء تجربة تمهيدية على مجموعة صغيرة تمثل الجماعة الكبيرة وذلك بأن يقارن استجابات الفرد الواحد للعبارات المتشابهة حتى يتضح مدى ارتباط هذه العبارات المتشابهة من وجهة نظر الفرد المستجيب .

وهذا يتطلب من الباحث أن يقوم بتقسيم المقياس إلى عدة قطاعات — وذلك فى أثناء التجربة التمهيدية — ويقدم المقياس إلى مجموعة التجربة بهذه الصورة حتى يسهل عليه إيجاد معامل التناسق الداخلى لكل قطاع على حدة . وفى حالة المعامل الضئيل تدرس حالة كل عبارة من عبارات هذا القطاع لحذف العبارة التى تسبب انخفاض أو ضآلة معامل التناسق .

وننصح فى هذه الحالة أن يقوم الباحث برسم خط بيانى يوضح موقف كل عبارة ليسهل عليه تمييز العبارات دون مجهود كبير .

٣ — أن يقوم الباحث بإجراء تجربة تمهيدية من نوع آخر وهذه تتلخص فى استخدام مجموعتين يمثلان نهايتى الاتجاه فعلى سبيل المثال إذا كان الاتجاه موضوع القياس يدور حول « الزواج بأكثر من واحدة » فيمكن للباحث أن يعرض عبارات المقياس على مجموعة من الرجال يميلون جداً إلى الزواج بأكثر

من واحدة — وذلك كما يتضح من سلوكهم الخاص كزواجهم الفعلى من إثنين أو أو ثلاثة أو أربعة — وعلى مجموعة أخرى تلتزم بالزواج من واحدة فقط أو تحبذ هذا المبدأ .

فن هذا الإجراء — الذى يقوم على افتراض نضج نهايتى المقياس عند أعضاء المجموعتين — يمكن للباحث أن ينتقى العبارات التى تقيس هذا الاتجاه فعلا .

بأحد الطرق الثلاثة السابقة يمكن للباحث تحليل عبارات المقياس . ونأتى الآن لوصف أكثر الطرق شيوعاً لقياس الاتجاهات .

١ — طريقة الانتخاب Voting :

تعتبر هذه الطريقة من الطرق العامة التى يسهل استخدامها وتحليل نتائجها إذ أنها سهلة وبسيطة .

وتتلخص هذه الطريقة فى إعداد استفتاء يشمل عدة موضوعات على هيئة مواقف اجتماعية يطلب من الفرد اختيار أحب هذه الموضوعات إلى نفسه أو أبغضها إليه وهكذا .

بعد ذلك يقوم الباحث بحساب عدد الأصوات أو الاختيارات أو الرفض الذى حصل عليه كل موضوع من موضوعات الاستفتاء ثم يحول عدد الاختيارات إلى نسب مئوية حتى يمكن المقارنة بين هذه الموضوعات .

وإذا كانت هذه الطريقة تمتاز بالسهولة والسرعة فى التطبيق وتحليل النتائج إلا أنها لا توضح بدقة الفروق القائمة بين موضوعات الاستفتاء وتتأثر كثيراً بالعوامل الخارجية التى قد لا يتضمنها الاستفتاء .

ومثال لهذه الطريقة :

ضع دائرة حول رقم أحب الموضوعات التالية إليك وضع علامة × أمام أبغضها إليك :

١ — ركوب الخيل . . . .

٢ ــ قراءة القصص البوليسية ....
٣ ــ مشاهدة أفلام استعراضية ....
٤ ــ لعب كرة القدم ....
٥ ــ كتابة قصائد الشعر ....
٦ ــ لعب الشطرنج ....
٧ ــ التدخين ....
٨ ــ الجلوس أمام التليفزيون ....
٩ ــ الرسم بالألوان ....
١٠ ــ مزاولة أعمال التجارة ....
١١ ــ تصليح الماكينات والأدوات المماثلة ....
١٢ ــ « الأدوات الدقيقة مثل الساعات ....
١٣ ــ قراءة الكتب العلمية ....
١٤ ــ تربية الدواجن ....
١٥ ــ عزف الموسيقى ....

وواضح من هذه الطريقة أنها تعطى الفرصة للباحث أن يقارن بين اتجاهات عديدة أو بمعنى آخر توضح أكثر من اتجاه واحد فيمكن من القائمة السابقة أن نستنتج اتجاه المجموعة موضع القياس نحو ركوب الخيل أو التدخين أو لعب كرة القدم وهكذا .

وبذلك يمكن أن نقول أن هذه الطريقة تستخدم فى الأصل لقياس الاتجاهات الجماعية نحو عدة موضوعات مختلفة .

٢ ــ طريقة التدريج :

تعتمد فكرة هذه الطريقة على تدريج مدى الاتجاه من بداية إلى نهاية بحيث تدل كل درجة من التدريج على قيمة معينة لشدة الاتجاه .

وهذه الطريقة تستخدم غالباً فى قياس الاتجاهات الفردية أى أن كل مقياس يدور حول اتجاه معين من المطلوب قياسه حتى يمكن أن نقول أن اتجاه الفرد (ا) نحو موضوع ما يختلف عن اتجاه الفرد (ب) نحو نفس الموضوع .

ويمكن إجراء طريقة التدريج بإحدى صورتين هما :

(ا) أن يقوم الباحث بإعداد عدد من العبارات بحيث تتدرج فى معناها بالنسبة لشدة الاتجاه المراد قياسه وذلك بعد أن يعرض هذه العبارات على مجموعة من الحكام لتقرير ذلك .

ثم يقوم الباحث بتصنيف العبارات فى عدة مجموعات متدرجة فى الشدة بالنسبة للاتجاه بحيث تكون هناك أكثر من مجموعة لقياس نفس الاتجاه .

ومثال ذلك : إذا أراد المعلم تطبيق هذه الطريقة لقياس اتجاه مجموعة من تلاميذ مدرسة من المدارس نحو مجموعة من الطلبة الغرباء (الوافدين) .

يمكنه أن يدرج العبارات كما يلى :

١ — أرغب فى الزواج من هؤلاء .

٢ — أرغب فى أن يكون لى صديقاً من هؤلاء .

٣ — أرغب فى العمل مع هؤلاء .

٤ — لا مانع أن يكون جارى فى السكن من هؤلاء .

٥ — لا مانع أن أتعرف إلى أحدهم بصورة عابرة .

٦ — أرغب أن أسكن بعيداً عن هؤلاء .

٧ — أرى أن نطردهم جميعاً من مصر .

وهكذا نرى أن العبارات تتدرج من القرب الكامل إلى البعد الكامل بالنسبة لهذه المجموعة من الطلبة الغرباء .

وبطبيعة الحال فإنه يطلب من الفرد المفحوص أن يضع علامة معينة أمام

العبارة التى يوافق عليها أكثر من غيرها . وبهذا يمكن تحديد اتجاه الفرد عندما يستجيب كذلك للمجموعات الأخرى من المقياس .

والواقع أن هذه الطريقة مجهدة بالنسبة للباحث سواء فى طور الإعداد أو التحليل إذ أن عملية التحليل تعتمد أساساً على الدرجة المعيارية لكل عبارة من العبارات الواردة فى المقياس .

(ب) أن يقوم الباحث بإعداد عدد من العبارات التى تتعلق بمحتوى الاتجاه المطلوب قياسه بحيث تكون هذه العبارات من النوع الذى يمكن اعتباره مثيراً Stimulus للفرد فيستجيب له بما يوضح اتجاهه .

ثم يقوم الباحث أيضاً بتدريج إجابة كل عبارة من ثلاث إلى سبع درجات بحيث لو زاد عدد الدرجات عن سبعة يصبح من المحتمل أن لا يستجيب الفرد بدقة كافية لمثل هذه العبارة . وقد وجد بالتجربة أن أفضل تدريج للعبارة هو خمس درجات ومثال ذلك ما يلى :

١ ـــ يجب أن تترك الحرية كاملة للفتاة فى اختيار زوجها :

أوافق جداً ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ غير موافق ـــ لا أوافق مطلقاً

٢ ـــ يمكن للمرأة أن تتولى المناصب القيادية فى الدولة :

أوافق جداً ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ غير موافق ـــ لا أوافق مطلقاً

٣ ـــ يجب أن يستقل الرجل بكل أمور الأسرة دون أن يشرك معه زوجته:

أوافق جداً ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ غير موافق ـــ لا أوافق مطلقاً

٤ ـــ إن المكان الطبيعى للمرأة هو المنزل :

أوافق جداً ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ غير موافق ـــ لا أوافق مطلقاً

٥ ـــ النساء أقل ذكاء من الرجال :

أوافق جداً ـــ أوافق ـــ لا أدرى ـــ غير موافق ـــ لا أوافق مطلقاً

فهذه العبارات تمثل جزءاً من مقياس الاتجاه نحو الحقوق الاجتماعية

والسياسية للمرأة . وقد درجت كل عبارة خمس درجات بحيث يمكن أن نعطى وزناً رقمياً لكل درجة كما يلى :

أوافق جداً — أوافق — لا أدرى — غير موافق — لا أوافق مطلقاً

+٢ +١ صفر −١ −٢

فإذا وضع الفرد علامة مميزة أمام (أوافق مثلا) فإنه يعطى + ١ فى تلك العبارة وهكذا . ثم تفسر الدرجة التى يحصل عليها كل فرد فى ضوء اتجاه العبارة نفسها .

٣ — طريقة التصنيف Classification :

وتعتمد هذه الطريقة فى أساسها على فكرة البناء السوسيومترى للجماعة حيث يمكن للفرد أن يدرج تفضيله أو رفضه للآخرين من أعضاء المجموعة .

وتستخدم هذه الطريقة فى قياس اتجاه الفرد نحو أفراد آخرين أو اتجاه الفرد نحو عدة مواضيع محددة .

ومثال ذلك :

اكتب أسماء زملائك فى الفصل وفقاً للتقسيم التالى :

١ — أصدقاؤك المقربون جدا هم :

....

....

٢ — أصدقاؤك العاديون الذين تميل إلى الاختلاط بهم هم :

....

....

٣ — أصدقاؤك العاديون الذين لا تميل إلى الاختلاط بهم كثيرا هم :

....

....

٤ ـ زملاؤك الذين لا ترى مانعاً من وجودهم معك فى الفصل هم :

. . . .

. . . .

٥ ـ زملاؤك الذين لاتميل إلى صحبتهم هم :

. . . .

. . . .

٦ ـ زملاؤك الذين تكره صحبتهم هم :

. . . .

. . . .

٧ ـ زملاؤك الذين تكره وجودهم معك فى الفصل هم :

. . . .

. . . .

ويمكن للباحث بعد ذلك أن يستنتج من تحليل نتائج هذا الاختبار مدى التباعد النفسى الاجتماعى بين الفرد والمجموعة كما يوضحه الاتجاه النفسى للفرد .

فعلى سبيل المثال إذا كان الطفل (ا) يختاره خمسة من زملائه كأقرب صديق لهم فسوف يظهر اسمه خمس مرات أمام النوع الأول ، وهكذا بالمثل نفرض أن له ٨ مرات فى النوع الثانى ، ١٠ مرات فى الثالث ، ومرة واحدة فى النوع السابع .

فإذا أعطينا لكل نوع من هذه الأنواع السبعة وزناً رقمياً يساوى التدريج المقترح (أى ١ ، ٢ ، ٣ ، .... ، ٧) فإنه :

٥ × ١ = ٥

٨ × ٢ = ١٦

١٠ × ٣ = ٣٠

١ × ٧ = ٧

٥٨

وهذا يساوى التباعد الاجتماعي بين الفرد والجماعة وينسب إلى النهاية الصغرى والنهاية العظمى للتباعد الاجتماعي فى هذه المجموعة حيث تكون النهاية الصغرى هى عدد أفراد الجماعة × ١ (الوزن الرقمى الأول) والنهاية العظمى هى عدد أفراد الجماعة × ٧ (الوزن الرقمى الأخير) .

ويمكن أيضاً أن نستخدم هذه الطريقة فى الكشف عن اتجاهات الأفراد نحو عدة موضوعات محددة . بمعنى أن نحدد الإطار العام للموضوعات ونطلب من الفرد أن يقوم بتصنيفها حسب التقسيمات السابقة .

٤ — طريقة المقارنة الازدواجية Paired Comparison :

تعتمد هذه الطريقة على مقارنة موضوعين فى كل سؤال من أسئلة المقياس بحيث يقوم الفرد بتفضيل أحدهما على الآخر حسب الاتجاه المطلوب قياسه .

ومثال ذلك يمكن أن يقوم المعلم بقياس اتجاه أطفال الفصل نحو عدة موضوعات دراسية كما يلى :

« ضع علامة (×) تحت الموضوع الذى تفضله فى كل سؤال مما يأتى :

(ا) الجغرافيا — التاريخ

....

(ب) الرسم — الجبر

....

(حـ) الحساب — الجغرافيا

....

(ى) التاريخ — الجبر

....

وهكذا .

فإذا رمزنا لعدد الموضوعات بالرمز ﻫ فإن عدد الأزواج الممكن تركيبها للمقارنة يصبح $\frac{ﻫ(ﻫ - ١)}{٢}$

فإذا كان عدد الموضوعات ٦

يصبح عدد الأزواج ١٥ :

وكلما زاد عدد الموضوعات زاد بالتالى عدد الأزواج ويجب ألا يزيد عدد الموضوعات عن ١٢ حتى لا يصبح الأمر مرهقاً بالنسبة لكل من الباحث والفرد المفحوص .

ويمكن تحليل نتائج هذا المقياس بحساب عدد مرات اختيار أو تفضيل كل موضوع ثم حساب النسبة المئوية لذلك .

٥ — طريقة الترتيب Rank Order

تعتمد فكرة هذه الطريقة على ترتيب موضوعات الاستفتاء أو المقياس حسب نوع الاتجاه المراد قياسه .

وعلى ذلك فإن المقياس يتكون من عدة مواضيع على الفرد أن يقوم بترتيبها حسب درجة ميله نحوها أو نفوره منها أو غير ذلك من الاتجاهات النفسية .

فعلى سبيل المثال يمكن أن يقيس المعلم اتجاه الأطفال نحو المواضيع الدراسية السابقة كما يلي :

« رتب الموضوعات التالية بالنسبة لدرجة ميلك نحوها ، بحيث يكون أولها هو أحب المواضيع إليك وآخرها هو أبغضها إليك :

الحساب — التاريخ — الجغرافيا — الجبر — الهندسة — الرسم ،

ويمكن أن تصبح إجابة الطفل كما يلي :

١ — الهندسة .

٢ — جبر .

٣ — حساب .

٤ — رسم .

٥ — جغرافيا .

٦ — تاريخ .

ومن هذا يتضح أن الطفل صاحب هذه الاستجابة يفضل الهندسة على الجبر على الحساب وأن التاريخ أبغض الموضوعات إلى نفسه .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة